أخي الصائم

سبحات .. وخواطر رمضانية

تأليف

أسعد الكاشف

الباحث الإعلامي بإدارة إحياء التراث الإسلامي

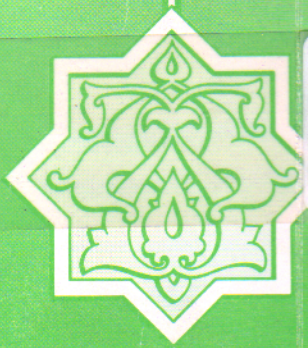

عُني بطبعه

خادم العلم

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

أخي الصائم

سبحات .. وخواطر رمضانية

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
رقم التصنيف: ٢١٣/ك أ أ
الرقم العام: ١٣٢٨٢
الرقم الآلي: ٨٢٠٣٠
جهة الورود: .....

عفوا غير مسموح بخروجه خارج المكتبة

تأليف
أسعد الكاشف
الباحث الإعلامي بإدارة إحياء التراث الإسلامي

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
الوقف الخاص

عني بطبعه
خادم العلم
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ سورة البقرة

تقديم

بقلم فضيلة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري
مدير إدارة إحياء التراث الإسلامي في قطر

« الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً » أنزله « تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي خصه الله سبحانه بفصاحة اللسان ، وأعطاه جوامع الكلم ، وَجَمَّلَهُ بالأخلاق الحسنة الرفيعة ، وحسبنا قوله تعالى في هذا المقام يصف نبيه بما يستحق وصفه : في سورة العلق (وإنك لعلى خلق عظيم) . . . فاللهم صلِّ عليه ، وعلى آل بيته الأطهار ، وعلى صحابته الأخيار ، وكل من اتبع سنته إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

يقول الله تعالى في محكم آياته :

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾

صدق الله العظيم

. . . في هذا الشهر الكريم ، نصر الله الإسلام وأعز المسلمين بانتصارات رائعة وفتوحات باهرة ، ستظل تدوي عالياً . . . عبر الأزمان معلنة أن دين الله هو الباقي ، وأن كلمة الله هي العليا ، وأن الحق هو الذي يجب أن يبلج ويعم ، وأن الباطل يلجلج ويغني . . فكانت غزوة بدر التي ظهرت فيها قوة المسلمين المعنوية وصلابة عودهم ، ومتانة عقيدتهم ، ونصر الله تعالى لهم . . هذه الغزوة التي كانت البشير الأول لقيام دولة الإسلام الكبرى وستظل « دار الإسلام » محفوظة بأمر الله . . . ما بقي أهلها في حفاظ على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . . . وفي هذا الشهر الكريم أيضاً من السنة الثامنة للهجرة تم نصر الله للمسلمين بفتح مكة . . . ليهتف المسلمون بقول الله تعالى : (**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**) وليقف سيدنا بلال يؤذن للناس من فوق الكعبة : الله أكبر . . الله أكبر . . . وليقف سيدنا ونبينا عليه الصلاة والسلام أمام الكعبة ليقول :

« لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده »

. . . في هذا الشهر الكريم تصفو النفوس ، وتهجع القلوب . وتطمئن الخواطر ، حول كل هذه المعاني وغيرها من تاريخ إسلامنا العظيم . . . جاءت خواطر وسبحات الابن « أسعد الكاشف » الذي طاف بنا محلقاً في رحاب رمضان . . . ليدلل أنه شهر الحق ، وأنه شهر الخير وشهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وأنه شهر الأمن والأمان . . . وشهر القوة ،

وشهر الحرية . . . وشهر الرجولة التي تكبح جماح غرائز النفس الأمارة بالسوء ، وشهر الإرادة الحازمة التي تأخذ باختيار وتدع باختيار . . وأنه شهر المواساة . . وشهر العبادة . . وشهر الود والتعاون بين المسلمين عامة . . . ومن ثم . . . عرّج بخواطره وسبحاته على جوانب التاريخ الإسلامي المجيد لمعرفة ما يمكن أن نأخذه منه في بناء واقعنا المعاصر لصالح الإسلام والمسلمين . . . منطلقاً من قاعدة منطقية تقول :

. . . إذا عُرف الداء . . . سهل وصف الدواء . . .

. . . ويختتم « الكاشف » خواطره ـ مخاطباً إخوته الصائمين ـ بكلمة وداع لهذا الشهر العظيم على أمل اللقاء به في العام القادم إن شاء الله ؛ وقد تحقق لهذه الأمة الخير الذي ترجوه . . . والقوة التي تستشرفها ، والنصر المرتقب الذي تنتظره . . . وما ذلك على الله بعزيز . . . والله نسأل أن يبارك في جهده وجهد من ساعد على الخير والحق ، ويوفق الجميع لما فيه مرضاته

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

غرة رمضان ١٤٠٥هـ

الموافق ٢٠ مايو ١٩٨٥م

الدوحة ـ قطـر

خادم العلم

عبد الله إبراهيم الأنصاري

مدير إدارة إحياء التراث الإسلامي في قطر

الإهـــداء

إلى كل الإخوة المؤمنين الصائمين في كل أرجاء العالم الإسلامي الذين يشعرون بالعطش فلا يشربون ، ويحسون بالجوع فلا يأكلون .. طاعة وامتثالاً وخضوعاً لأمر الله تعالى .. فهم في صلاتهم خاشعون ، وعن اللغو معرضون ، وللزكاة فاعلون ...

إلى هؤلاء الإخوة من أمة الإسلام ... في دار الإسلام هديتي

ولا أنسى في مجال الإهداء ... ومقام التحية أن أهدي « هذا العمل المتواضـع » إلى روحي أمي ... وأبي مردداً قوله تعالى : « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » .

تمهيد

الذي دعاني إلى اختيار هذا العنوان « أخي الصائم » انطلاقات كثيرة أهمها . . . أنني أشعر بمنطقية « الأخوة الإسلامية » فإذا كان المتكلم مسلمًا والمخاطب مسلمًا ، والموضوعات والقضايا المطروحة تدور حول العقيدة والشريعة الغراء ، فلا مانع أن يكون كلامنا مسبوقاً بنداء رقيق حبيه إلينا ديننا العظيم (يا أخي) ونحن بذلك النداء إنما نحقق المبدأ الإسلامي السامي وهو « مبدأ الأخوة » الذي أعلنه القرآن الكريم :

إنما المؤمنـــــون إخـــــــوة . . .

. . . وأعلنه رسولنا الكريم ﷺ بقوله :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج ـ بتشديد الراء ـ عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » صدق رسولنا الكريم ﷺ

. . . ومنذ أربع سنوات مضت . . . وأنا أكتب عموداً يومياً في كل يوم من أيام شهر رمضان المعظم تحت عنوان « أخي الصائم » أطرح فيه ـ بتواضع وفي حدود استطاعتي وقدرتي ـ ما أومن به من قضايا إسلامية معينة . . .

بعيداً عن التقعر والتقليد . . . وعندما جمعت كل ما كتبته في اليوميات السابقة . . . وأردت إعادة صياغتها ووضعها بين دفتي كتاب كباكورة إنتاج لي ، طرقت ـ على استحياء ـ باب فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري لا بوصفه مديراً لإدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر الشقيقة فحسب ، ولا بوصفه أحد الأعضاء المؤسسين لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة فحسب ، ولا بأي صفة اعتبارية . . . وما أكثرها . . . ولكن بصفة تأتي فوق هذه الصفات كلها فقد لمست في هذا الشيخ الوالد . . . خشيته لِلَّهِ تعالى ، فكم ملك عليَّ عواطفي وجزءاً من عقلي ـ تفكراً وتدبراً ـ وعندما كنت أراه يذرف الدمع كلما مرت عليه آية كريمة تدعو للرحمة والشفقة ، وكلما مرَّ عليه حديث أو قصة أو قضية تذكر بفضل الله وعنايته بمخلوقاته . . كنت أرى ذلك خلال أحاديث له في التليفزيون أو خلال ندوات أو محاضرات كان لي شرف الاستماع إليها . . . وإن كانت الدموع الصادقة قد أثرت في نفسي ، فإن ورع الرجل الذي يشهد به كل من عرفه من الدوافع الأساسية التي جعلتني أطلب من فضيلته المعاونة على طبع ماكتبت فنظر فيها وأشار ـ مشكوراً ـ بالموافقة على طبعها . . . واستخرت الله تعالى . . . على جمع ذلك الشتات من الأفكار والأوراق وعلى إعادة ترتيبها وتنقيحها لتناسب هذا الشهر الكريم . . . هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع به . . . وأن يلهمني الصواب فيما كنت قد أخطأت فيه ، وأن يمنحني القوة سبحانه فيما أنوي الكتابه فيه من جديد . . . فإلى أخي الصائم أهدي هذه الكلمات التي لم تكن مجرد كتابة على ورق بقدر ما كانت ترجمة صادقة لم يكن القلم فيها إلا مجرد وسيط بين قلبي والورق الأبيض . . . وإذا كنت قد اكتفيت بإعادة ما سبق نشره . . . بهذا الموجز لكل قضية من القضايا الإسلامية ولم أضف شيئاً لها فإنما أردت الإشارة فقط بيسر وسهولة ـ دون

الإطناب ـ إيماناً مني واقتناعاً أن الاقتصاد في الكلام وتوفير وقته خلق حضاري رفيع فالشعوب المتحضرة تكره الثرثرة وتعدها بضاعة الفارغين إلا أن ذلك الخلق الحضاري كان ولا يزال خلقاً دينياً تظاهرت الأديان والعقول على امتداحه واستحسانه ، كما تضافرت على ذم المستكثرين من الكلام . . . ولا تكون عظمة كتاب من الكتب ، أو قوة مرجع من المراجع بزيادة صفحاته وحواشيه ، فكلما قل الكلام ـ مع الشرح البسيط ـ كثر الفهم . . . والإدراك . . . وهذا مالك بن أنس رضي الله عنه بلغه عن عيسى بن مريم عليه السلام يقول :

« لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون ، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب ، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية » (الموطأ) .

- هذا وندعو الله أن نعيش شهر رمضان الكريم بقلوبنا وعقولنا وأنفسنا ، ولعلنا ونحن صائمون نجد في الصيام الخلاص وطهارة النفوس ، ومحو الكثير من السلبيات من أعماقنا ، وليكون هذا الشهر الكريم فاتحة خير على الإسلام والمسلمين جميعاً ، ولتتحقق فيه الرؤية الإسلامية المشتركة في مواجهة كل من يحاول النيل من مسيرة الإنسان المسلم ، التي يسعى بها لتأكيد ذاته وتحقيق أهدافه وطموحاته وحرصه على دينه وغيرته على شريعته .

الفقير إلى الله تعالى
أسعد الكاشف

أحى .. فى الله

« ليلة الصّيام »

كلما دارت عجلة الزمان دورتها ، وحل عام وليد مكان عام تليد من عمر البشرية والحياة . . . كتب الإنسان ـ بخاطره إن لم يكن بالقلم ـ بينه وبين نفسه ، ماذا قدم وأودع في صندوق توفير ذاك العام المنصرم ؟ وماذا سيقدم ويودع في صندوق العام الجديد !!!

- حساب مع النفس دقيق . . .

حساب تفتح دفاتره وملفاته الشخصية ، ولا يراجعها إلا صاحبها فهي منه وإليه ، لا وسيط ولا محاسب ، ولا موظفين ولا كمبيوتر ولا موظفين خريجي كليات التجارة أو الاقتصاد ، ولا موظفات خريجات معهد السكرتارية والتعاون ، ولا عمال يقدمون القهوة والشاي كلما أحس صاحب الدفاتر بصداع أو رغبة في هذا المشروب أو ذاك . . . بل ولا حتى سيجارة مهما كانت درجة دعاية شركتها لهـا !! . . . بفلتر مـذهب أو بفلتر مفضض أم حتى بمبسم أبنوس !! . . . لا شيء من كل هذه المؤثرات أو المهدئات على الإطلاق . . . الإنسان مع نفسه ولنفسه فحسب . . .

- . . . نعم . . . لأنه يعلم علم اليقين أن الكذب مع الناس ممكن ، والتمثيل مع الناس وعلى الناس ممكن ، والنفاق والرياء والتملق

والزلفى . . . جائزة كلها مع بني الإنسان « الذين يحلو لهم ذلك ويروق » ولكن أن يكذب الإنسان مع نفسه وعلى نفسه فهذا مستحيل . . . إنه يجلس يفكر ويحاسب . . . ويراجع ويلملم فواتيره كلها . . .

ـ ماذا قـدم ؟؟ ـ ماذا فعـل ؟؟ ـ مـاذا قال ؟؟

ـ ماذا أنجز ؟؟ ـ ماذا ارتكب ؟؟ ماذا ادخر ؟؟

. . . هكذا أسئلته مع نفسه . . . فإن كان قد قدّم الخير لنفسه فبها ونعمت ، وليبدأ في زيادة رصيده مع العام الجديد . . .

. . . وان كانت الأخرى . . . فماذا يعمل ؟ . . .

. . . إن كان صندوق توفيره أو ادخاره . . . ذا رصيد زهيد حقير ماذا يفعل ؟؟ هنا . . . نعم هنا يكون الفرق بين صناديق الدنيا التافهة اللعوب وبين الادخار العظيم الذي يملكه عالم الغيب ، صاحب الملكوت سبحانه وتعالى . . . فصناديق الادخار الدنيوية تخضع لملابسات إدارية ومالية بين الصعود والهبوط ، لا استقرار لجوهر ، وان استقر أحياناً شكلاً . . . أما الادخار السماوي فهو بيد من لا يغفل ولا ينام . . . (فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره)

- . . . هذه أخي في الله . . . خواطر نفس مع استقبال شهر الخير . . . شهر الرحمة . . . شهر القرآن . . . خواطر تستوضح الـطريق ، وتستكشف الآفـاق ، وتستشهـد بخـالق النفس سبحانه . . .
- . . . تستوضح الطريق . . . فتراه ممهداً أملس ناعمًا لا تعاريج ولا انحناءات فيه . . . لأنه طريق الاستقامة والتوبة النصوح مع استقبال هذا الشهر الكريم . .

- وتستكشف الآفاق . . . فتحلق في عالم الحقيقة التي ينبغي أن يقترب منها كل مسلم اقتراب المؤدبين أصحاب السمت الكريم . . . فترى في هذه الآفاق جنة من الرضا والسعادة والقناعة لأن حب الله دون سواه ملأ عليها كل جزئية من وجودها . .

- وتستشهد بخالق النفس سبحانه . . . فتقف عند كلامه جل وعلا بكل تجلة واحترام :

﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾
(الأعراف : ٢٠٤)

﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾
(الأنفال : ٢ ـ ٤)

﴿ والطّور وكتاب مسطور ، في رق منشور ، والبيت المعمور ، والسقف المرفوع ، والبحر المسجور ، إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ (الطور : ١ ـ ٨)

. . . نعم فاستشهادها بكلام الله تعالى يستوجب ذلك يقيناً الأمن والأمان والرحمة والرضوان ، . . . نعم فاستشهادها بكلام الله تعالى يستوجب ـ ونحن في شهر القرآن ـ أن نعي وندرك ما للقرآن من تأثير على قلوبنا ومشاعرنا وحياتنا . . .

- . . . يا أخي في الله أذكرك ونفسي بما حدث لعمر بن الخطاب عندما سمع مسلمًا يقرأ القرآن : ﴿ والطور وكتاب مسطور . . . ﴾ وعندما انتهى القارىء إلى قوله تعالى : ﴿ . . . إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ نزل سيدنا عمر رضي الله عنه عن دابته ،

واستند إلى حائط وظل كذلك مدة من الزمن ، وعندما عاد إلى منزله أحس بألم أقعده مريضاً لمدة شهر . . . يعوده الناس وما كان أحد يدري ما سبب هذا المرض . . .

- أتدري ياأخي في الله ما سبب مرض عمر الفاروق . . . هو ما سمعه من القرآن الكريم وأثرت فيه الآيات التي سمعها فتهذبت بها نفسه ، واشتد خوفه ، وتزايدت رهبته من عذاب الله عز وجل . . .
- فهل آن لنا ياأخي في الله أن نتدبر القرآن في شهر القرآن . . . إن تدبرته معي ياأخي في الله فلن تتغير النفوس فقط ، بل ستتهذب ، ولن ترفع الرحمات بل تتنزل . . . وما أحوجنا يا أخي ونحن نستقبل هذا الشهر الكريم أن نعود إلى كتابنا الكريم الذي هو دستور حياتنا المتين الذي لا يتبدل ولا يتغير .

أخوك في الله
اسعد الكاشف

أول رمضان

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

أخي الصائم . . . من المعروف بديهياً أن الوسيلة تعقبها غاية ، والمقدمات تأتي بعدها نتائج ، والقراءة يلحق بها الفهم والإدراك ، والخوف يولد النزوع ، والسعادة في أعطافها يكون الابتسام ، والحزن يشاركه تجهم الوجه والانقباض . . . والخبر المفرح السار يتلوه انشراح وغبطة . . . إلى آخر هذه القضايا الحياتية التي نعيش بين أفراحها وأتراحها ، وطالما أن لكل فعل رد فعل ، أو لكل سبب مسبب ، أو لكل معلول علة ، أو لكل مقدمة نتيجة ـ كما أسلفنا ـ فإني أريدك ـ أخي الصائم ـ أن تخلو بنفسك وقتاً قصيراً مع كتاب الله الكريم ، وتقرأ معي قوله تعالى :

﴿ وماَ خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبُدُون ﴾ صدق الله العظيم

. . . تفكر ـ يا أخي ـ وتدبر هذه المعاني الجليلة . . . لقد قرأت لك كل ما تيسر لي من تفسير لها ، وأدركت تماماً أن لنا نحن البشر رسالة في هذه الحياة لابد من تأديتها على الوجه الأكمل ـ بإذنه تعالى وتوفيقه ـ بعد القراءة يا أخي لهذه الآية الكريمة ستخرج بفهم جديد ، وإدراك عظيم لكثير من المعاني . . . والآن استسمحك في أن أذكر لك بعضاً من ذاك الذي فهمته ، وأدعوه تعالى أن ينفعني به وإياك آمين :

١ ـ ﴿ . . . وماَ خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليعَبدُون ﴾ صياغة بلاغية صاغها الشارع الحكيم سبحانه في أعظم وأجمل أسلوب بياني ، ولكي نحس نحن البشر المخلوقين . . بالحكمة في الخلق ، استعمل سبحانه أداة نفي ، وأداة استثناء ، فحدّد جل وعلا تحديداً قاطعاً جامعاً مانعاً حكمة الخلق على العبادة وحدها . . . نعم إنها أجمل أساليب القصر البلاغية حيث نفى الله عملية الخلق عن تحقيق أي هدف إلا هدف العبادة . . . فجاء الأسلوب جامعاً للحكمة من الخلق ، وفي الوقت نفسه جاء جامعاً مانعاً من اشتراك أو إشراك غايات أخرى من الخلق سوى غاية جوهرية هي « **العبادة لله العزيز الحكيم** » . .

. . . وتدبر ـ أخي الصائم ـ بعقلك وقلبك ، ستجد أن هذا النص القرآني لو جاء محذوفاً منه أداتي النفي والاستثناء (وما . . . إلا) لأمكن أن نسميه أسلوباً خبرياً ، وأيضاً لانسحبت حكمة الخلق لغير جوهرها من غايات أخرى « وذلك ما يتنزه عنه الخالق العظيم » فالهدف واضح ، وهو ألا تختلط العبادة والعبودية مع غيرها من غايات خلق الله لمخلوقاته . .

٢ ـ . . . الذي نلاحظه ـ أخي الصائم ـ أن خلق الله سبحانه وتعالى لآدم ومن بعده من ذريته ثم أمره بالعبودية . . . كانا أمرين إلهيين يتمثل أحدهما في السبب والثاني في الغاية ، فأصبح خلق الإنسان سبباً للعبادة ، وحسبي هنا قول الله تعالى في حديثه القدسي :

« كنت كنزاً مخفياً ، فأردت أن أُعرف ، فخلقت الخلق فبي عرفوني »

٣ ـ . . . ديننا الإسلامي يتميز عن كافة رسالات السماء بالنهج فكراً وسلوكاً مع أنه مكمل ومتمم للرسالات الأخرى ، فلا هو يتطرف نحو اتجاه ديني روحي بحت ، ولا ينحرف نحو اتجاه دنيوي محض . . بل نجده بين ذلك قواماً ، فكان بحق دين الفطرة السليمة ، الدين الذي يتفق وطبيعة التكوين البشري من روح وجسد ، فجاء القرآن الكريم ، وجاءت آياته البينات

موفقة بين المتطلبات الروحية والمادية لنا نحن البشر ، وهذا ـ أخي الصائم ـ الذي أدركته من تدبري لهذه الآية الكريمة التي توضح لنا غاية المفهوم من عبادة الله . . لأن الإسلام يجمع بين سائر شؤون الدنيا والدين في وسطية واعتدال ، وتعال معي ـ أخي الصائم ـ نقرأ قوله تعالى في سورة القصص الآية ٧٧ : ﴿ **وابتغِ فيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدارَ الآخرةَ ولا تَنسَ نصيبَك مِنَ الدُّنيَا** ﴾ وقوله تعالى في سورة الجمعة الآية ١٠ : ﴿ **فإذَا قُضِيَتِ الصلاة فَانتشرُوا في الأرضِ وابتغوا مِن فَضْل الله** ﴾ . . . ومن هنا ـ أخي الصائم ـ فإن عبادة الله حسبما وردت في الآية الشريفة تبعد كل البعد عن الرهبانية بحيث تصبح مقصورة عليها ، لأن هذا ليس المراد من مفهوم العبادة ، ويكفينا دليلاً قاطعاً قول الله تعالى ، في سورة الأعراف الآية ٣٢ : ﴿ **قُل مَنْ حرَّم زينةَ الله الّتي أَخْرج لِعبادِهِ والطَّيبات من الرِّزق ، قُل هيَ لِلَّذين آمنوا في الحياة الدنيا خَالصةً يومَ القيامةِ** ﴾ صدق الله العظيم .

٤ ـ . . . أخي الصائم ـ إن مفهوم عبادة الله إنما هي تكاليف شرعية إلٰهية تعتبر وحدة واحدة غير قابلة للتجزئة والانفصام ، ويرتبط هذا المفهوم بالمخلوقات ارتباط السبب بالنتيجة ، ومن ثم فإن علوم العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق وهي العلوم التي تنظمها الشريعة الإسلامية كلها إنما يتسع مفهومها جميعاً لتشمل عبادة الله ، فالله تعالى يأمر بعبادته ليس فقط بالإيمان الكامل بوحدانيته ، ولكن أيضاً بإقامة شعائر الدين وفرائض الشريعة من صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج . . أيضاً فالمعاملات في دنيا المسلمين غايتها العبادة . . . فنحن نعبد الله حين نجري معاملاتنا في بلادنا ـ بلاد المسلمين ـ ووجب أن يكون هدفنا من التعامل هو **عبادة الله** حيث تحول **عبادتنا لله** بين الغش والتطفيف في الكيل والميزان مثلاً ، وبين التراخي والتهاون في أعمالنا وعدم إتقانها ، وبين قول الزور وشهادة الزور ، وبين الظلم والجبروت ، وبين القهر لخلق الله ، وبين الكسل والتكاسل في أداء

حق الله في معترك الحياة . . . الخ .

*****

● . . . هذا ـ أخي الصائم ـ ولا يفوتني أن أذكر لك ما قرأته من معنى شامل حول مفهوم **العبادة** لفضيلة الشيخ/ شلتوت رحمه الله . . في كتابه « من توجيهات الإسلام » فقد قال رحمه الله :

. . . والحق أن عبادة الله التي خلق لأجلها الجن والإنس لم يكن سبيلها في هذه الحياة **التبتل والامتناع عن الدنيا** ، إنما سبيلها تحقيق إرادة الله في كونه . . . عن طريق العمل في عمارة هذا الكون ، وإظهار أسرار الله الدالة على عظمته ووحدانيته واستحقاقه وحده **للعباده والتقديس** ، وهكذا يجب أن يفهم الناس أن الله لا يرضى من عباد- أن يزهدوا في الدنيا هذا الزهد العام المطلق ، وأن ينقطعوا في الصوامع والمساجد لعبادته ومناجاته ، فهو سبحانه يناجىٰ في الحقل ، ويناجىٰ في المتجر ، ويناجىٰ في المجتمع ، وكل تلك المناجاة . . . مناجاة يسمعها الله ويتقرب بها العبد لله . .

● أخي الصائم ـ هناك كثير من الأدلة النقلية حول مفهوم العبادة كنت أتمنى أن أسوقها لك ، أو أذكرك بها ، ولكني سأكتفي بتلخيصها لك في نقاط يسيرة موجزة . . . وهو ما فهمته الفهم المتواضع من خلال ما يسر الله لي سواء بالقراءة والتفكر ، أو بالجلوس والاستماع إلى أساتذة أجلاء حفظهم الله :

★ « إن غايات خلق الله للإنس والجن مقصورة على العبادة وحدها » .

إن مفهوم العبادة الواردة في الآية الشريفة تبعد عن التبتل والرهبانية وتشمل الخضوع لأوامر الله ونواهيه ليس في شؤون الدين فحسب ، بل في شؤون الدنيا أيضاً

★ « إن مفهوم العبادة في دراسات القرآن والسنة ليست مقصورة على

العبادات وعلوم العقيدة بل تشمل أيضاً العلوم الأخرى من معاملات وأحوال شخصية وجنائية وأخلاق . . »

* « إن العبادة . . . إنما تتمثل كذلك في العمل في تعمير الكون وتقدم العلوم والمعرفة ، بالإضافة إلى أن مناجاة الله ليست رهناً بالانقطاع في دور العبادة ، بل المناجاة في كل أرض الله » .

اليوم الثاني من رمضان

نريدها عقيدةً وسلوكاً

- أخي الصائم . . . لا يشك عاقل أن في الذكرى . . أي ذكرى تكمن عوامل جوهرية تشكل القالب الوجداني للإنسان . . أولها : العظة والعبرة سلباً أو إيجاباً ، وثانيها : الإدراك العقلاني المحصن لسلامة هذه الذكرى أو تلك . . . من العيوب ، وأيضاً العكس صحيح ؛ وثالثها : النزوع واتخاذ الموقف . .
- هذه ـ أخي الصائم ـ الفلسفة البسيطة جداً لتفاعل الإنسان مع الذكريات ، على اختلاف أنواعها وأحوالها . . . فكيف يكون الحال معنا نحن المسلمين عندما نتذكر أعظم وأغلى ذكرى تمر بعقل كل واحد منا . . . ونحن في هذا الشهر الكريم . . . نعم فإن ذكرى نزول القرآن العظيم يجب أن تعيد لأذهاننا تلك الصورة المثالية التي قام عليها المجتمع الإسلامي حتى ثبتت دعائمه ، وقويت أركانه ، فأصبح مجتمعاً قوي الجانب ، عزيز المنال ، وكان له الأثر الإيجابي المباشر على الفرد وعلى المجتمع ، وتمثلث هذه الصورة الرائعة في العظمة . . وسط واقع عاشه المسلمون الأوائل وهم في عزة ومنعة . . هذا الواقع هو « **قيام الدولة الإسلامية** » التي لم تقم إلا على قاعدة راسخة ثبتت أركانها ، وحفظت بناءها . . هذه القاعدة هي « **الإيمان الصادق بالله** » . . . إيمان بعقيدة واضحة عظيمة يؤيده ويوضح

طريقه . . . السلوك غير المعوج . . . هذه هي القاعدة [**العقيدة والسلوك**] التي قامت عليها الدولة الإسلامية يوم أن كان هناك تطبيق عملي أخذ أسلوب السلوك المعاش اليومي بين أفراد دولة إسلامية عامة يحكمها أمر الله جل وعلا . . ويزينها إيمانها برسول الله ﷺ . . . فكانت بذلك دولة مهابة لا يقترب من عرينها إنسان طامع خسيس . . ومقارنة بسيطة ـ أخي الصائم ـ بين أية حضارة في الأرض ـ وعلى مر التاريخ ـ وبين حضارة الإسلام بالذات سندرك بشكل واضح وصريح أن الإسلام وحده هو الذي يشرق بالسلام على وجه الأرض . . . فقط يحتاج اليوم إلى مسلمين مخلصين جادين يتمسكون به عقيدة وسلوكاً . . .

- وهذه الحضارة الإسلامية عندما قامت . . لم تقم إلا على أساس رسالة السماء إلى الأرض ، فهي تؤمن بوحدة البشرية انطلاقاً من إيمانها بوحدة الحقيقة ووحدة الإنسانية . . وهي بالتالي تتوجه إلى العالم كله ، وإلى الكون كله بنظرة إسلامية إنسانية تتكون من خلالها ، أو يكون من نتائجها : ظهور الوحدة الثقافية ، والوحدة الاجتماعية التي تستند إلى نظرة واحدة إلى الكون ونظرة واحدة إلى الحياة . . . وربما تسألني ـ أخي الصائم ـ على أي أساس ، أو على أي بناء قامت هذه الحضارة الإسلامية التي كفلت للمسلمين . . عزتهم وكرامتهم ؟؟ أجيبك ـ أخي الكريم ـ إنها قامت على أساس من التوازن بين العقل والروح ، وهو الأساس المزدوج والمهم بل والضروري لكل بناء اجتماعي يراد له أن يبقى ويخلد . . هذا ويجب ألا ننسى ـ أخي الصائم ـ أن الحضارة الإسلامية لم تقم إلا على أساس تفاعل علوم الدين مع شؤون الحياة ، ومن ثم لا يمكن أن ترى للفكر الإسلامي ما يطلقون عليه . . . النظرة الدينية منفصلة عن كل القيم . . ومن هنا كانت سماحة الحضارة الإسلامية وإنسانيتها وعالميتها . .

. . ولا يفوتني ـ أخي الصائم ـ أن أذكر لك ميزة أخرى للحضارة

الإسلامية ، والتي تجعلها منفردة في ذاتيتها الخاصة ، وتؤكد هويتها التي لا مثيل لها بين أية حضارة من الحضارات ! هذه الميزة هي أنها ـ أي الحضارة الإسلامية ـ ربطت الحياة بالآخرة ، وربطت العلم بالدين ، وربطت السياسة بالحق ، ومن هنا وقفت الحضارة الإسلامية شامخة الرأس وهي تقدم ذاتها للبشرية . . وكأن لسان حالها يقول : ها أنذا حضارة متكاملة يعيش أصحابي لدنياهم وآخرتهم معاً .

. . . ولو قفز تفكيرك ـ أخي الصائم ـ بنظرة إلى الحضارة الغربية بل وإلى أية حضارة أخرى . . واصنع عملية مقارنة أو عملية قياس بالحضارة الإسلامية ستدرك لأول وهلة أن كل مظاهر الحضارة غير الإسلامية . . لا ترتكز إلا على انحرافات ، ولكنها مغلفة براقة لامعة ذات طابع علمي ، تجيد أدوار الإخفاء بكل ما وصل إليه أهل العصر من عناصر « الماكياج » والتخفي والأقنعة !!! فتخفي الشر والفساد ، وسأسوق لك ـ يا أخي الكريم ـ ما قرأته في صفحات أحد الكتب الإسلامية حول هذا المعنى وبإيجاز شديد :

- لقد ذهب عدد من المؤرخين وعلماء الاجتماع يبحثون عن أسباب انهيار الحضارات القديمة ، وركز البعض على عدة عوامل ، منها :

١ ـ انصراف الناس عن المعنويات إلى الماديات .

٢ ـ ضعف الروح الدينية في الأفراد والجماعات .

٣ ـ ضعف نظام الأسرة وتداعي صرحها .

٤ ـ ضعف الأخلاق وتدهورها . . . .

هذه ـ أخي الصائم ـ أسباب أربعة قال بها بعض علماء . . . وهي أسباب ولا شك تؤدي إلى انهيار الحضارات . .

وحمداً لله أن لنا حضارة إسلامية يشهد بها العدو قبل الصديق ، لا يود أحدنا أن تزول . . ولكن التمني لا يفيد وحده بل لابد من عمل وفعل وسلوك لتتويج هذا التمني والأمل . . . والفهم لطبيعة هذه الأمة الإسلامية كأمة

واحدة . . . هو أول خطوة للحفاظ على هذه الحضارة الإسلامية . . .
نعم ، فإن من أهم مميزات الإسلام وخصائصه : أن جعل المسلمين أمة واحدة ، رغم مافيها من فروق العرق والدم ، واللون والجنس واللغة ، قال تعالى في سورة الأنبياء الآية ٩٢ :
﴿ . . **إنَّ هذه أُمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ صدق الله العظيم
. . . المسلمون حيثما وجدوا ، وأينما كانوا ، إنما تجمعهم قواعد دينهم ، ومبادئهم التي أقرها قرآنهم الكريم ، وسنة الرسول ﷺ . . ولهذا تجد ـ أخي الصائم ـ المسلم في المشرق يشعر بعاطفة الأخوة الإسلامية نحو أخيه في المغرب ، والعكس صحيح . . أما فكرة العرق واللون واللغة يُهْدَر اعتبارها في الإسلام مع اتحاد العقيدة والمبادىء . .
أي حضارة أجمل وأعظم من هذه الحضارة ؟؟
أي حضارة أكرم للإنسان من هذه الحضارة التي تجعل المسلم فيها ينظر لأخيه المسلم الآخر نظرة الاحترام والتقدير والعطف والتعاطف مهما كان لونه أو جنسه أو لغته أو عرقه ؟

هكذا ـ أخي الصائم ـ نعلم أن الاسلام يعتبر المسلمين كتلة واحدة ، وجبهة واحدة نحو أية مشكلة تصيب أي فريق منهم ، وأن التهاون في نصرة المسلمين ، ومد يد العون إليهم . . بمختلف ألوان المساعدة وأنواعها وأشكالها ، تعرض الجميع لعقاب الله ومؤاخذته ، فضلاً عن خزي الحياة الدنيا . . .
هذه ـ أخي الصائم ـ كلمات ترجمت خاطرة أخ لك يدعوك إلى التمسك بالعقيدة . . . سلوكاً ومنهجاً . . وأدعوك في نهاية هذه السطور لنسمع سوياً ما قصه علينا تاريخنا الإسلامي من مواقف . . واخترت لك هذا الموقف الذي يشع عقيدة وسلوكاً . . كما أشعَّ عدالة وصدقاً ورجولة :
« . . . مرَّ على المسلمين **عام مجاعة** في عهد عمر بن الخطاب رضي الله

عنه . . إذ أجدبت الأرض ، وماتت الأغنام ، وشكا الناس من الجوع والفقر . . فضرب عمر الفاروق أروع مثل في التقشف والزهد حتى يعلم رعيته الصبر والرضا . .

فكان قدوة إذا تكلم . . . لم يأكل إلا لماماً ، وكان يقول : « لابد أن يمسني ما يمس الرعية » . . نعم لقد جاع مع الناس ، وحرم نفسه من الأكل حتى سقمت صحته ، ونحل جسده حتى نطق أحد المسلمين : « لو لم يرفع الله المحل عام المجاعة لظننا أن عمر يموت » . . هذا موقف يا أخي في السلوك ، والمواقف كثيرة وعظيمة . . ولكني تعمدت أن أسوق هذا الموقف بالذات لكي نضعه أمام كل أصحاب المبادىء المعاصرة التي تقول ولا تفعل ، تتشدق ولا تنفذ . . تتشدق بالمساواة ، وتطبق العنصرية والظلم والجبروت ، تتزين بشكل الإسلام ، وتهجر جوهره ، تتقعر بالكلمات والمصطلحات والجمل الإنشائية الأخاذة ، وتكتم قلوبها على سواد حيث لا تطبيق ولا مسلك ولا طريق يؤكد ويترجم ما يقولون من حُسن الكلام ، وطيب الحديث . . .

إن التطبيق ـ أخي الصائم ـ وإن المنهج والسلوك هو العقيدة بحق التي تحتاج منا إلى صدق في القول ، وصدق في العمل ، وصدق في الفعل .

اليوم الثالث
من رمضان

تحقيق الأخوة الإسلامية يؤكد عقيدة التوحيد

أخي الصائم . . أنت مؤمن معي بأن المسلمين مرتبطون فيما بينهم بعقيدة التوحيد ، وبما جاء في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وهذه الروابط قدر مشترك ، تجمع بينهم جميعاً ، فليس لأي منهم قرآن ، يختلف عن قرآن الآخرين ، وصدق الله العظيم حيث قال سبحانه :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ صدق الله العظيم (الحجر : ٩) فالكتاب واحد ، والسنة واحدة ، والكيان الإسلامي واحد ، والأهداف واحدة ، والوجهة واحدة ، والعقيدة واحدة ، والشريعة واحدة ، والأمة واحدة . . ومنطلقاً من هذه المفاهيم نقول : « إن المسلمين في هذا العالم قوة لايستهان بها ، سواء بالنسبة لعددهم الهائل ، أو طاقاتهم المادية على اختلاف أنواعها ، أو إمكاناتهم البشرية والاستراتيجية » . . . ومع كل ذلك لن يتحقق أي شيء في سبيل المصلحة الإسلامية العليا . . . إلا إذا حقق المسلمون فيما بينهم : « الأخوة الإسلامية » . . لأنه في تحقيق الأخوة يكون تعاون الجميع في سبيل المصلحة الإسلامية العليا ـ كما ذكرنا ـ وإذا تحقق هذا : صدق علينا قوله

سبحانه في سورة آل عمران الآية ١١٠ :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ صدق الله العظيم

وإذا وصلنا ـ أخي الصائم ـ إلى تلك الحالة ، تحركت جماهير المسلمين كلما أصاب أحداً منهم أي مكروه ، وعملوا بكل الوسائل لإزالة ما أصاب ذلك الفريق ، وحققنا قول الرسول الكريم ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مقل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » حديث صحيح

- وإذا تحققت الأخوة الإسلامية صدق فينا قوله تعالى في سورة المائدة آية : ٢

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾

- وإذا تحققت الأخوة الإسلامية حققنا قول الرسول ﷺ : « **المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يسلمه** » حديث صحيح رواه أحمد والشيخان .

- العالم الإسلامي ـ كما تعلم أخي الصائم ـ عالم واسع الأرجاء . . . والمسلمون منتشرون في جميع القارات : آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا ـ وهناك حكومات وشعوب إسلامية تغطي جانباً من الأرض المعمورة ، وفي نفس الوقت هناك أقليات إسلامية . . منتشرة هنا وهناك . . ومشاكل عديدة يعاني منها المسلمون ، ترتع بين جوانحهم ، منهم من تمر على خاطره مرور الكرام ، يمصمص شفتيه إشفاقاً ، ومنهم من تؤرقه ولكن همته فاترة ، ومنهم من لديه الاستعداد للتضحية بكل ما يملك . . . ولكن أين الطريق ؟؟ وكيف السبيل ؟؟ ولعل أهم بل وأخطر هذه المشاكل التي تواجه المسلمين هي : قضية فلسطين أو كارثة فلسطين التي هي قضية إسلامية كما لها صبغة سياسية أيضاً ، فهي قضية المسجد الأقصى

المبارك ، ثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى المصطفى ﷺ ، وقبلة المسلمين الأولى ، ومهبط الرسالات ، فهي قضية شعب مسلم ، سفك أعداء الله دماءه ، واغتصبوا أرضه ، وسلبوا أمواله ، وطردوه من أرضه . . شعب مسلم أُجبر على الجلاء عن أرضه الإسلامية الطاهرة بين سمع المسلمين وبصرهم !! . . .

- نعم . . أخي الصائم . . هذه قضية كبرى من مصائب المسلمين . . . إنها قضية الأمة العربية ، والعالم الإسلامي في هذه العصر التعيس ، المفروض أنها قضية كل مؤتمرات المسلمين ، لأنها قضية تهم جميع المسلمين في الأرض . . . وهنا يا أخي الكريم . . أتساءل معك : هل كان المسلمون على هذا المستوى من المسؤولية تجاه مقدساتهم ؟؟؟

- الواقع يقول . . لم يكن ـ حتى الآن ـ المسلمون على هذا المستوى تجاه مقدساتهم !!!

- المسلمون ليس لهم صوت في هذا العالم . . سيطول بهم الوقوف على أبواب مجلس الأمن ، وهيئة الأمم المتحدة . . نعم سيطول بهم الوقوف !! إذا لم يحققوا الأخوة الإسلامية . . فتحقيق الأخوة شكلاً ومضموناً وجوهراً وتطبيقاً يمكن أن يحقق لهذه الأمة الكثير . . .

- كل ذلك يتحقق من أرضية ثابتة وهي (الإيمان) الذي من خلاله تتولد الأخوة الإسلامية الصادقة بحيث يصبح الأخ المسلم شاعراً بألم أخ له في مكان ما . . وإذا خرج هذا الشعور ، ومثله الإحساس الصادق إلى حَيِّز التطبيق الفعلي امتزجت الأخوة هنا وهناك ، وتكونت الأمة الواحدة التي لا تفرقها حدود الأرض ، ولا حدود المسافات ، ولا جوازات السفر ، ولا اختلاف اللغات والألسن ، ولا تباين الألوان والأشكال . . وفي ذلك المعنى قال أستاذنا وشيخنا الدكتور/ يوسف القرضاوي . . في نفس

الصحيفة التي نشرت لي هذا الموضوع ، وهي جريدة العرب القطرية تحت عنوان :

« حاجتنا إلى تجديد الإيمان » :

. . . والإيمان كذلك هو الذي يوثق الروابط بين أهله فيجمعهم في ظل الأخوة ، ويصل بينهم بأوثق عرى المحبة ، فالإيمان رحم بين أهله كما قال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ وإذا كانت هناك أشياء تفرق بين الناس بعضهم وبعض ، من اختلاف العرق ، أو اللون ، أو اللغة ، أو الإقليم ، أو الطبقة ، أو النسب ، أو الثروة أو غير ذلك ، ما يحجز الناس بعضهم عن بعض ، فإن الإيمان بحرارته وقوته هو الذي يذيب هذه الحواجز ، ولا يعترف بها ، ويجعل من وحدة العقيدة رابطة فوق رابطة الدم أو أقوى ، ولحمة كلحمة النسب أو أوثق ، حتى إن المؤمن ليؤثر أخاه في العقيدة على أخيه من النسب بل على ابنه من الصلب . .

ثم يستطرد فضيلة القرضاوي قائلاً :

. . . وفي رحاب هذه الأخوة الكبيرة تختفي الأحقاد الصغيرة ، وتهون الدنيا التي يتهارش عليها الناس ، وهي أهون عند الله من جناح بعوضة ، وتنكمش مشاعر الحسد والبغضاء التي سماها النبي ﷺ « **داء الأمم** » وقال عن البغضاء بحق : إنها الحالقة ، لا بمعنى أنها تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين . .

وعند قول الله تعالى :

﴿ . . . **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾

يقول الدكتور القرضاوي :

. . . وهنا تتحول المشاعر الرقيقة من الأخوة والمحبة والإيثار إلى تلاحم في الخير ، وتراحم في السراء والضراء ، وتعاون على البر والتقوى . .

صوره النبي ﷺ بقوله :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضاً . . . « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

● أخي الصائم . . لعلك الآن تتفق معي على أن الأمة الإسلامية يزداد شعورها ـ في هذا الوقت بالذات ـ بحاجتها إلى إصلاح يتفق في منهجه وموضوعه مع المبادىء الإسلامية . . . وأعني بهذا أن أمتنا الإسلامية في حاجة إلى منهج في جو إسلامي . . . ولكنه ليس ككل منهج ، بل منهج إسلامي أصيل . . أي غير مستورد لا من الشرق ولا من الغرب ، وإنما يكون منهج عدل وقسطاس وخير وعز ومنعة يقوم على المبادىء الإسلامية لتحقيق الصفات السابقة ، ونحن لا نعترف ـ كمسلمين ـ بأية مبادىء لا تكون نابعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . .

. . . والإسلام ـ أخي الصائم ـ واضح وصريح لا لبس فيه ولا غموض ، ومن ثم فإن المنهج الذي نحن بحاجة إليه ـ في إجماله وشموله ـ أيضاً لا لبس فيه ولا غموض ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك منذ اللحظات الأولى للوحي . .

● فترى ـ أخي الصائم ـ أن الكلمة الأولى هي « اقرأ » . . وهذه كلمة تشير إلى الوسيلة الطبيعية والمنطقية للعلم . . وتكررت كلمة « اقرأ » تأكيداً على العلم وإشادة بالعلماء . . بل أصبح الشعار الإسلامي ـ أخي الكريم ـ شعاراً يفخر به كل مسلم ويعتز . . أتعرف هذا الشعار يا أخي ؟ : إنه [**رب زدني علماً**] .

- . . ولكن ـ أخي الصائم ـ نعلم أن هناك قيداً في الإسلام حول « اقرأ » نعم قيد . . وهو أن يكون العلم أو « اقرأ » « باسم ربك » ومن ثم كان العلم في الإسلام منطلقاً ، لا تحده حدود ، ولا تقيده قيود . . ولا شك أن كل ما كان « باسم ربك » فإنه في سبيل الخير وفي صالح الإنسانية جمعاء . . . أعني باختصار :
إذا كانت « اقرأ » إشارة إلى العلم فإن « باسم ربك » إشارة إلى « الإيمان » .

- يتضح من ذلك المفهوم أن المنهج الإسلامي في الإصلاح الاجتماعي ـ ولكي نستطيع تحقيق أخوة إسلامية سليمة صادقة صافية ـ يجب أن يرتكز على دعامتين أو على ركيزتين أساسيتين ، هما :
(١) نشـر العلـم (٢) تجديد الإيمـــان

- من حكمة بعثة رسول الله ﷺ أنه (يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) . هذا . . . . علم مع إيمـان

- ولنقرأ قوله تعالى في سورة الجمعة الآية الثانية :
﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ صدق الله العظيم

- هنا ندرك حقاً أن رسالة الإسلام . . رسالة العلم والإيمان . . والصلة بين العلم والإيمان ـ في الجو الإسلامي الصادق غير المتباين القسمات ، وغير المتناقض المعطيات !!! صلة قريبة جداً جداً لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر . . وسأضرب لك ـ أخي الصائم ـ مثلاً :

- . . . . نجد أن خشية الله تلازم العلماء المؤمنين ، فيقول الله تعالى في الآية رقم ٢٨ من سورة فاطر :

﴿ إنما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ ﴾ صدق الله العظيم

● . . . كذلك شهادة التوحيد . . وهي قمة الإيمان ، فإن العلماء المؤمنين يفوزون بشهادتها ، وقد قرنهم الله به ، وبملائكته في شهادتها فقال تعالى في سورة الرعد الآية رقم ١٨ :

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ﴾ صدق الله العظيم

● . . . هكذا يا أخي فكر معي وتدبر . . سنصل إلى نتيجة ميسورة وسهلة تقول : إذا كان العلم في الجو الاسلامي يتضمن جميع زوايا المعرفة فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة : أفضلها قول « لا إله إلا الله »

. . . وأدناها « إماطة الأذى عن الطريق » « والحياء شعبة من الإيمان » وإن من شعب الإيمان القوية :

تحقيق الأخـوة الإســـلاميـة

. . . والارتباط بين المسلمين على أساس من مبادىء الإسلام . . . فيقول الله تعالى :

﴿ إنما المؤمنون أخـوة ﴾

● إذن أخي الصائم . . طالما نحن بحاجة إلى إصلاح وفق منهج إسلامي أصيل ـ كما أسلفنا ـ وطالما أننا قد تشرفنا وازداد وجودنا إعزازاً بالإسلام . . فعلينا أن نحقق المبدأ الإسلامي السامي العظيم وهو « مبدأ الأخوة » الذي أعلنه القرآن الكريم ، وأعلنه الرسول الكريم ﷺ . . .

● هكذا ـ أخي الصائم ـ يتضح لي ولك أن الإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله للبشر ، والإيمان به ، والاستهداء في هذه الحياة بالمنهج السليم حتى يعم الخير . . . كل أرجاء الدنيا . . ولا يمكن أن يتم ذلك دون عقيدة إسلامية تقوم على التوحيد الخالص ، والعبودية الصادقة التي ينبغي أن تكون كلها لله وحده . . . والسلوك الإسلامي ينبغي كذلك أن

يحفظ وأن يصان ، ومجتمع المسلمين هنا أو هناك ينبغي أن يبقى خير المجتمعات . . فكيف تتحقق هذه الأهداف العظيمة في الإسلام ؟

● . . . لابد من تحقيق الأخوة الإسلامية أولاً لكي يشعر كل مسلم هنا بما يشعر به المسلم هناك . . ومن خلال هذا التلاحم العاطفي بين المسلمين جميعاً ، وفي الوقت الذي يؤمن كل مسلم بأن « الأخوة الاسلامية » ـ الصادقة وليست المنافقة أو المداهنة أو المتزلفة ـ اقتربت من الواقع الذي يعيشه المسلمون . . . عندها نقف لنقول : « نحن أمة واحدة . . كما أرادها لنا الله »

اليوم الرابع
٤ رمضان

الدعاء المستجاب
له وسائل تؤدي إليه

أخي الصائم . . من البديهي أن المخلوق عاجز عن تحقيق آماله ، فتجده يلجأ إلى قوة أخرى يرجو منها تحقيق آماله وأمانيه ، وإذا استعرضنا تاريخ البشرية كله سيتبين لنا أن الإنسان ـ هو المخلوق الضعيف ـ مهما أوتي من قوة في الجسم ، أو زيادة ووفرة من مال ، أو شهرة وسطوة في جاه . . أو حرم من القوة والمال والشهرة والجاه . . فهو يبحث عن قوة لتحقيق ما يطمح إليه ، وتنفيذ ما يرغبه ، فتاره يخطىء بكفره ، وتارة يصيب بهداه . . ومن أجل ذلك عنيت الرسالة الإسلامية ، رسالة السماء إلى الأرض بتوجيه الناس جميعاً إلى الله الواحد القهار ، فأمر سبحانه الناس بدعائه ليشعروا بالطمأنينة والراحة النفسية ، فقال تعالى في سورة غافر الآية : ٦٠

﴿ . . وقال ربكم ادعوني استجب لكم . . ﴾

● . . . ودون الولوج في المعنى العام للدعاء أو تفسير ما قد قرأته ـ أخي الصائم ـ في بعض الكتب ، كتب التفاسير ، حول هذه الآية الكريمة . . . فإنني أدعوك أن تقف معي أمام قول أحد الصالحين . . .

وهو إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه عندما جاءه أهل البصرة يقولون له :

. . . قال الله تعالى : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾

● ومالنا منذ دهر ندعو الله فلا يُستجاب لنا ؟

. . . . فماذا تتوقع ـ أخي الصائم ـ أن يكون رد إبراهيم بن أدهم عليهم ؟

قال لهم بلسان المؤمن المخلص لدينه ولربه وعقيدته :

. . . يا أهل البصرة . . ماتت قلوبكم في عشرة أشياء ، فكيف يُستجاب لكم ؟

● أتعرف ـ أخي الصائم ـ ماهي هذه العشرة أشياء التي ذكرها لهم رضي الله عنه ؟

تدبر معي أرجوك . . . قال لهم :

١ ـ عرفتم الله فلم تؤدوا حقه !!

٢ ـ وقرأتم القرآن ولم تعملوا به !!

٣ ـ وادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه ووافقتموه !!

٤ ـ وادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها !!

٥ ـ وتقولون أنكم أمة محمد ولم تعملوا بسنته !!

٦ ـ وادعيتم النجاة من النار ، ورميتم أنفسكم فيها !!

٧ ـ وقلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له !!

٨ ـ وانشغلتم بعيوب الناس ، وتركتم عيوبكم !!

٩ ـ وأكلتم نعمة الله ولم تشكروه !!

١٠ ودفنتم موتاكم ولم تتعظوا . . !!

● ألا يكون حالنا اليوم ـ يا أخي في الله ـ مثل حال أولئك الذين خاطبهم إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه !! حقيقة يا أخي فإن هذا الحال ، هو ـ للأسف ـ حال المسلمين اليوم ـ إلا من رحم ربك ـ . .

● وبنظرة فاحصة وسريعة إلى ما نعيش تياراته وموجاته وسط عالم يموج بالمتناقضات ، ستدرك أن عقلك ـ أخي ـ لا يقف أمام منطق ، ولا يسكن وجدانك عند موقف ، ولا تسر عينك عند مشهد ، ولا تشنف أذنك عند مسمع !! وستدرك ـ يا أخي ـ إلى أي حد وصلنا نحن المسلمين ، وإلى أي منزلق ومنحدر قذف بنا قارب الحياة اللاهية . . فأصبح حالنا حقيقة كحال أهل البصرة ـ بمنطق إبراهيم بن أدهم ـ « إلاّ من عصم ربك » :

* نعرف الله ولا نؤدي حقه !!
* ونقرأ القرآن ولا نعمل به !!
* ونعادي الشيطان ـ ادعاءً ـ ونحن نطيعه ونوافقه !
* وننشغل بعيوب غيرنا . . والعيب فينا !!
* وكل يوم تقريباً ندفن موتانا . . ولا نتعظ !!!
* وندعي أننا من أمة محمد ﷺ ولا نعمل بسنته !!

فكيف يُستجاب لنا ؟؟ !!!

● حقيقة ـ أخي الصائم ـ أن الرسول الكريم ﷺ كان يدعو لنفسه ولأمته وللمسلمين ، وحقيقة أن الله سبحانه وتعالى حثنا على أن نلجأ إليه بالدعاء ، ولكن الذي ينبغي أن ندركه كمسلمين مؤمنين ، هو أنَّ لاستجابة الدعاء وسائل تؤدي إليها . . . وللأسف ففي أكثر الأوقات ينسى الناس ذلك ، ويدعون دون الأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى الاستجابة . . ثم يتساءلون كما تساءل أهل البصرة من قبل !! والإمام إبراهيم بن أدهم ـ ياأخي ـ في رده على أولئك الذين سألوه وأجابهم . . يتناسق مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . . فلقد بَيَّنَ رسول الله ﷺ الوسائل التي تؤدي إلى استجابة الدعاء . . نذكر منها :

● « طيب المطعم » فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : تليت هذه الآية عند النبي ﷺ ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ﴾

فقام سعد بن أبي وقاص فقال :
ـ يارسول الله ، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال ﷺ :
« يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به . . » .

● « التوبة النصوح » قال تعالى في سورة النور الآية : ٣١
« وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفحلون »
وقال تعالى في سورة هود الآية : ٩٠
« استغفروا ربكم ثم توبوا إليه »
ويقول جل وعلا في سورة التحريم الآية : ٨
« يا أيها الذين آمنو توبوا إلى الله توبة نصوحاً » صدق الله العظيم
. . . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »
وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها » والمقصود هنا أن الله يقبل التوبة من العبد حتى تقوم الساعة .

● « ذكر الله وتسبيحه وقراءة القرآن »
قال تعالى في سورة البقرة الآية : ١٥٢
« فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »
وقال تعالى في سورة الأحزاب الآية ٤٤ :
« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبّحوه بكرة وأصيلاً ، هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً ، تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعدَّ لهم أجراً كريماً » .

ويقول نبينا ومعلمنا ﷺ « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إليَّ بشبر تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » صدق رسول الله ﷺ ـ رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ويقول تعالى في سورة الإسراء الآية رقم ٤٤ ليحثنا ـ أخي الصائم ـ أن نكون من المسبحين بحمده سبحانه :

﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنَّ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ .

ويقول النبي ﷺ : « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه » رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وفي فضل قراءة القرآن الكريم يقول تعالى في سورة الواقعة الآية ٧٧ :

﴿ إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين ﴾

ويقول تعالى في سورة الإسراء الآية ٩ :

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين ﴾

ويقول تعالى في سورة محمد الآية ٢٤ :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾

وهذا ـ أخي الصائم ـ يوضح لنا عظمة القرآن الكريم ومابه من نفع لنا في دنيانا وأخرانا ، ولن ندرك ذلك أبداً إلا بتدبره وتفهمه الفهم الصحيح ، فهو طرف في أيدينا ، والطرف الآخر بيد الله تعالى ، وهذا يستوجب أن نفرح بالتدبر والتفهم لأننا نكون آنئذٍ في معية الله تعالى . . ومن كان في

معيته تعالى لن يضل ولن يشقى ولن يجني من هذه الحياة إلا الخير . . فما أحوجنا إلى تدبر القرآن ، وجعله الأنيس الأول في حياتنا ، وكل أنيس غيره هباء وخواء ، يقول رسولنا الكريم ﷺ : « **أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به ، فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً** » رواه الطبراني عن جبير رضي الله عنه . .

ويقول ﷺ : « يقول الرب تبارك وتعالى . . . من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » رواه الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه .

أخي الصائم . . لعل في الحديث القدسي الشريف مايرسم لي ولك الطريق إلى استجابة الدعاء فاستمع معي إلى ما يقوله الرسول ﷺ عن رب العزة : « من عَادىٰ لي وليّاً فقدآذَنْتُهُ بالحرب ، وما تقرَّبَ إليَّ عبْدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مِّما افترضتهُ عليه ، ومايزالُ عبدي يتقرّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يسمَعُ به ، وبصَرَهُ الذي يُبْصرُ به ، ويَدَهُ التي يبطشُ بها ، ورجْلَهُ التي يمشي بها ، ولئن سألني لأُعطينَّهُ ، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّهُ » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه البخاري

وهناك أمور ـ أخي الصائم ـ تمنع استجابة الدعاء بل تؤدي إلى الكوارث ، فارتكاب بعض الناس الكثير من المعاصي ، واستمراريتهم على نهج الشيطان ، وتأرجح سلوكياتهم وسط تيارات تجرفهم تارة إلى اليمين وتارة أخرى إلى اليسار . . ثم يدعون الله ، هذا ـ لعمري ـ قمة التبجح والقحة . . فالعبد المؤمن بحق ويقين يحرص كل الحرص أن يكون أبيض الصفحة ناصعها ، فلا يقترب من دنس القول أو دنس الفعل حتى يجد نفسه عند رفع أكف ضراعته لله تعالى . . طاهراً مطهراً يأنس

إلى ذاته ولا يتحرج من الدعاء لأنه عندئذٍ يكون في حياء مع الله سبحانه وتعالى . . . أما أن يرتكب السوء وهو يعلم أنه سوء فهذا يعود به إلى قصتنا التي سقناها مع إبراهيم بن أدهم عندما خاطب أهل البصرة . . . وحول هذا المعنى أقف معك ـ أخي الصائم ـ عند قول الله تعالى في سورة الشورى ٣٠ ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾ وقوله سبحانه في سورة النساء ٧٩ ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾

ويقول جل وعلا في سورة فاطر الآية : ٤٥

﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة** ﴾

ويقول جل وعلا في سورة الأعراف الآية : ٩٦

﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** ﴾

وهذا رسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يقول :

« **والذي نفسي بيده ، مامن خدش عود ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر** »

إذن ـ أخي الصائم ـ وقد وضح الطريق أمامك في أمور الدعاء وأنت تعيش أجمل أيام عمرك وأفضل أوقات عامك . . وأنت بين رحاب رمضان المعظم . . نفهم معاً أن استجابة الدعاء مرهونة بترك المعاصي ، وترك الذنوب ـ ليس تركاً سلبياً ـ لأن ترك الفرائض ذنب ، ونفهم يا أخي في الله أن ترك الذنب يتضمن أداء الفرائض ، وكما أن ترك الواجبات ذنب ، فإن ترك الذنوب أيضاً يتضمن القيام بالواجبات . . من هذا ـ أخي الصائم ـ نفهم أن ترك الذنوب معناه الاستقامة ، فإذا ما وصلنا إلى الاستقامة فقد أصبح الفرد في رعاية الله وفي عنايته ، يستجيب له إذا دعاه ، ويعيذه إذا استعاذه . . .

وتذكر ـ أخي الصائم ـ ونحن نعيش وقتاً عصيباً . . وعصراً يرحمنا الله فيه . . تذكر معي أن استجابة الدعاء وتيسير الأمور كما يكون للأفراد يكون للمجتمعات والأمم إذا استقامت فيقول الله تعالى في سورة الأحقاف الآيتين رقم ١٣ ، ١٤ :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون ﴾

إذن ـ أخي الصائم ـ الاستقامة للفرد والمجتمع . . هي أول الطريق . . وفي هذا المقام لا يفوتني أن أذكر لك يا أخي في الله أن أبا عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله . . قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال المصطفى ﷺ : **﴿ قل آمنت بالله ثم استقم ﴾** والعلماء ـ يا أخي ـ يقولون في معنى الاستقامة . . أي لزوم طاعة الله تعالى : فالتزم ـ يا أخي ـ طاعة الله تعالى ، وأكثر من الدعاء والتضرع بعد الأخذ بأسباب الاستجابة والتيسير ، والله يتقبل منا كل عمل يقربنا من عفوه ورضاه . . آمين » .

اليوم الخامس
٥ رمضان

بامتثالك أوامر الله
واجتنابك نواهيه

.. تحفظ نفسك ..

أخي الصائم . . هناك حقيقتان على درجة كبيرة جداً من الأهمية تفرضان علينا ـ نحن المسلمين ـ أن تستيقنها نفوسنا وعقولنا باعتبارهما مقدمة ضرورية لكل من يحب الإسلام ويدخل فيه مؤمناً فيعتنقه ويدافع عنه . . وهما :

الحقيقة الأولى : « الشريعة الإسلامية شريعة إلهية عالمية »

الحقيقة الثانية : « الحكم بها وتنفيذ أحكامها فريضة لاخيار في تركها والتخلي عنها أو استبدال أحكامها بأخرى . . »

ومن ثم ـ أخي الصائم ـ فالشريعة الإسلامية من الحقائق التي تتمتع بدرجة بالغة الأهمية ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بمسؤولياتنا نحن المسلمين ، وهي تفرض صحوة ويقظة دائمتين للحفاظ على ديننا القويم من أن تمتد إلى أحكامه يد المغرضين الملحدين المنافقين بالتغيير والتبديل ، أو الاستبدال والتعطيل . .

ولما كانت ـ أخي الصائم ـ الشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة حيث لا تأتي بعدها شريعة أبداً ، فهي إذن كفيلة بمواجهة متطلبات البشرية وحاجاتها . . وهذا القول يدركه تماماً أولئك الذين صحت فطرتهم ، وخلص إيمانهم ، وحَسُن إسلامهم ، وابتعدوا عن خبث ومكر الماكرين . . لأن هذا

المعنى الجميل الذي سقناه يرجع إلى حقيقة بسيطة تقول :

« إن أحكام الشريعة التي جاءت بها . . إنما جاءت لتحفظ الدين ، وتحفظ العقل ، وتحفظ النسل ، وتحفظ المال ، وتحفظ العرض . . . نعم . . لأنها من عند الله عالم الغيب والشهادة ، وهو سبحانه أحكم الحاكمين ، وأعلم العالمين ، وعلمه جل شأنه أحاط بكل شيء . . بالمصالح جميعها » وربما يدور بذهنك ـ أخي الصائم ـ سؤال عن عالمية الشريعة ؟؟ وببساطة وإيجاز شديدين أقول لك : إنه طالما أن شريعتنا شريعة خاتمة ـ كما أسلفنا ـ فهى إذن لم تكن لهذا الشعب مثلاً أو ذاك فحسب ، ولا لهذه الأمة أو تلك فحسب ، ولا لهذا الجنس أو لهذا اللون . . بل هي للناس كافة للعالمين . . إذن هي عالمية ، ولما كانت هذه الشريعة السمحة هي من عند الله فهي شاملة لكل أمور البشر دينية ودنيوية من أحكام عقائد ، عبادات ، أحكام تنظيم الدولة ، الجماعة ، تحديد العلاقة بين الأفراد بعضهم ببعض ، وأيضاً علاقات الدول في حالتي الحرب والسلم . . الخ ومن هذا المنطلق ـ أخي الصائم ـ نرى أن الشريعة الإسلامية مقصود بها إسعاد البشر ليس في الدنيا فحسب بل وفي الآخرة . . لأن في التمسك بشرع الله والعمل به مايجعلنا في رعاية الله ورحمته ، ومن كان في رحمة الله ورضوانه سعد في الدارين .

- من خلال هذا الفهم للشريعة يتضح لنا أنها وحدة واحدة لا تقبل التجزئة ، وهي جملة لا تسمح بالانفصام ، ووجوب إقامتها ـ أقصد إقامة أحكامها ـ ما يمكن معه تحقيق الأمن والأمان والاستقرار في أي مجتمع يحتكم إلى هذه الشريعة الغراء التي هي من عند الله تعالى الذي أراد لأمة المسلمين السعادة في هذه الدار الفانية ، وفي تلك الدار الآخرة الباقية . . ما بقينا على أحكامه سبحانه من أمر ونهي . . فلا طاعة إلا لله ، ولا امتثال إلا لأحكام الله أمراً ونهياً :

- واقرأ معي ـ أخي الصائم ـ قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية ٣٦ :
﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ صدق الله العظيم

- بعد قراءتك ـ يا أخي ـ لهذه الآية الكريمة بتدبر وتفهم ستدرك أنها آية عامة شملت جميع الأمور ، وذلك لأنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ، ولا اختيار لأحد ، ولا رأي لأحد . . مجرد رأي ولا قول مجرد قول ، وحسبي هنا قوله تعالى في سورة النساء الآية ٦٥ :
﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾

- وهذا رسولنا الكريم ﷺ يقول :
﴿ والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ﴾ .

- أرأيت إلى أي حد ـ يا أخي ـ يكون التحذير من ارتكاب ما نهى الله عز وجل ورسوله ﷺ عنه . . ألم أقل لك في البداية أن الامتثال لأوامر الله فيه حفظ النفس والعرض والعقل والمال والنسل ، ومن ثم وجب عليك يا أخي أن تتدبر معي قوله تعالى في سورة النور الآية ٦٣ محذراً سبحانه من ارتكاب ما نهى عنه :
﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ﴾ وقوله في سورة آل عمران الآية ٢٨ : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ وقوله سبحانه في سورة البروج الآية ١٢ : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ وقوله سبحانه جلت قدرته صاحب القدرة والأمر والنهي في سورة هود

الآية ١٠٢ : ﴿ وكذلك أخذُ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إنَّ أخذه أليم شديد . . ﴾ صدق الله العظيم

وهذا رسولنا الحبيب المصطفى صلوات اللهوسلامه عليه يقول : « إن الله تعالى يَغَارُ وَغَيْرَةُ الله أن يأْتي المرء ما حرَّم الله عليه » متفق عليه . .

- ومن أجل ذلك ـ يا أخي ـ وجهنا الله سبحانه وتعالى إلى الأسلوب الذي نتبعه عند ارتكابنا أمراً . . فيه نهي . . ففي سورة الأعراف الآية ٢٠٠ يقول ربنا سبحانه وتعالى :

﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾

- وقال تعالى في سورة الأعراف أيضاً الآية ٢٠١ :

﴿ إن الذين اتَّقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ صدق الله العظيم

- إذن ـ يا أخي ـ وجب علينا إذا كنا نحترم وجودنا كبشر نعيش على هذا الكوكب الذي لا يملكه إلا رب العالمين بما فيه ومن فيه . . وجب علينا ونحن ضعفاء ليس لنا قوة إلا بقوة الله ، وليس لدينا مدد إلا بمدد الله وعونه ، وليس لنا سلاح إلا بسلاح العقيدة . . . وجب علينا وحالنا من فقر لله وضعف وذل حيث لا عز إلا به سبحانه أن نمتثل أوامره ونجتنب نواهيه لخيرنا نحن وعزنا نحن ومصلحتنا نحن . . وتعال معي ـ أخي الصائم ـ لنتساءل بهدوء . . « كل شيء وضع في هذه الحياة ، له حكمة أو هدف . . والشريعة الغراء قد وضعت أيضاً لحكمة ومصلحة . . فإذا سألنا أنفسنا لمن تعود هذه المصلحة ؟؟ !!

لا شك يا أخي أن المصلحة هنا تكون راجعة إلى الله أو تكون راجعة إلى العباد !! . .

وفوراً ـ يا أخي ـ ستبادرني أنت قائلاً :
كيف تكون المصلحة راجعة إلى الله تعالى علواً كبيراً ؟

أجيبك يا أخي بأن رجوعها إلى الله جل شأنه أمر محال لأنه جلت قدرته غني ، ويستحيل عود المصالح إليه ، فهو سبحانه يقول في سورة الحج الآية ٦٤ : ﴿ **له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد** ﴾ ويقول سبحانه وتعالى في سورة فاطر الآية ١٥ : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد** ﴾ صدق الله العظيم

فلم يبق إذن إلا رجوع هذه المصلحة إلى العباد . . وبمقتضى أمر الله لا على مقتضى أهوائهم وشهواتهم ، وهنا ندرك أن هذه الشريعة الغراء وضعت لتخرج المكلف منا نحن المسلمين عن داعية هواه من أجل أن يكون عبداً لله اختياراً ، كما هو عبد الله اضطراراً . . ثم يبقى سؤال . . ماهو حق الله علينا نحن العباد الضعفاء الفقراء إليه سبحانه :

الجواب ـ يا أخي ـ بسيط . . وبسيط جداً . . أن نعبده ولا نشرك به شيئاً ، ولكن يستتبع ذلك سؤال آخر ينبغي أن تجيب عليه أنت ـ أخي الصائم ـ والسؤال يقول :
بأي شيء أو كيف تكون عبادتك لله ؟؟
حقيقة يا أخي فإنني كعبد ضعيف يمكن أن تكون إجابتي كالآتي . . أما إجابتك أنت فربما تتفق مع إجابتي أو تختلف عنها ، ولكن لا يمكن أن تختلف عن الجوهر أبداً . .
عبادتي لله تكون بامتثالي أوامره واجتناب نواهيه . .
لأحفظ نفسي . . .
وأحفظ ديني . . .

وأحفظ عقلي . . .

وأحفظ عرضي . . .

● والأمر والنهي نجده في كل ميادين الحياة . . . في المنزل أمر ونهي ، في العمل أمر ونهي ، في المصنع أمر ونهي ، في المدرسة أمر ونهي ، في المتجر أمر ونهي ، في الطريق العام أمر ونهي ، في الحرب والسلم أمر ونهي ، في تجارتنا وزراعتنا أمر ونهي . . وبقدر ما نتمثل ـ أخي الصائم ـ لأوامر الله تكون سعادتنا ورقينا وراحتنا ، وبقدر ما نتجنب نواهيه سبحانه يكون مجتمعنا ناجحاً ناضجاً ، وحسبي في هذا المقام أن أختتم لك ـ أخي الصائم ـ هذه السطور بجزء يسير من الذي قاله شيخنا وأستاذنا الفاضل محمد الغزالي في كتابه « مشكلات في طريق الحياة الإسلامية » :

الإسلام رسالة توجب على معتنقيها أن يجعلوا مجتمعهم أجدر بالحياة ، وأقدر على النجاح . . . وعندما ننظر إلى العبادات السماوية نجد أداءها في اليوم والليلة يستغرق نصف ساعة ، ونجد تعاليمها تستغرق صفحة أو صفحتين ، ويبقى الزمان بعد ذلك واسعاً ، والمجال رحباً لفهم الحياة واكتشاف طاقاتها ، وتسخيرها كلاً وجزءاً لخدمة الدين . .

ثم يستطرد شيخنا قائلاً :

والصالحات المطلوبة تصنعها فأس الفلاّح ، وإبرة الخيّاط ، وقلم الكاتب ، ومشرط الطبيب ، وقارورة الصيدلي ، ويصنعها الغوّاص في بحره ، والطيار في جوّه ، والمحاسب في دفتره ، . . يصنعها المسلم صاحب الرسالة وهو يباشر كل شيء ، ويجعل منه أداة لنصرة ربه وإعلاء كلمته . . .

هكذا أخي الصائم فشريعتنا ، وعقيدتنا . . شريعة غراء سمحة ، وعقيدة واضحة لا لبس فيها ولا غموض . . ومن خلال هذا المفهوم الشامل يتضح لنا أن امتثال أمر الله ، واجتناب نهيه . . . لمصلحتنا نحن ، ولسعادتنا نحن . . وعش حياتك يا أخي كما يحلو لك العيش . . عشها في كل المجالات التي ذكرها شيخنا الفاضل/ محمد الغزالي في شرحه السابق . . عشها كيفما تحلو لك الحياة . . المهم هو حفظك لنفسك . . ولن تحفظ نفسك إلا إذا راقبت الله في كل صغيرة وكبيرة في طريق الحياة . . والله يهدينا وإياك إلى حفظ نفوسنا وعقولنا وأعراضنا إنه نعم المولى ونعم النصير . .

اليوم السادس
٦ رمضان

الإسلام.. شخصيتنا

أخي المسلم . . من بديهيات الرجل المسلم أن يعرف لنفسه قدرها ، ولذاته احترامها ، وذلك لكي يعرف الآخرون قدره ويحترموه . . القريب منهم والبعيد ، والصديق والعدو . . والمرء الذي لا يحترم نفسه ، يحياها حياة الهوان . . والإذلال أمام ذاته ـ لو كان صادق الشعور مع نفسه ـ وإلى هذا المعنى قصد الشاعر الذي قال :

« إذا أنت لـــم تعـــرف لنفســك حقها
هواناً بها كانت على الناس أهونا »

وفي ذلك أيضاً قال الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى الذي عرف بالعفة والالتزام ، وإلقاء الحِكَم . . وهو الذي عاش حياته كلها شريفاً شهمًا كريماً ، فماذا قال في هذا المقام :

« وَمَن يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُواً صَدِيقَهُ
وَمَنْ لا يُكَرِّم نَفْسَهُ لاَ يُكَرَّم »

هكذا ترجم زهير الأحاسيس البشرية أجمل ترجمة . . وحقاً فإن الإنسان الذي لا يكرم نفسه بتجنب الدنايا سوف لا يكرمه الناس . .

● وكثير من الشباب المسلم في هذا العصر تراهم يهيمون بأفكار وأقوال بعض الفلاسفة الملحدين وغير الملحدين ، وتراهم يستشهدون بأقوالهم ، وفي مواضيع شتى ، وكأنهم بهذا الفعل ، أو ذاك الاستشهاد قد بلغوا قمة الفكر وذروة الفلسفة !! علمًا بأن هناك من أفذاذ المسلمين ، وفطاحل اللغة ، وأساطين البلاغة على اختلاف مراحل التاريخ الإسلامي . . لم يكن يطيب لهم الاستشهاد ـ وقت لزومه ـ إلا بالقرآن الكريم ، أو أحاديث رسول الله ﷺ الشريفة ، وعلى ما يبدو أن مثل هؤلاء الشباب الذين يجرون وراء كل ناعق ، ويحسبون أنفسهم على الإسلام مع هيامهم بأعداء الإسلام ـ من حيث يدرون ، أو من حيث لا يدركون ـ قد جرفهم تيار العصرية . . ولم ينتبهوا إلى ما تشغله أمتهم من حيز كبير سواء من الناحية المادية أو المعنوية بين الأمم ، ولم يفيقوا بعد من سكرة غرورهم بالعصرية السلبية ، حيث أعمتهم أفكار الفلاسفة المغرضين عن الحقيقة الهامة والخطيرة وهي أن الأمة الإسلامية . . حملت للإنسانية كافة . . . « الدعوة الخالصة ، والرحمة العامة » وهذا ـ لعمري ـ شيء خطير في ظل واقع مر . . . مرارة الحنظل !!! ألم يسمع هؤلاء الشباب قوله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ البقرة ١٤٣ ـ بالطبع قرأوها كثيراً ، واستمعوا إليها كثيراً ، ولكن عدم التدبر لمفهومها ، وعدم التفهم ، وربما عدم الإدراك لمراميها وجوهر مكنونها العظيم جعلهم يحيونها حياة التقليد الأعمى لهذه الفكرة أو تلك ، معتمدين أو مغرورين بمفهوم واحد لاثاني له أنهم « مسلمون » وكفى !!! ولكنهم لو أدركوا أن مثل هذه الآية الكريمة تثبت أن أمتهم . . خير أمة ، وأجود أمة ، وأن الله سبحانه عندما جعل هذه الأمة وسطاً . . خصها بأكمل الشرائع ، وأقوم المناهج ، وأوضح المذاهب كما قال تعالى في سورة الحج الآية ٧٨ :

﴿ **هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو**

سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكونَ الرسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداءَ على الناس ﴾ .

- . . . أيضاً لو علم هؤلاء الشباب أن سيدنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه اعتز بأمته ، وأفراد أمته ، فعن ابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « **أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ، ما من الناس أحد إلا ودَّ أنه منا ، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن شهداء أنه قد بلّغ رسالة ربه عز وجل** »

أقول : لو علم الشباب الذين نعنيهم « بالهيام بأفكار الفلاسفة المغرضين الخبثاء » لو علموا ذلك الذي قلناه ، وهو غيض من فيض ، حيث كتابنا الكريم وسنة رسولنا الكريم ﷺ . . . فيهما كل مثل حي . . لرجعوا عن غيهم وهيامهم ، وكوّنوا لأنفسهم « شخصية مسلمة » من خلالها قامت نهضة الأمة الإسلامية الأولى ، فليس أرقى من نهضة قامت على العلم والإدراك الصحيح ، والتفهم القوي الواضح ، ولا أبقى من حضارة كانت الحكمة دليلها ، ولا أخلد من أمة قامت على طهارة النفس ، وسلامة العقل . . .

- ولتكوين الشخصية المسلمة في مجتمع ما . . لابد من وجود الأسوة أولاً ، ولابد من أن يقترن التعليم بالتربية ، ولابد من التعود على الأعمال الحسنة التي تطبع في النفوس ملكات الخير . . . وكل ذلك وغيره ـ بلا شك ـ في حاجة إلى إعادة نظر في مجتمعاتنا الإسلامية ، وفي شبابنا المسلم ، وسط تيارات تموج بين مدّ وجزر . . .
- نعم في غمرات العصر أضحى الشباب اليوم خاضعاً لمختلف التأثيرات السياسية والفكرية والاجتماعية في إطار هذا العالم الكبير المصطرع المتخاصم ، حتى عادت « دار الإسلام » دوراً مختلفة ، والأصل أن تكون

داراً واحدة ، ومع ذلك بقي المعنى الإسلامي قائمًا بينها في شكل أخوَّة ولكنها متراخية ، لا ممارسة لها في جوهر الحياة للأمة الإسلامية « ككل » !! . .

وسط كل هذه الأوجاع يستوجب علينا أن نجد حلاً سريعاً وناجحاً وفق تخطيط مدروس وموضوعي لكي نخلص شبابنا ، أو بعض شبابنا من غمرات العصر التي يعيشونها ، والتي تستلب منهم شكلاً ومضموناً « شخصيتهم المسلمة » .

- نعم . . يمكنك أن تردّ عليَّ ـ أخي الصائم ـ قائلاً : بأن الإصلاح يجب أن يبدأ من الفرد . . . وهذا حق . . . وكلامك هو عين العقل ، ولكن ـ ياأخي في الله ـ وإن كان الإصلاح ، أو بداية الانطلاق في تكوين « شخصية المسلم » يبدأ من أعماق أعماق الشخصية ، ومن ذات شعورها ، فإنه لا يتم ، ولا يتكامل إلا أذا شمل كل فرد . . لأن من مجموع الأفراد تتكون « الجماعة » ومن تكوين الجماعات . . . تنشأ المجتمعات ومن ثم نستطيع أن نطلق على هذا المجتمع أو ذاك « القوم » والإسلام كدين شامل موجه للإنسانية جمعاء . . يعتبر كل المسلمين . . جمعاً واحداً . . لأنهم يدينون بدين واحد ، وعقيدة واحدة ، ويطبقون شرعاً واحداً .
- الخلاصة هنا أنه لابد من منهاج يرسم خطوط الإصلاح ، وبرنامج يضبط سلوكه . . . ونحن هنا ننطلق من حقيقة واقعية منطقية في إعداد الشاب الصالح . . . هذه الحقيقة العلمية تقول : « الانطلاق في إعداد المواطن الصالح لا يسوغ أن يترك لاجتهادات العامة ، أو أمزجة الخاصة !! بل لابد له من خطط مرسومة ، تقوم بوضعها فئات مخلصة مؤمنة قديرة جديرة بمثل هذا العمل العظيم »
- وأذكرك ـ أخي الصائم ـ أن هناك أصلاً ثابتاً ، ومدداً دائمًا ، وحافزاً دافعاً وموجهاً مرناً واسع الآفاق لكل نشاط إسلامي ، أو إصلاح اجتماعي ، وإذا

كنا نريد « شخصية مسلمة حقيقية . . كما أرادها الإسلام » علينا بهذا الأصل وهذا المدد الدائم وهو « كتاب الله . . . وسنة رسوله ﷺ » . . . ولمحة بسيطة إلى الفرد المسلم ، وإلى المجتمع المسلم ـ أي فرد وأي مجتمع ـ ندرك فوراً أنه بقدر تمسك أي مجتمع بكتاب الله ، بقدر ما تكون سعادته ورقيه وفوزه ، وعلى العكس مباشرة تجد الشقاء والضنك والهم والغم والحزن والبؤس والذل والمهانة في كل مجتمع يبتعد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . . .

- وهنا ـ أخي الصائم ـ يجب أن نفرق بين الإسلام والمسلمين ، حتى نقوّت الفرصة على كل مغرض خبيث ، فالإسلام كنظام وعقيدة وتاريخ ، والمسلمون كموجات بشرية مختلفة الأجناس والألوان واللغات ، عمرت أرجاء العالم الإسلامي منذ بعثة سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ حتى اليوم . . . وهناك فرق بين موقف الحكومات الإسلامية في أنحاء المعمورة ، وبين موقف الشعوب الإسلامية .
- إلا أن الإسلام كدين فيه سعادة البشر . . . . فنحن عندما نقول : هذا شباب مسلم . إنما نعني أنه في حظيرة الإسلام ، أو من أفراد دار الإسلام ، أو أمة الإسلام وعندما نقول : هذا هو الإسلام . . . إنما نعني الدين ذاته . . . والعقيدة ذاتها والشريعة بجوهرها . . .
- . . . والمسلمون اليوم ـ عندما يتأملهم المتأمل ـ يتأملهم في واقعهم ، يلحظ أنهم في حاجة إلى استئناف حياة إسلامية ، تحكمها الروح الإسلامية ، واسترجاعك ـ أخي الصائم ـ للماضي البعيد أو القريب على حدٍ سواء ، وإلى الواقع الإسلامي المعاش ، ستتذكر معي قول رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه :

« رحم الله امرءاً عرف زمانه واستقامت طريقته »

وفي نور هذا الحديث الشريف ينبغي أن نعمد إلى إعادة تنفيذ وتطبيق

الإسلام على أسسه القوية المتينة الثابتة .

- يجب على الشباب المسلم اليوم أن يعرف الكثير ، والكثير جداً عن دينه الإسلامي بماضيه وحاضره ، يجب أن يقرأ الكثير والكثير عن الإسلام وأوضاعه السياسية ، يجب أن يقرأ ويتدبر كل ما كتب عن الإسلام ، يجب أن يعلم الشباب المسلم أنه في هذه الغمرات التي يعيشها الآن ، وبسبب الفرقة والانشقاق أضحى المجتمع الإسلامي مجتمعات عدة تخضع لمختلف التأثيرات السياسية والفكرية والاجتماعية ، في إطار العالم الكبير المصطرع المتخاصم ، حتى عادت « دار الإسلام » دوراً مختلفة تكاد كل منها تنحصر في إطاراتها الخاصة بها ـ كما سبق وأسلفنا ـ ومع ذلك نقول نقلاً عن كتاب « حيثما يكون الإسلام » لمؤلفه . . . البروفسور جب :

« إن الإسلام ما زال في قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة ، وليس هناك أية هيئة سواه يمكن أن تنجح نجاحاً باهراً في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة » .

- إذن ـ أخي الصائم ـ إسلامنا يكوّن الشخصية ، تكويناً عاماً بداية من الاهتمام بالفرد المسلم قبل ولادته ، ثم طفولته حتى مرحلة الشباب ونهاية بمرحلة الشيخوخة . . . ثم اهتم بالفرد المسلم جسمياً ورياضياً وعسكرياً ثم اهتم به روحياً ، ثم كفل للفرد المسلم حقوقاً اجتماعية ينمي من خلالها وبها « شخصيته المسلمة » ولنضرب لكل ماذكرنا أمثلة موجزة .

١ ـ اهتمام الإسلام بالفرد في طفولته :

. . . اهتم الإسلام بالفرد المسلم بعد ولادته ، فأمر برعايته مادياً . . . ومعنوياً لينمو نمواً حسناً ، ونبتاً أحسن ، فقد حدد الواجبات لكل أفراد الأسرة من الوالدة والوالد حتى الأقارب ، فقال تعالى في سورة البقرة الآية ٢٣٣ :

﴿ والوالداتُ يُرضِعن أولادَهن حَوْلين كاملين ، لمن أرادَ أن يتم الرضاعَةَ ،

وعلى المولودِ له رزقُهن وكسوتهُن بالمعروف ، لا تُكَلَّفُ نفسٌ إلاَّ وسعها ، لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴾ .

وهذا هو رسولنا الكريم صلوات الله عليه وسلامه يقول :

« كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت » « رياض الصالحين » وتضييع الإنسان لمن يقوت . . . يكون بعدم الإنفاق عليه أو بالإهمال في تربيته تربية دينية سليمة ـ كما نرى اليوم للأسف !!

- ومن مظاهر اهتمام الإسلام بتربية الطفل أنه جعل حضانته في سنيِّه الأولى إلى الأم ما دامت أهلاً وثقة لذلك ، لأن الطفل في هذا السن يكون في حاجة إلى كل حنان وكل رعاية وكل عطف . . . أما اليوم فإلى مَنْ يترك الطفل ـ يا أخي الصائم ـ ؟؟ إلى من يسمونهم « المربيات » ومن ثم فالأم تعطي طفلها الحنان والرعاية . . . بالتقسيط المريح !! الذي لايبعدها ولا يرهقها . . لا يبعدها عن عملها المهول الذي تخطط من خلاله لمعركة تحرير القدس الشريف !!! ولا يرهقها من حيث بقاء جسدها في لياقة دون الترهل !!! وهذا موضوع سنناقشه ـ أخي الصائم ـ في غير هذا الموضع إن شاء الله . . .

وسأسوق لك ـ أخي الصائم ـ بعض ما قاله العلامة الكبير « ابن القيِّم » : « الصبي في هذه الحالة ضعيف العقل ، يؤثر البطالة واللعب ، فإذا اختار من يساعده على ذلك لا يلتفت لاختياره ، وكان عند من هو أنفع له وأخير ، ولا تحتمل الشريعة غير هذا ، والنبي ﷺ قد قال : **« مروهم بالصلاة بسبع ، واضربوهم على تركها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع »**

والله تعالى يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ وقال الحسن : « علموهم وأدبوهم وفقهوهم . . »

- ومن مظاهر عناية الإسلام بالطفل : أنه حرص على تهيئة البيئة الصالحة له لما لذلك من الأثر العظيم في تنشئته تنشئة سليمة فاضلة لا انحراف فيها ولا اعوجاج . . . أرأيت ـ أخي الصائم ـ كيف تكون ، أو كيف يجب أن تكون التنشئة ؟ . . البيئة الصالحة وليست بيئة النوادي والبلاجات والمدارس الأجنبية . . . أرأيت كيف كانت تربى شخصية الفرد المسلم ؟؟ وكيف يحرص البعض اليوم على تربية شخصية أولادهم . . . وسط بيئات شتى . . متناقضة ومتباينة القسمات . . . أعرف أناساً جلست أتجاذب الحديث معهم ، وعندما سألتهم عن أولادهم وعن مراحل تعليمهم ـ حيث لم أرهم من زمن ، فقد باعدت بيني وبينهم ظروف الحياة وأحوالها ـ . . . قالوا لي ـ وقد كشف كل منهم عن أسنانه . . . فخراً واعتزازاً ـ :

فلان في المدرسة الانجليزية ، وفلان في الجامعة الأمريكية ، وفلانة في الفرير الفرنسية ، أما فلان فقد أرسلته ـ حسب رغبته ـ إلى أمريكا . . . ثم يعقب والحمد لله !!!

- هذا حالنا اليوم . . . نرجع للوراء لنرى كيف كان الصحابة يحرصون على أن يحضر أبناؤهم مجالس رسول الله ﷺ ليتأثروا بهذه البيئة العالية الرفيعة . . .

- نحن ـ أخي الصائم ـ في حاجة ماسة إلى إعادة نظر في تربية أولادنا ، وخلق أو إيجاد البيئة الصالحة لتنشئتهم . . . وهذا رسولنا الكريم ﷺ ضرب لنا مثلاً رائعاً وهو يوصي ابن عباس عندما كان غلاماً صغيراً . . . مثلاً تركه لنا لنعرف كيف ربى ﷺ أبناء الأمة أمة الإسلام ؟؟ وكيف أراد أن تكون للمسلم « شخصية متميزة » وكيف غرس فيهم العقيدة التي تخلق من الغلام

رجلاً ، ومن الجبان شجاعاً ، ومن الضعيف قوياً يفخر به الإسلام ، ولسان حاله يقول : هاهي شخصية المسلم : عن ابن عباس قال :

. . . كنت خلف النبي ﷺ فقال : **يا غلام إني أعلمك كلمات :**

. . . احفظ الله يحفظك . . .

. . . احفظ الله تجده تجاهك . . .

. . . إذا سألت فاسأل الله . . .

. . . وإذا استعنت فاستعن بالله . . . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد قدّره الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » « رواه الترمذي : رياض الصالحين »

٢ ـ **اهتمام الإسلام بالفرد في مرحلة الشباب :**

في هذا السن الخطير تزداد عناية الإسلام بالشباب ، فهو يقدم له كل ما يجب عليه أن يعمله ويعلمه من عقيدة صحيحة وعبادات ومعاملات وأخلاق لكي يكون لبنة قوية في أمة ترشد إلى الخير وتفرض على باقي الأمم شخصيتها واحترامها . .

يقول تعالى في سورة لقمان الآية ١٣ :

﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم ﴾

ويقول تعالى في ثلاث آيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من نفس السورة :

﴿ يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وَانْهَ عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختالٍ فخور ، واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾

● ولكيلا يرتمي الشباب في أحضان الغواية ، وتتخطفهم شياطين الإغراء من الإنس ، أمرهم بالتحصن بالزواج ، وبعد ذلك أمرهم بالتدرب عسكرياً

فقد بين النبي ﷺ أنه من الضروري أن يكون كل شاب مسلم قوياً في جسمه قوياً في فكره ، قوياً في خُلُقه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » « رياض الصالحين »

٣ - **اهتمام الإسلام بالفرد في مرحلة الشيخوخة**

بعد الشباب . . ينتقل الإنسان إلى مرحلة الشيخوخة ، وهنا يجد العناية الكاملة من الإسلام . . . بما يواسيه ، ويوجب احترامه وإعزازه ، وإكباره وتبجيله ، مع توفير جميع احتياجاته دون تعب أو عناء .

قال تعالى في سورة الإسراء ٢٣ ، ٢٤ :

﴿ وقضى ربك ألاَّ تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ صدق الله العظيم

وهذا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول :

« ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا » « عن عبادة ابن الصامت . . الترغيب »

هذا يوضح لنا ـ أخي الصائم ـ أن إكرام الكبير في السن ليس واجباً على الأولاد فحسب ، بل هو واجب على جميع أفراد الأمة . . .

٤ - **اهتمام الإسلام بالفرد روحياً**

- غرس العقيدة الدينية الصحيحة . . . اهتم بها الإسلام . . . فعرفه بربه تعريفاً عاماً كاملاً فقال تعالى في سورة الصمد :

﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾

وقال تعالى في سورة الحديد الآية ٣ :

﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾

وقد أمر الإسلام . . . كل مسلم أن ينتظم مع كل مؤمن بالله خاضع له في هدف واحد ، وأن يعتبر كل من سلك طريق العقيدة أخاً له في عقيدته فقال تعالى في سورة البقرة الآية ١٣٦ :

﴿ آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾

- ومن هذا ـ أخي الصائم ـ يتضح لنا أنه لا توجد أخوة في هذه الحياة مثل أخوة العقيدة . . . ولو كنا نحن المسلمين على قلب رجل واحد في معرفة حقيقة هذه الأخوة ، وعملنا لها ما هو واجب حيالها . . . ما كان حالنا الذي نعيشه اليوم . . . وما كانت شخصيتنا اليوم . . . مهزوزة لا أمام أنفسنا وأولادنا بل أمام أعداء هذا الدين ، والحقدة على هذا الذين !!!
- وأيضاً ـ أخي الصائم ـ بأنه لتكوين شخصية المسلم . . اهتم الإسلام وبين للمسلم أن كل ما وقع وما يقع في هذا العالم فهو بقضاء الله وقدره . . . وذلك لكي يربي فيه مبدأ الاستعانة بالله لكي ينطلق إلى الأمام ولا يلتفت إلى الوراء . . كذلك اهتم الإسلام بتوضيحه للمسلم أن يخشى الله ويقف عند حدود الله ، ويحرضه على التوبة الصادقة والعمل الصالح ، فقال تعالى في سورة الرحمن ٤٦ :

﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾

- كما أن حب الله ، وحب رسول الله ﷺ . . . يدفع إلى عمل ما يرضي الله . . . حثَّ الإسلام المسلم على الحرص على هذا الحب الذي ينبغي ألا يعلوه حب . .

٥ - اهتمام الإسلام بالمسلم . . . وحثه على التمسك بالأخلاق الاجتماعية

- نعم فقدر ربّىَ الإسلام الفرد تربية أخلاقية ، وحرص على أن تبقى الصلات الاجتماعية . . قائمة بين المسلمين . . لأنه من خلال إصلاح هذه الصلات واستمراريتها ما ينمي شخصية المسلم ، فقال تعالى في سورة النساء ٣٦ :

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴾

- لعل أهم الحقوق يا أخي الصائم التي كفلها الإسلام للفرد المسلم لكي يشعر بقيمته ووجوده ، ويؤكد ذاته وشخصيته وسط المجتمع . . .

(المساواة)

فقد أوجب الإسلام . . المساواة بين جميع أفراد الأمة في الحقوق والواجبات . . .

يقول الله تعالى في سورة الحجرات الآية ١٣ :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾

- . . . ومع ذلك فمازلنا نجد بعض المسلمين في بعض المجتمعات المتمسلمة !! تعيش في صلف ، وغرور ، وكبر ، وعنجهية وكأن هذه الآية لم تمر عليهم . . . لأنهم في غيهم سادرون . . .
- كما كفل الإسلام لكل مسلم حق النصح . . بل جعله واجباً على كل مسلم لكي يحفظ كيان الأمة ، ولكي يرتقي بها إلى أقصى درجات

الكمال ، كما أرادها الله سبحانه ، يقول تعالى في سورة آل عمران الآية ١٠٤ :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾

- كذلك ـ أخي الصائم ـ لتكوين شخصية المسلم في المجتمع حرص الإسلام على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب . . .

وللأسف . . . فمع هذه التوجيهات الإسلامية . . . وجدنا من يتهكم ويخرج ويؤلف النكات في وقت من الأوقات لعدم الالتزام بمثل هذا المبدأ العظيم . . . وعندما ضاعت كل القيم والمقاييس ، وتاهت الحقيقة من الطريق . . . ومن حق الذي تهكم من خلال النكتة أو الفكاهة . . لأنه وجد من لا يعالج هذا النقص في المجتمع . . . بل كل من له واسطة وله مصلحة فردية كانت أو مشتركة . . . يوضع في المكان الذي يريده هو وليس ما يريده « الأصول » . . فاستمعنا ذات يوم إلى نكتة تقول :

(. . . الرجل المِناسب ـ بكسر الميم ـ في المكان المناسب ـ بضم الميم !!!)

هذا الذي رفضه الإسلام جملة وتفصيلاً . . . بل حرص هذا الدين العظيم أن يوضع الشيء في مكانه الصحيح . . فمن يتولى أمور الناس في أمر من الأمور لابد أن يكون أصلحهم لهذا الأمر أو ذاك . . قال تعالى في سورة يوسف الآية ٥٥ :

﴿ قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾

وهذا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يقول :

« ومن استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » « رواه الحاكم . . الترغيب »

وقال ﷺ :

« من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمَّر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم » أي لا يقبل الله منه فرضاً ولا نفلاً .

« رواه الحاكم . . الترغيب »

● يا أخي في الله . . لعلك عرفت الآن . . كيف تكون شخصيتنا نحن المسلمين . . فبقدر تمسكنا بعزتنا التي نستمدها من الكتاب والسنة . . تكون شخصيتنا قوية ، وتكون ذاتنا محترمة عند أنفسنا وعند غيرنا من عدو وصديق . .

اليوم السابـــع
٧ رمضـــان

أين نحن .. من التطبيق والتنفيذ

أخي الصائم . . . تعلم أن من أجلّ وأعظم الأوقات في هذا الشهر الكريم هي تلك التي يكرمك الله بها وأنت تقرأ كتاب الله الكريم ، وتتدبر آياته فتؤمن إيماناً كاملاً لا يتزعزع بأنه حق ﴿ **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** ﴾ وبه فضلنا الله على الأمم أجمعين ، وآتانا به مالم يؤت أحداً من العالمين ، إنه ـ أي القرآن الكريم ـ قول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين : ذلكم هو جبريل عليه السلام ، تلقاه من لدن حكيم عليم ، ثم نزله بلسان عربي مبين على قلب محمد ﷺ الذي لم يكن له فيه من عمل بعد ذلك إلا في هذه النقاط الأربع :

١ ـ الوعي والحفظ .
٢ ـ الحكاية والتبليغ .
٣ ـ البيان والتفسير .
٤ ـ التطبيق والتنفيذ .

وهنا ـ أخي الصائم ـ نجد أن سيدنا محمداً ﷺ طبق تطبيقاً كاملاً النقاط الأربع السابق ذكرها ، فتجلى جمال الإسلام بحق في عقيدته الصحيحة ، وشريعته السمحة ، وطريقته الربانية في المعالجة ، ونظرته القويمة إلى الحياة . . . وإذا سمحت لي ـ أخي الصائم ـ بأن نقف قليلاً أمام حالنا اليوم ،

وندقق النظر في حالنا المرير ، وحاضرنا المخزي . . . ستخرج بنتيجة كلها أسى وحسرة . . . فقد حفظنا القرآن الكريم ، وقام علماؤ نا بتبليغه وتفسيره وبيانه ، وكثرت دور العبادة ، ودور العلم ، وتخرج الكثيرون من أبناء هذه الأمة في جامعات إسلامية عديدة ، . . . وانتشر الخطباء والعلماء يفقهون الناس في كل مكان . . . إلخ

وفي النهاية . . . ما هي المحصلة التي نقف عندها ؟؟ . . . هي أننا نجد أنفسنا أمام تساؤ ل الواقع الذي يقول لنا متهكماً :

. . . أين أنتم يا مسلمون من النقطة الرابعة ؟؟ !!

. . . أين أنتم من التطبيق والتنفيذ ؟؟ !!

وهنا ـ أخي الصائم ـ يقفز أمام أذهاننا حديث الرسول ﷺ الذي قاله منذ خمسة عشر قرناً ، وكان بمثابة التحذير حيث كوشف بالغيب :

« يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها .

. . . قيل : يارسول الله : فمن قلة يومئذ ؟؟

قال : لا بل من كثرة ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، يجعل الوهن في قلوبكم ، وينزع الرعب من عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت . . »

- وتسألني ـ أخي الصائم ـ وهل وصلنا حقاً إلى هذه النهاية المفجعة ؟؟ أجيبك صادقاً ، ويجيبك معي كل صادق مع نفسه وواقعه دون مراء . . . إننا فعلاً قد وصلنا لهذه المرحلة !!! إن لم نكن قد تجاوزناها بالفعل !!!
- يا أخي في الله انظر بهدوء وتمحيص وتركيز . . . سترى أمامك حاضراً نعيشه ، يقطر أسىً وأسفاً وحسرة ، هل تشك ـ يا أخي ـ في أننا نسمع بآذاننا ، ونرى بأعيننا ما يعانيه هذا الدين من جحود وضياع . .
- المسلمون في كل مكان يتذكرون فواجعهم ، ويتدارسون نكباتهم ، ويودون من صميم قلوبهم أن تعود لهم العزة وأن ترتفع رايتهم ، وأن تكون

كلمتهم العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى لتسود العدالة ، ويعم الرخاء ، فلا يشكو أحد ظلم متسلط ، ولا بغي جاهل ، ولا خيانة دخيل ، لأن هذه ـ أخي ـ أمراض المجتمعات التي لا تنعم بتعاليم الإسلام ، ولا تستمد سلوكها من آدابه وأخلاقه وأوامره . . . المسلمون بالطبع يحلمون بيوم قريب يخلصهم مما هم فيه . . . ولكن أين العمل ؟ . . . فالأماني وحدها لا تبني بيوتاً ، ولا تخرج دخيلاً ، ولا تصلح مفسداً ، ولا تكف جبروت ظالم ، ولا توقف غرور متكبر جلاد . . . بل العمل . . . والعمل المخلص الجاد الذي لا تكون النية فيه إلا لله ، ونصرة الله . . هو الذي يؤازره الله بنصر من عنده سبحانه ، فإن نصرنا الله نصرنا . . . وكل ذلك لن يتأتى إلا بالعمل . . . فأين نحن من العمل ؟؟ !!

- لقد تلاشت أمجادنا ، وتفرقنا . . . وها نحن وقد أصبحنا شتاتاً وشيعاً وأحزاباً وفرقاً . . . لم نر مع ذلك إلا النواح والبكاء على ماأصابنا من هذا الهزال ، وما اعترانا من ذاك الانهيار ، وما مازجنا من وهن رخيص . . .
- ومع ذلك . . . مازلنا نسمع كلاماً يتلوه كلام ، ومازلنا نرفع شعارات تعقبها شعارات . . . في المناسبات وغير المناسبات . . . الكل ينادي ويصيح بأن الضرورة تقتضي تطبيق شرع الله لإصلاح فساد الأرض ومن على الأرض . . . ثم بعد ذلك . . . تتبعثر أشلاؤنا ، وتتفرق قلوبنا ، وتتباين أهواؤنا ، وتهضم حقوقنا . . . وأقصى ما نهتدي إليه في علاج تلك الحال ، أو تغيير ذلك الواقع العلقم البغيض أن نسمع بين الحين والحين ذلك الصياح التقليدي من ضرورة العودة إلى حظيرة الإسلام والأخذ بنظمه وقواعده . . . وإذا ما خطونا خطوة واحدة في طريق « التطبيق » . . . تأخرنا ألف خطوة للوراء ثم نعلن أساليب التبرير . . أو شماعات الفشل ـ كما يطلقون عليها في العصر الحديث ـ ولقد ملك عليَّ

كل تفكيري وإعجابي ما قاله شيخنا الفاضل/ محمد الغزالي منحه الله الصحة والعافية ، وأبقاه لنا سوطاً في وجه المغرضين الخبثاء . . . حيث بدعوته الصادقة ، ومعرفته بحقيقة الواقع الذي يعيشه المسلمون في كل مكان ، وإدراكه لفلسفة الدعوة وأصولها ، وتشخيصه لكل مرض من أمراضنا ـ وما أكثرها ـ وإخلاصه لدينه ، وعدم جريه لاهثاً وراء منصب أو جاه أو سلطة أو جمع مال أو تأكيد ذات ، كما يفعل ويحرص على ذلك كله أو بعضه . . . بعض من هم في دائرة الدعاة ـ . . . شيخنا محمد الغزالي لم يبتعد كثيراً بل أصاب كبد الحقيقة فيما نحن بصدده قائلاً : في كتابه « حصاد الغرور » :

بين الإنسان العربي اليوم والإنسان العربي في صدر الإسلام بون بعيد . . . بعيد . . . قد يكون إنسان اليوم أفخر ملبساً ، أو أدسم مطعماً ، أو أفْرَهُ مركباً ولكنه من حيث الخصائص الروحية والعقلية تافه ضائع بالنسبة إلى أبيه الأول وسلفه العظيم . . . !!

لقد ظهر العرب ـ منذ بدأ بالإسلام تاريخهم ـ أمة تقود ولا تقاد ، وتدفع ولا تندفع ، وتمنح الآخرين المعرفة والخلق والقانون والحضارة ، لأن ثروتها في هذه المبادىء هائلة ، وحاجة الغير ماسة ، والرغبة في العطاء موفورة . . . أما عرب اليوم فيدهم السفلى ممدودة ترتقب العون المادي أو الأدبي ممن يعطي إذا شاء أو يأبى إذا شاء . . .

. . . وقد يتلقون اللطمة تلو اللطمة فما يستطيعون لفرط هوانهم أن يرفضوا ضيمًا أو يدركوا ثأراً . . .

ثم يستطرد شيخنا الفاضل فيقول :

. . . وعندما أطيل النظر في أحوال العرب اليوم أجد علل تأخرهم ظاهرة . . . لأن انتماءهم إلى الإسلام قشرة رقيقة على كنود غليظ !!!

. . . الناس يؤدون أعمالهم وكأنهم ممثلون لن يأخذوا أجراً ، فلا إتقان ،

ولا إخلاص ، ولا جد ، ولا تضحية . . . !!!

. . . أسلوب الأداء خلو من العاطفة الحارة . . . بله العقيدة الدافعة . . . التكاذب المستمر هو العملة المتبادلة ، والتجهم للحقيقة أساس في السلوك العام . . . وسائق السيارة يجب أن يلقب بالمهندس ، والحلاق بالطبيب والساعي بالريس . . . إلخ

ثم ينهي شيخنا أعزه الله حديثه حول هذه القضية بوضع التقرير الأمثل والأوضح لهمومنا وأحوالنا ، فيقول :

. . . والواقع أن الإنسان العربي اليوم أشبه باليهود والنصارى أيام البعثة وعلى عهد الخلافة الراشدة !! . . . إنسان طال عليه الأمد ، واستغلق فؤاده دون هدايات الله . . بل وُجد في العرب اليوم من يضيق بالانتساب إلى الإسلام ، ومن يغضب إذا ذكر بأحكامه وشرائعه وشعائره !!!

. . . ولن تقوم للعرب قائمة إلا بعودة حية قوية واضحة للإسلام تنسج حياتهم الفردية والجماعية على المنوال الذي نسج حياة آبائهم في العصر الأول فطلع بهم فجر ، وولد بهم تاريخ . . .

- يا أخي في الله . . . إني وإياك . . نتخيل الواقع المعاش الآن في باقي البلاد الإسلامية أو حسب ما تصلنا عنه من أخبار . . نجمعها على ما هو واقع الأمة العربية اليوم . . . ثم تكون نتيجة هذا التخيل غير الخالي من واقعية !!! أن هذه الأمة التي جعل الله لها القيادة والسياسة قد نكصت على أعقابها ، وأبت أن تحمل تلك الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً . . .
- حقيقة ـ أخي الصائم ـ كنت أتصور مع ذلك الدوي الهائل الذي تحدثه في أذني الكلمة القرآنية « **إن هذه أمتكم أمة واحدة** » كنت أتصور . . . أن

يكون شعورنا بالمسؤولية ، وإحساسنا بالألم ، وحبنا للخير ، ونهوضنا بالبناء ، ودفاعنا عن هذا الدين تمكيناً لدعائم الحق والعدل والصبر والمعروف ، إلا أنني أعود فأقول : إن أمتنا اليوم مثل الذي يكاد يحتضر ودواؤه بين يديه !!! لكنه لا يعرف أنه هو الدواء !!!

. . . وهذا هو حالنا ـ أخي الصائم ـ مع وجود الدواء بين أيدينا وغفلتنا عنه ونسياننا له . . . . . نسينا كل شيء . . . نسينا أن رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه قال لنا :

« تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وسنتي » .

نسينا أن النبي ﷺ بين لنا كيف يكون العلاج . . عندما قال لأصحابه رضوان الله عليهم :

« . . . إنها ستكون فتنة بعدي قالوا : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم . . . » صدق رسول الله الكريم .

● واليوم ـ يا أخي ـ ينبغي أن نواجه أنفسنا بصراحة تامة إذا أردنا تشخيص الداء ، ووصف الدواء ، أما إذا رفعنا شعارات التبرير التي لا تنتهي ، ورفعنا عقيرتنا بخطب منبرية تكرارية متقعرة . . . فلن ينصلح هذا الوضع الذي نحن في أوحاله متخبطون . . . ومع ذلك ، وكل ذلك . . . أرى بارقة أمل في صحوة إسلامية تظل برفق وتؤدة وسكينة . . . ومن ثم نعود لتشخيص دائنا . . . فنحن منحرفون عن الكتاب والسنة ومن هنا أتى

الشقاء والضياع الذي نعيشه ، ونحن مهملون حقيقة هامة وجامعة ، أو متجاهلون جوانب منها ، أو نعيش في دائرة اللامبالاة حيالها . . . وهي أن الأمن والقوة والسيادة والسعادة لن تتحقق واحدة منها إلا إذا أخذناها من الكتاب والسنة ، ونحن مخطئون كلنا . . . وليس بعضنا عندما انحرفنا عن المنهج الصحيح ، وارتضينا مناهج أخرى لا تحقق للأمة سعادتها ولا عزها ولا منعتها . . . وأصبنا بداء الغرور الذي أوقعنا في شراك الشيطان . . . فمن أقبلت عليه الدنيا ، ومن أقبل هو على الدنيا ، ومن غلب هواه . . . ومن هزل فكره ، ومن ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً . . . الخ . . .

- فكيف السبيل إلى الخروج من هذه الهوة السحيقة التي لا قرار لها ؟؟ ببساطة شديدة . . . بالعودة إلى الله . . . ودعنا ـ أخي الصائم ـ نضع النقاط على الحروف ـ كما يقولون ـ :

١ ـ إذا كنا مؤمنين حقاً بالله وبالرسول ﷺ . . . فعلينا بالعمل بالكتاب والسنة لأن ذلك هو مقتضى الإيمان المطلوب . . ولدينا الدليل ، فيقول الله تبارك وتعالى في سورة النساء الآية ٥٩ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾

- . . . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه ، وقال : « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده » فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به . . قال : لا والله لا آخذه أبداًوقد طرحه رسول الله ﷺ . « رياض الصالحين » . . . فكم خاتم ـ ياأخي في الله ـ ترى اليوم في أيدي الرجال ؟؟ وكم من رجل طرح الخاتم عندما علم وعرف أن وضعه في يده حرام ومخالف ؟ ألم

أقل لك . . إننا مخطئون وتائهون ومهملون . . .

٢ ـ إذا كنا مؤمنين حقاً وصدقاً ويقيناً بالله وبالرسول ﷺ . . . فعلينا بالكتاب والسنة منهجاً ولدينا الدليل فيقول الله تعالى في سورة البقرة الآية ٢ ـ ٥ .

﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون ﴾

. . . هكذا ـ ياأخي الصائم ـ لم يزك الله سبحانه هؤلاء المذكورين بأنهم على هدى من ربهم ، ولم يكتب لهم الفلاح والفوز إلا بسبب ما اتصفوا به من إيمان بالكتاب الكريم وبكل ما جاء به ومن عمل كذلك بما أنزل الله وشرع . .

ونحن اليوم . . . ياأخي في الله في حاجة ماسة إلى أن نخرج من هذا الظلام الذي نعيشه ونحياه ، ونحتاج إلى هداية بعد أن اعوج الطريق منا . . . وانحرفت خطانا ، وتاهت أقدامنا وذلت نفوسنا . . . فكيف الخروج ؟؟ نعم . . . اسمع معي قول الله تعالى في سورة المائدة الآية ١٥ ـ ١٦ :

﴿ . . . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾

. . . ولقد قرأت لك تفسيراً عظيمًا في تفسير المنار لمحمد رشيد رضا يوضح الإشارة للنور فقال :

« إن الله عز وجل ذكر للنور ثلاث فوائـد :

الأولـــى :

. . . أنه يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، أي أن من اتبع منهم

ما يرضيه تعالى بالإيمان بهذا النور يهديه الطريق التي يسلم بها في الدنيا والآخرة من كل مايرديه ويشقيه فيقوم في الدنيا بحقوق الله تعالى . . .

. . . وحقوق نفسه الروحية والجسدية . . .

. . . وحقوق الناس . . . فيكون متمتعاً بالطيبات ، مجتنباً للخبائث ، تقياً مخلصاً صالحاً مصلحاً ، ويكون في الآخرة سعيداً منعمًا جامعاً بين النعيم الحسي الجسدي والنعيم الروحي العقلي . . .

الثانيـــــة :

. . . الإخراج من ظلمات الجهل والوثنية إلى نور التوحيد الخالص ، حيث يصبح الإنسان حراً كريماً بين الخلق ، عبداً خاضعاً بين يدي الخالق وحده . .

الثالثـــة :

. . . الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهو الطريق الموصل إلى المقصد والغاية من الدين في أقرب وقت لأنه طريق لاعوج فيه ولا انحراف فيطيء سالكه أو يضل في سيره . . .

٣ - . . . وإذا كنا مؤمنين بالله وبالرسول ﷺ فعلينا أن نؤمن كذلك بأن الكتاب والسنة يشتملان على كل مانحتاجه لأمتنا وقوتنا وسيادتنا وسعادتنا . . . أما إذا انحرفنا عن الكتاب والسنة ـ والعياذ بالله ـ يحل علينا ـ لاقدر الله ـ الشقاء والضياع . . . وللقضية الأولى وهي تحقيق الأمن والسيادة والقوة يقول تعالى في سورة النحل آية ٨٩ :

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين ﴾

هكذا يوضح الله لنا أنه سبحانه لم يترك في الكتاب شيئاً لم يثبته ، بل أحصى فيه سبحانه كل شيء وجعله تبياناً لكل شيء . . .

. . . ومن ثم فالأمة التي تنشد السعادة من خلال عزتها ومنعتها وقوتها

وسيادتها وكرامتها لابد وأن تعيش في أمن داخلي ، وأن يشعر كل من فيها باستقرار نفسي ، وكل ذلك يمكن تحقيقه لو توفرت عدة عوامل داخل كل مجتمع مسلم ، مثل : توفر العدالة والحرية والمساواة والترابط الاجتماعي بين الأفراد . . . إذا تحقق ذلك بالفعل ـ وللجميع ـ حدث الاستقرار النفسي ، ولم يعد بين أفراد المجتمع المسلم من يشعر بقلق داخلي . . . . . ولكن يبقى القلق الخارجي . . . وهذا يمكن القضاء عليه أيضاً من خلال التمسك بالكتاب والسنة .

- . . . المجتمع الإسلامي لابد أن يكون قائمًا على مبادىء إنسانية ١٠٠٪
- . . . المجتمع الإسلامي أو الأمة الإسلامية لابد أن يكون لها جيش قوي مؤمن .
- . . . والقرآن الكريم قد كفل كل ذلك لهذه الأمة . . . شريطة أن تظل متمسكة بكتابها وسنة نبيها ﷺ

ومن منا ـ أخي الصائم لايحب العدالة أن تسود . . . يقول الله تعالى في سورة النساء الآية ٥٨ :

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نِعِماً يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾

- . . . ومن منا لا يعشق الحرية . . . يقول ربنا سبحانه وتعالى في سورة الكهف الآية ٢٩ :

﴿ وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقاً ﴾

- . . . ومن منا لا يود أن تسود المساواة . . . ومن منا لا يستهويه ويملك عليه كل كيانه الترابط الاجتماعي بين أفراد أمته . . . يقول تعالى في سورة الأنفال الآية ٤٦ :

﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾

- . . . هكذا أخي الصائم . . . تجد أن كل المبادىء الإنسانية والقوة الذاتية التي حافظت على كيان الأمة الإسلامية ، وقضت على كل أسباب القلق الداخلية والخارجية ـ يوم أن كانت هذه الأمة ـ في منعة حقة ، وسعادة حقة ، ومع ذلك فإذا عادت إلى دينها وما به من تشريعات وقوانين . . . فستصل إلى الكمال والنعمة التامة المرضية التي وصفها الله في قوله من سورة المائدة الآية ٣ :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾

- . . . أما إذا انحرفنا ـ أخي الصائم ـ عن كتابنا وسنة نبينا ﷺ فهنا يقع الشقاء ولو حاول كل العالم إسعادنا ، ويقع الضياع ولو تظاهرت الأمم على جمعنا ، ويقع الذل الهوان ولو تجمع كل من على الأرض لمنحنا العزة والمنعة !!!
- نعم فقد رسم الله لنا طريق النجاة وحذرنا من الانحراف عن هذا الطريق الإلهي السليم المستقيم ، وبين لنا النتيجة في الحالتين . . .

١ ـ الالتزام ونتيجته . .

٢ ـ الانحراف ونتيجته . .

فيقول تعالى في سورة طه الآيات من ١٢٣ إلى ١٢٨ :

﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون

يمشون في مساكنهم ، إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾

- . . . وقد حذرنا الله سبحانه من الذين يحاولون إغراءنا لإبعادنا عن ديننا وتشتيت جهودنا ، وتبديد طاقتنا فيما يضر ولا ينفع ، فقال سبحانه في سورة الانعام الآية ١٥٣ :

﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

- . . . وليس أكثر ـ يا أخي ـ من ذلك ضياعاً فإن التفرق معناه : ذهاب كل فريق في طريق ، فيحصل الشتات ـ الذي نعيشه اليوم ـ ويحصل الضعف والانكماش والضياع . . .

- . . . أخي الصائم لإنقاذ أنفسنا من هذا الشتات وهذا الضياع لابد أن نخرج من الوهم الذي نعيشه ، ولابد من النزول إلى ميادين التطبيق والتنفيذ لننفذ أنفسنا وننقذ أمتنا .

اليوم الثامن
٨ رمضان

نريدُها قوة عاقلة رَحِيمة
لا
قــوّة جَاهــلة حَـمْقاء

أخي الصائم . . . إن الله سبحانه وتعالى قوي رحيم ، وقدير عزيز ، وقدرته فوق طاقة البشر ، تتجلى هذه القدرة التي لا تحد في خلق هذا الكون العجيب المتقن المحكم ، وفي تدبيره تدبيراً حكيماً ، وفي خلق الموت والحياة ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه جل شأنه واحد أحد في القوة والقدرة والحكمة . . . وما آمن الناس به سبحانه إلا لأنه القوي القاهر ، والأديان السماوية حّملها الله تعالى لرجال أقوياء أشداء أكفاء ، قاموا بنشرها على هذا الكوكب ، والإسلام الحنيف انتشر وعز وساد في الأرض . . . بمن ؟؟ بأناس مؤمنين أقوياء على رأسهم رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر وعلي وعثمان وخالد ابن الوليد وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص ، وعقبة بن نافع وطارق بن زياد وغيرهم ، وقد دعا الرسول الكريم ﷺ ربه أن يعز الإسلام بأحد العمرين أتعرف من هما ـ أخي الصائم ـ ؟؟

. . . إنهما عمرو بن هشام وهو المعروف بأبي جهل أو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد كانا من رجالات قريش الأقوياء . . . ويستجيب سبحانه ، جلّت قدرته لدعاء الرسول ﷺ ويهدي عمر بن الخطاب إلى الدخول في الإسلام ، فأعز الله الإسلام بعمر الفاروق . . . الذي وضع هذا الدين الحنيف بإرادة الله

العلي الحكيم ، ثم بقوته العاقلة على طريق النهار والضوء والعلن . . . فانتقل الإسلام من مرحلة الدعوة السرية إلى الدعوة العلنية :

- ولتتذكر معي ـ أخي الصائم ـ أنه بعد تلك الفتوحات الإسلامية ، وإقامة الدولة الاسلامية التي امتدت إلى فرنسا غرباً والصين شرقاً ، ولم يقم بها أصحاب قوة جاهلة . . . بل قام بها بكل اعتزاز وفخر أصحاب قوة عاقلة رحيمة . . . رخصت أمام أهدافهم كل الدنيا فلم يكن أمام بصرهم إلا ميدان القتال في سبيل نصرة دين الله . . . لا يخافون إلا الله ، ولا يرهبون إلا من غضب الله ، فصدقت نياتهم ، وصفت أرواحهم ، وتشوفت أفئدتهم الجنة والرضوان . . . بعد كل هذه الفتوحات . . . حدث توقف عصيب طأطأت له الرؤوس ، وانكسر معه خاطر النفس ، وانطفأ . . . من حوله نور القلب . . . حيث ضعفت الدولة الإسلامية العظمى وتدهورت ـ للأسف الشديد ـ
- تسألني ـ يا أخي في الله ـ عن السبب ؟؟ أقول لك : لأن المسلمين غابوا . . . وذهبوا ـ حيث ذهبت ريحهم ـ ولا أعني بالمسلمين « كمهم » بل أعني الأقوياء منهم بالفتوحات العظيمة التي ذكرنا . . . لم يحققها إلا الأقوياء . . .
- وإذا نظرت ـ أخي الصائم ـ بعين التاريخ إلى الماضي البعيد أو القريب . . . ستقف على حقيقة واضحة تترجم أن الحياة . . . الحياة الحقة في حاجة دائماً إلى أقوياء . . . امبراطوريات ودول وحروب وغزوات . . من قام بها ؟؟ . . . قام بها رجال أقوياء . . . نعم أقوياء حتى في مجال تطوير الحياة البشرية ، وتقدمها في مختلف الميادين سواء من النهضة الأدبية ، أو النهضة السياسية ، أو النهضة الاقتصادية أو الاجتماعية . . . لم يتم كل ذلك إلا على أيدي أناس أقوياء أشداء .
- وربما تعيد علي السؤال قائلاً : ومن الذي قام ـ إذن ـ بكل الثورات

الوطنية والإنسانية التي شملت هذا الكوكب بدوله ودويلاته وقاراته . . . حيث أقاموا الحق ، والعدل . . . وحققوا لشعوبهم وأهلهم الأمن والاستقرار ؟؟ . . . أيضاً أقول لك ـ يا أخي ـ :

- . . . الذين قاموا بكل الذي ذكرت وهدموا معاقل الظلم والباطل والفساد . . . هم الرجال . . . نعم الرجال . . . الذين يمتلكون العزم والقوة مع الإيمان . . .
- من هنا ـ أخي الصائم ـ نخرج أو نخلص إلى نتيجة منطقية تقول : لا يحق الحق ولا ينصب ميزان العدل ، ولا يسود الأمن والسلام والنظام إلا على أيدي الأقوياء الرحماء ، ولا يتزعم الناس ولا يقودهم إلا الأقوياء الشجعان .
- ولا شك ـ يا أخي في الله ـ أنه في كل زمان ومكان يكون الأقوياء . . . أصحاب أصوات تسمع ، وأصحاب كلمات يصغى إليها ، وأصحاب حقوق تصان وتراعى ، وأصحاب كرامة تقدس . . . نعم . . . هكذا يكون الأقوياء . . . الأقوياء . . . الأقوياء العقلاء الرحماء . . . لهم جوهر الحياة ، وللمستضعفين قشورها !!
- نعم ـ يا أخي في الله ـ لاينتصف في هذه الحياة إلا الأقوياء الأعزاء ، أما المستضعفون فيظلمون ويؤكلون .
- ولكن ربما تسألني ـ يا أخي ـ عن هوية القوي من خلال هذا المنظور الإسلامي الذي قصدت إليه . . . أجيبك بحول الله وقوته ، وبكل صدق يؤيده الواقع المعاش . . . القوي العاقل ، القوي الرحيم ، القوي العادل ، القوي الإنسان . . . هو الذي يتسلح بالعلم والإيمان والأخلاق والمبادىء الإنسانية . . . هذه الصفات الكريمة تنسحب على القوي المؤمن لكي تجعله « قوة عاقلة رحيمة » ومن كان أعزلاً من هذا السلاح الذي هو العلم والإيمان كان ضعيفاً عاجزاً . . . ولو كانت قوته الجسدية

أسطورة التاريخ !!! فنحن لا نرمي بكلامنا إلى أجساد حديدية تمتلك أيضاً أدمغة حديدية . . . أو مشاعر حديدية ، أو عواطف نحاسية أو أخلاقاً من الصلب والمعادن . . نحن لا نقصد ذلك أبداً وإلا كنا كأناس ينادون الجمع إلى حلبات المصارعة الرومانية القديمة حيث العضلات المفتولة والأجسام الشمشونية !! القوة الجسدية مطلوبة ولكنها القوة العاقلة . . . وليست العاقلة فحسب بل المؤمنة الرحيمة . . .

- وبقياس بسيط نجد العاقل الحكيم الذي يكون قوياً عزيزاً . . أمامه الجاهل السخيف الضعيف الذليل .
- وهذا القوي العزيز . . . هو من يعتمد على نفسه ويتوكل على الله في حياته .
- وهذا الضعيف الذليل . . . هو من يكون عالة على غيره ويعيش في حمى جسده أو في حمى غروره أو حمى الآخرين أمثاله !!!
- وهذا يترجم أن الاعتماد على النفس . . . قوة وعزة . . . وكرامة وحرية .
- والاتكال على الغير ضعف وذلة وعبودية ومهانة . . .
- والذي لا يضبط نفسه مثلاً ولا يمسك أعصابه عند الإثارة والإغضاب فتقيمه كلمة وتقعده أخرى . . . هذا ليس قوياً ولو كان عنترة . . .
- بل القوي الشديد من نراه يضبط نفسه ، ولا يخرج عن عقله واتزانه عند الغضب كما قال رسولنا المصطفى ﷺ :

« **ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب** »

- نعم ـ يا أخي ـ فالقوة إذن تتصل . . . . بدائرتين :

١ ـ الدائرة الأولى القوة المادية

٢ ـ الدائرة الثانية القوة المعنوية

وهذا يعني أن الإخلاص قوة ، وأن التوبة النصوح قوة ، وأن الصبر قوة ، والصدق قوة ، ومراقبة الله قوة ، والتقوى قوة ، والتوكل على الله قوة ،

والاستقامة قوة ، والتفكير في عظيم مخلوقات الله قوة، التعاون على البر قوة ، النهي عن المنكر قوة ، ستر عورات المسلمين قوة ، قضاء حوائج الناس قوة ، الإصلاح بين الناس قوة ، تعظيم حرمات المسلمين قوة ، رد المظالم قوة ، وجوب الانقياد لحكم الله قوة ، التواضع قوة ، الحلم والأناة والرفق قوة ، العفو والإعراض عن الجاهلية قوة ، الوقار والسكينة قوة ، إكرام الضيف قوة ، الاعتماد على الله وحده وعدم الاعتماد على أسباب الحياة فقط . . . قوة ، الصلاة قوة ، الصوم قوة ، أداء الزكاة قوة ، حج البيت للمستطيع قوة ، عدم إضاعة المال في غير وجوهه قوة ، . . . . الخ

- ولا يمكن أن تجتمع كل هذه الخصال الحميدة ، والأخلاق الرائعة الإنسانية في رجل غير مسلم . . . وهذا يوضح المقصد الأساسي لما نعنيه بحاجتنا اليوم إلى رجال أقوياء . . . ولكن عقلاء . . . والعاقلون في هذه الحياة . . . من هم داخل حظيرة الإسلام ـ وإن تباينت المشارب والأنماط ـ
- أخي الصائم ـ القوة المادية مطلوبة ـ كما أسلفنا ـ ولكن لا تنتصر بمفردها ولو انتصرت فلن يستمر طويلاً هذا الانتصار ، كذلك تماماً القوة المعنوية لا تنتصر بمفردها ولكن تحتاج إلى مساندة من القوة المادية . . . إذن لكي نحقق الكرامة لأنفسنا كمسلمين . . . علينا أن نعمل لتتضافر القوة المادية مع القوة الروحية . . .

فإذا كانت عقيدتنا صحيحة ، ونفوسنا نظيفة ، وأرواحنا سامية ، وإذا عملنا على التمسك بالدائرتين (١) المادية (٢) الروحية بحيث لا تطغى واحدة على الأخرى . . . نكون قد احتفظنا بالوازع النفسي المطمئن الذي دلنا عليه الإسلام وحرضنا على التمسك به . . . لأنه يأتي في المقام الأول قبل « القوة المادية » ولعل في معركة « بدر» أعظم وأروع المثل . .

فقد ظهرت فيها قوة المسلمين المعنوية ، وصلابة عودهم ، ومتانة عقيدتهم ، التي بها استحقوا نصر الله . . . وكأن هذه المعركة كانت بشيراً عظيماً بقيام « دولة الإسلام الكبرى » .

فاحتفظ المسلمون في هذه المعركة بالوازع النفسي الذي هو وليد الإيمان . . . في نفس الوقت الذي كانوا فيه مفتقرين تماماً إلى « القوة المادية » كانوا ثلاثمائة مقاتل . . . في مقابل ألف مشرك وبالطبع السلاح في أيدي الألف الكفرة أكثر بكثير من السلاح في أيدي القلة المسلمة وهنا تتجلى القوة التي نريدها ونقصدها : . . . « الروح » « العقيدة » « الإيمان » « الإخلاص » « التوكل على الله » « العزم الصادق على نصر الله » « اللجوء إلى الله وعدم اللجوء والغرور بأسباب الحياة » .

. . . المسلمون كانوا يملكون قوة العقيدة ، وقوة الروح

. . . الكافرون كانوا لا يملكون إلا خواء العقيدة ، وفساد الروح . . .

. . . النتيجة . . . انهزام الكفرة . . . وانتصار حزب الله . . .

- إذن القوة المعنوية تستطيع في كل زمان ومكان أن تحرز النصر على القوة المادية . . . إذا أخذنا من القوة المادية أقل نصيب ولعل الإخوة في أفغانستان اليوم خير دليل على ذلك . .
- فلتنظر - يا أخي الصائم - إذا شئت إلى الماضي . . . وان أردت إلى الحاضر لتعرف كيف تحارب العقيدة الصادقة . . .

الماضي مثل الحاضر . . . في التطبيق . . . المهم التطبيق

العقيدة الصادقة تفل الحديد

العقيدة الصادقة تثلم السيف

العقيدة الصادقة تحطم الرمح

العقيدة الصادقة تذيب كل شيء أمامها لأنها وهي في حربها مع عدوها لا تركن إلى أسباب الدنيا بقدر ما تعتمد وتركن إلى الله تعالى تستمد منه

القوة لأنها مؤمنة أنه القوي ، فلا تعتمد على قوة أرضية أبداً ولاتتكاسل عن أداء واجبها العقيدي . . وهي تفرش الأرض بشماعات الفشل وأساليب التبرير . . . تسخر من كل قوى الدنيا . . . وتفخر بقوتها هي قوة الله تعالى . . . وتعتز بعقيدتها هي عقيدة الاسلام الحنيف . . .

- هكذا ـ أخي الصائم ـ نريد القوة . . . العاقلة الرحيمة . . . قوة تجمع بين المادة والروح . . . لنواجه إذا واجهنا مادة فقط دون الروح . . .
- هكذا ـ أخي الصائم ـ أنهي حديثي هذا معك بنداء موجه إليك وإلى أبناء الأمة الإسلامية من أحد علمائنا الأجلاء الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله حيث يقول :

يا أبناء الأمة : لاتنسوا وأنتم تصومون رمضان أن الله يريد أن يجعلكم بالصيام قوماً (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فاحذروا أن ينسلخ عنكم رمضان وأنتم ممن ينطبق عليهم قول الله تعالى :

﴿ واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ (المنافقون : ٤) صدق الله العظيم

اليوم التاسع
٩ رمضان

عقيدتنا الإسلامية تطهر العقل والنفس

أخي الصائم ـ الذي جعلني أو الذي شدني لاختيار هذا العنوان مرور بيت من الشعر أمام عيني وأنا أقلب صفحات أحد الكتب وقفت عنده طويلاً ، وقد ضاقت حدقتا عيني ، وكأنني بين راغب في قراءته مرة ثانية وثالثة ، وبين إشفاق بحالي كفرد في هذا الكم المهول من هذه الأمة التي لم تعد تعرف إلا الشتات ، والتفرق والتمزق ، والتناحر والتزاحم . . . وبدأت أقلب صفحات الكتاب فلم تثبت عيناي على جملة واحدة أو عبارة واحدة بل كانت الكلمات والفقرات تتراقص أمامي وتقفز صعوداً وهبوطاً وأعلى وأسفل . . ولن أخفي عنك شيئاً يا أخي في الله . . فلم أتذكر من هذه العبارات إلا ما سأذكره لك الآن ـ ودون ترتيب ـ ولكني قبل ذلك أذكر لك البيت الذي كان سبباً أولياً لاختياري هذا الموضوع الذي أرجو الله أن أكون قد وفقت في حديثي معك حوله :

« لمثل هذا يذوب القلب من كمد

إن كان في القلب إسلام وإيمان !!

● قومية ● شتات ● لهاث وراء الماديات ● متفرنجون من المسلمين ● مبادىء مستوردة ● تفريق الكلمة ● أشربوا العلمانية ● أكل قويهم ضعيفهم

● يقتل بعضهم بعضاً ● تمزيق الوحدة ● إباحية تحت شعارات براقة ● بلغ الإلحاد من الأذهان مبلغه ● محاولات مستمرة لإفساد هذا الجيل ● محاولات الانحراف ● الاستهتار بالعقيدة الإسلامية ● استعادة المجد الإسلامي ● الإسلام . . . وسيلة جديدة للمغرضين ● أعظم اكذوبة ظهرت في مضمار السياسة ● أبشع انحراف رأته عين السماء . . . الخ

الواقع ـ يا أخي في الله ـ أن أحوال المسلمين اليوم . . . في كل بقعة من بقاع الأرض ، تحتاج إلى وقفات . فقد شدني ـ كما قلت ـ البيت السالف ذكره إلى واقع المسلمين الذين حدا بالشاعر أن يترجم ما في قلبه من هم وغم في كلمات وألفاظ بيت الشعر المر . . . وعلى إثر ذلك نظرت بعين المتأمل الضعيف الذي لاحول له ولا قوة إلا الدعاء الخالص الصادق . . . نظرت . . . أو تخيلت المسلمين في آسيا وأفريقيا ، بل وفي كل مكان من الأرض . . . أرض الله . . وجدتهم يعانون من المتاعب ما تعجز الجبال عن حملها !!! وجدتهم يقاسون من المحن والآلام ما يعجز جميع علماء الاجتماع والنفس والاقتصاد في إيجاد حل لهم وذلك لأن أعداء عقيدتهم لم يتركوا وسيلة لحربهم إلا استخدموها ، فمثلاً :

- المسلمون في « أوغندا » تآمرت قبل ذلك قوى البغي ضدهم . . ومعهم رئيسهم . . . فسفكت الدماء ، وتشرد الكثيرون . . لا فرق بين طفل وعاجز وامرأة . . . وإذا سألت عن سبب وجيه لكل هذا ؟؟

  يأتيك الرد سريعاً : لأن رئيسهم كان يقاوم الصهيونية وكان يعمل على نشر العقيدة الإسلامية وكان يشجع الدعوة إلى الله وكان يكره كل محتكر وكل من يرضى على نفسه الهوان وهو مسلم . . . ولذلك . . ومن أجل ذلك كانت الهجمة « النيريرية ! » الظالمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . .

- المسلمون في « تشاد » متسلطة عليهم الصليبية . . . . تسلط الحقد

الأسود الذي لا تصفه الأفلام أو الروايات أو أفلام الخيال . . . جهاراً نهاراً تسفك دماء المسلمين هناك . .

- المسلمون في « أفغانستان » الذين تبلغ غيرتهم الإسلامية الصادقة ما لم تبلغه غيرة آخرين . . . حماساً وتطبيقاً . . . والذين يعكسون ـ في نفسي بصفة خاصة ـ شعوراً بالفخر يدفعني ألا أفقد الأمل في رجال هذه الأمة . . . فهناك بحمد الله تعالى من يظلون حماة لهذا الدين ، رغم كيد الكائدين ، وحقد الحاقدين . . . الأفغان اليوم يتشبثون بالسنة والجماعة ، ومن أجل ذلك سلط عليهم حكم جائر كل مايتمناه ، ويرمي إليه أن يغير من عقيدة هؤلاء الأبطال . . . وهاهم حتى اليوم يتحدون أكبر قوى الأرض فجوراً وعربدة وشروراً .
- المسلمون في « الفليبين » حتى اليوم يحملون السلاح في وجه أولئك الماكرين الأشرار الذين يريدون اجتثاث عقيدة الإسلام من هذه المنطقة وينادون ليل نهار بضرورة تثبيت عقيدة الصليب . . وكم كنت فخوراً عندما التقيت بعدد من هؤلاء المجاهدين الذين حدثوني عن أحوالهم وترجموا صلابتهم وعزيمتهم التي لا تعرف الخور أو اللين في سبيل الحق ونصرة الحق عندما قالوا لي :

« إننا نشعر بالذنب لمجرد أننا قرأنا آية من كتاب الله الكريم ولم نعمل بها تطبيقاً وتنفيذاً ولذلك ترانا ـ بفضل من الله تعالى وكرمه علينا ـ نحاول جاهدين أن نسعى إلى التطبيق دائماً لكل تعاليم هذا الدين العظيم . . . لا سيما أننا دائماً نترسم هدي رسول الله ﷺ . . ونضع كلام الله أمام أعيننا :

(كبرمقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) ونحن لا نريد ان نصل إلى حاجة يمقتنا الله فيها . . . بل ندعوه دائماً أن يوفقنا إلى فعل ما نقول . . . لا قول ما لا نفعل . .

- المسلمون في « أرتيريا » وما يتعرضون له منذ خبث هيلاسلاسي وغطرسته ومروراً بالماركسيين . . . ونهاية إلى واقعهم المرير الآن . . . والمسلمون في « تركستان وبلغاريا » . . . وبلغاريا بالذات حيث تطل علينا هذه الأيام أخبارها المؤلمة المؤسفة وما يتعرض له المسلمون من عذاب وهوان ومذلة وانكسار . . . إلى أن يقضي الله امراً كان مفعولاً . . .
- والمسلمون في « الهند » التعصب هناك بلغ مداه . . . فلا اعتراف حتى بصفة المواطن . . . المسلم لابد أن يتعرض للقتل والسفك وكل ما يتصور من العذاب النفسي والمادي !
- هكذا ـ أخي الصائم ـ يكون حال المسلمين اليوم . . . لا يواجهون إلا الظلم والقهر والأهوال . . . في عصر يطلق عليه عصر الحرية !! فأين الحرية ؟؟!! في عصر يطلق عليه عصر حقوق الإنسان . . . فأين هذه الحقوق ؟ بل أين الإنسان ذاته ؟ عصر المنظمات الدولية التي تكونت وخلقت وابتدعت لضمان حرية العقيدة ، ولحماية الذات الإنسانية فأين هي ؟ وأين موقعها من النفوس . . . بل أين موقعها من الأرض ؟ مع احترامنا ـ للجغرافيا ـ التي درسناها ونحن صغار !!
- كل هذا الذي يحدث للمسلمين في الأرض هنا وهناك . . . يوقع الإنسان في حيرة فعلاً . . . ولكن الأمل الذي يقبع في أكناف الألم والمرارة . . . يشير لنا بالنصر المقترب ، لأنه طالما هناك عقيدة ثابتة قوية . . . تطهر العقل من كل قلق وفكر سلبي ، وتطهر النفس من كل ما يعكرها من خوف وهلع . . . فلن يشملنا اليأس أبداً . . . فالقوة ليست في البارود والصاروخ والطائرة فحسب بل القوة الحقيقية تكمن وتتربع في قلب العقيدة . . والعقيدة وحدها لأنها عقيدة راسخة ليس فيها مجال لوهم ولا لخرافة ، تقوم على أسس متينة . . . يتطهر العقل بها من كل أدران الحياة ، وتستيقنها النفس فلا تحذر إلا الله ولا تطيع إلا الله ولا تعمل أي

حساب إلا لله ، ولا تركن إلا لله ولقوة الله سبحانه . . . هذه الأسس - يا أخي في الله - هي :

١ - الوحدانية . . .

٢ - الإيمان بالغيب . . .

٣ - الإيمان بالرسل أجمعين . . .

- فاعتقادك - يا أخي - بأن الله سبحانه وتعالى هو الحاكم وحده ، وهو الغالب على كل شيء ، القاهر فوق عباده . . . يضع العزة في قلوب المؤمنين ، ومن وضع الله - بقوته - العزة في قلبه لا يذل لمخلوق . . لأن المخلوق مثله تماماً ، ولا يخضع إلا للواحد الأحد . . .

- قوة عقيدة الوحدانية - يا أخي - أوجدت من العبيد أحراراً . . . ولا ننظر إلى الماضي فحسب ، بل للحاضر . . . فالعالم الذي يعاني من ويلات وويلات . . . من تسلط الأقوياء على الضعفاء ، ومن سيطرة المادة وغلبة الشقاء ، يحس المستضعفون فيه أنهم أعزة بعزة الله ، وأنهم أقرب إلى الله . . . ومن ثم - أخي الصائم - فنحن محتاجون فعلاً إلى قلوب مؤمنة مثل قلوب هؤلاء المجاهدين في أفغانستان وفلسطين وتشاد وأوغندا وقبرص والفلبين وبلغاريا . . . وغيرها . . . محتاجون إلى مثل هذه القلوب التي لا تذل إلا لله ولا تخضع إلا لله ، ولا تستسلم إلا لله . . .

- وإيمانك - يا أخي - بالغيب . . . هو الأساس الثاني من أسس عقيدتك الإسلامية . . . وهو الذي يفصل ويفرق بين إنسان متدين وإنسان آخر غير متدين . . . فمن لم يؤمن بالغيب فقد جحد ، ومن يؤمن بالغيب فقد تدين لأنه لا يعقل أن يكون إيمان بالله من غير إيمان بالغيب ، وحسبي هنا قول الله تعالى في سورة البقرة الآيتين ٣ و٤ :

﴿ الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ،

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون ﴾ صدق الله العظيم .

- وبالطبع ـ يا أخي الصائم ـ فالإيمان بالغيب يقتضي الإيمان بالملائكة ، والإيمان بكل المخلوقات التي لا نحسها ، والإيمان بأن هذه الحياة المادية الدنيوية هي الحياة الفانية وأن ما بعدها هي الحياة الباقية ، وهي الآخرة . . .
- كذلك ـ يا أخي في الله ـ إيمانك بالغيب يقتضي الإيمان بالوحي الإلهي ، والإيمان بالبعث والنشر والحساب والعقاب والثواب . . . كل ذلك يا أخي من شأنه أن يعلو بك ـ كإنسان ـ عن مرتبة الحيوانية ، ولا يجعل حياتك عقيمة لا تنتج ، وإيمانك هذا يدفع عنك التشاؤم والأوهام . . . لأن إيمانك يربي فيك الوجدان والإحساس بالتبعة . . . حيث آمنت بالآخرة . . . فلا تكون هملاً ، ولابد من أن تشعر بالسعادة مهما أصابك في هذه الدنيا من هموم وأوجاع .
- فحيث أصبحت نفسك تتعلق برجاء ما عند الله . . . تجعلك هذه النفس المطمئنة تعيش في عزة بعيداً عن أية مذلة لأية قوة غير الله . . . وإذا نظرت إلى صدر الدعوة الإسلامية . . . ترى كيف كان العبيد والفقراء يقاومون سادتهم وأغنياءهم . . . ويرضون بالعذاب ولا يبالونه . . . لماذا ؟؟ . . . نعم لأنهم مؤمنون بما عند الله في اليوم الآخر . . .
- هكذا ـ أخي الصائم ـ يكون الإيمان باليوم الآخر . . . هذا الإيمان الذي إذا وقر في القلب أحس صاحبه بأنه يمتلك ذخيرة إنسانية وعتاداً عجيباً يجابه به الشدائد في هذه الحياة . . . ويواجه ويقاوم أحداث الزمان . . .
- كذلك ـ يا أخي الصائم ـ الإيمان بالرسل السابقين يكون جزءاً من العقيدة الإسلامية . . . يقول تعالى في سورة البقرة الآية ٧٧ :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن

بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾

- والإسلام ـ أخي الصائم ـ هو الدين الجامع ، وهو آخر رسالات السماء إلى الأرض ، وهو الجامع بينها ، وهو آخر الخطوات في كمال الدين السماوي . . لذلك قال الله تعالى في أواخر الآيات التي نزلت من القرآن الكريم . . .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (المائدة : ٣)

- هكذا ـ أخي الصائم ـ لابد أن تقوم عقيدتنا الإسلامية على التوحيد الخالص ، والعبودية الصادقة كذلك لابد أن تكون كلها لله ، أيضاً لابد أن يحفظ السلوك الإسلامي وأن يصانَ في ظل العقيدة الصحيحة الخالصة . . . ومن هنا فإني أذكرك دائماً أنك عندما تدعو إلى الإسلام فأنت تدعو إلى عقيدة سليمة صحيحة وعندما تقدم النصح المخلص لأخيك الإنسان تدعو إلى عقيدة ، وعندما تأمر بمعروف . . . وتنهى عن منكر . . . تدعو إلى عقيدة ، لأنك عندما تأمر بالمعروف ، وتدعو إلى الخير تكون عندئذ صاحب عقيدة سليمة مائة في المائة قد طهرت عقلك ونفسك . . ونفذت أوامر ربك بوصفك من حراس العقيدة :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، أولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران : ١٠٤)

- إذن بعد كل الذي قلنا ـ وما قلنا إلا قليل ، وما أوضحنا إلا نقطة واحدة وربما نصف نقطة في بحر العلم الكبير الذي لم نصل بعد . . . إلى درجة الحبو في رحابه ـ . . . يتضح ـ أخي الصائم ـ أن الإسلام هو دين الوحدانية الإلهية الذي يدعو إلى عبادة الواحد الأحد ، لأنه ليس بمسلم أبداً من أشرك غير الله في عبادة ـ ولو كانت هويته أو بطاقته الشخصية أو العائلية أو جواز سفره أو شهادة ميلاده . . . تقول إنه مسلم ـ فمن عبد

المال من دون الله ليس بمسلم ، ومن عبد الجاه والسلطة والجبروت ليس بمسلم ، ومن عبد أعداء الله من أجل الدنيا التي أقبلت عليه فأصبح يلهث وراءها ليس بمسلم . . . ليس بمسلم من اعتقد أن لله شبيهاً ، أو اعتقد أن الله تعالى متصف بما يتصف به العباد من خواص جسمانية ، فكل ما هو من صفات الحوادث فالله تعالى منزه عنه ، لأنه خالق كل شيء فلا يشبهه شيء من الأشياء . . .

● ـ أخي الصائم ـ تأكد أن من يكون عقله طاهراً من كل فكر متطرف ، ونفسه مطهرة من كل وسوسة هدامة . . . هو الإنسان صاحب الفطرة السليمة . . . وإذا سألتني وماهي الفطرة السليمة ؟؟ أقول لك : إنها دين الله . . فالقلب السليم فطرة . . .

والفكر السليم فطرة . . .

وصلاحية أو أهلية المرء للحياة الحاضرة أو للحياة الأبدية لا تتم إلا بهذه السلامة . . . وبهذه المناسبة اقتبس لك عبارة أخاذة قالها شيخنا الفاضل محمد الغزالي في كتابه « هذا ديننا » .

. . . وربما وجدت ناساً ينتسبون إلى الدين ، وتظهر عليهم مراسمه وشاراته لكن أفئدتهم معتلة ، وأفكارهم مختلة ، فثق أن هؤلاء بعيدون عن الدين بمقدار ما في أفئدتهم وأفكارهم من علل وخلل . . . فالبيت لا يقال عنه : إنه سليم ، إذا كان طلاؤه حسناً وجدرانه منهارة !!! والمرء لا يوصف بالتدين إذا كانت طبيعته القلبية والعقلية قد أفسدتها الأهواء والخرافات ، . . . التدين الحقيقي أساسه الأول صحة هذه الأجهزة المعنوية وبراءتها من كل . . . تشويه وافتعال ، قال تعالى :

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعملون ﴾ (الروم : ٣٠)

اليوم العاشر
١٠ رمضان

الحلال والحرام في الإسلام

ـ أخي الصائم ـ لعل أجمل وأحلى وأعظم دعاء يريح النفس المسلمة المطمئنة هو ذلك الدعاء الذي يرفع المؤمن أكف الضراعة لربه سبحانه وتعالى ويدعو به قائلاً :

« اللهم أرنا الحلال حلالاً ، وارزقنا اتباعه . . .

. . . وأرنا الحرام حراماً ، وارزقنا اجتنابه . . . »

- والمسلم الحق ـ يا أخي في الله ـ لابد وأن يجرد نفسه لله ويبدأ في معرفة ما هو حلال وماهو حرام ، ولا شك أن تجريد الذات وتأكيدها أمام نور الحقيقة أو حقيقة الفطرة . . . له صلة كبيرة بالإرادة . . . لأن الإرادة لها صلة قوية جداً بالعقيدة . . . فهي تصفو لصفائها ، وتخبث لخبثها ، فالإيمان بيوم البعث والجزاء تنشأ عنه إرادة فعل الخير كالانتصار للمظلوم أو تفريج كربة مسلم ، أو قضاء حاجة مؤمن . . . دون انتظار جزاء أو مقابل كما نسمع في هذا العصر التعيس (خذ . . . وهات) أو (نفع واستنفع !) (الحياة . . . عايزه الفهلوه) . . . إلى آخر هذه الكلمات التي صاغها شياطين الإنس وذهبت عند البعض مبادىء وأمثالاً وشعارات لها مضامين اجتماعية خطيرة !!!

- . . . كذلك الجحود بعلام الغيوب إنما يكون مثار الإرادات الذميمة . . .

هذا الجحود الذي يُزين لصاحبه أن يعقد نيته على ارتكاب الفحشاء والمنكر ، إن لم يكن علناً فمن وراء ستار ، . . .

- . . . فإذا زاغت العقيدة كانت أعمال صاحبها بمنزلة من يرمي عن قوس معوجة ، أو يصوب بندقية فارغة الرصاص !!! .
- ولما كانت الأخلاق ذات سلطان على الإرادة ، فإنك ـ يا أخي ـ ترى المسلم اليوم يعتقد بفريضة الزكاة ويقرأ ما يناله إذا ترك تأديتها . . . من عذاب ثم تجده يقبض يده عن قضاء واجبها !!! لماذا ؟؟ لأن الاستجابة منه إلى داعية البخل والشح ، والتكيف مع اللذات العاجلة وتفضيلها على السعادة الباقية . . . أسرع إلى نفسه أو إلى طبعه . . . لاهتزاز الإيمان لديه !!

. . . وهذا يعود بنا إلى ضرورة العروج على قضية « التربية » التي تبدأ من الأسرة أولاً . . . فكثير من الناس من يتعلم الأخلاق الحميدة وهو لا يشعر أنه عارٍ من حليتها . . . وكثير من الناس يدركون حقيقة الخلق الحسن ، وحقيقة ضده . . . . بشكل « نظري » فتتشابه عليهم صور هذا وذاك عندما يعيشون على أرض الواقع فلا يكادون يفرقون بينهما وحسبي قول الشاعر :

« وفي الناس من عـدَّ التواضـع ذلة
وعدّ اعتزاز النفس مـن جهـله كبـرا !!

ومن هنا كانت تربية الأبوين الصالحين أرسخ أثراً من كل ما يتلقاه الناس في معترك الحياة . . .

- . . . نعم . . . فالتربية الأولى التي كنا قد شربناها وسط أسرة لا تعرف إلا الحلال ، ولا تعرف إلا الخلق ، ولا تعرف « للفهلوة » باباً . . . ولا لـ « خذ وهات » شباكاً !!! . . . هذه التربية الأولى هي التي ندعوها للعودة اليوم . . . في وقت أصبحت الأسر فيه تتفاخر . . . وترقص طرباً وزهواً لأنها تعلم أبناءها في مدارس أفرنجية . . . ـ كما سبق أن وضحنا في

يوم سبق من هذه الخواطر ـ . .

● . . . ونحن هنا لم نبتعد عن موضوعنا . . . الحلال والحرام . . . وإنما نحن نقترب منه رويداً رويداً . . . وإنما أردت أن آخذك ـ أخي الصائم ـ إلى قضية يجب أن تناقش . . . التربية لها أثر كبير في تكوين وتشكيل شخصية المسلم ، وأول تربية تكون في الأسرة . . . بين والدين يقولان للناشيء : هذه حلال ، وهذه حرام . . . فينشأ الأبن يعرف . . . ولو شيئاً قليلاً . . . أن هناك ما هو حرام وماهو حلال . . . وهذه هي القاعدة التي نريدها اليوم . . . ثم يأتي البناء بالعلم والتفقه في الدين . . .

● . . . الذي قلناه يا أخي هو محاكاة متواضعة لما قرأته لك في كتاب « علل وأدوية » حيث يقول أستاذنا فضيلة الشيخ محمد الغزالي ـ وواضح أن مؤلفاته من أحلى واعظم المراجع التي أحتفظ بها وأزين بها نفسي ـ يقول شيخنا :

« أكاد أشعر بأن أشواق الفطرة وآثارها أشيع في ظل الحضارة الحديثة منها في ظل التدين المختل . . . إن الإنسان بفطرته التي ولد بها يدرك أن العدل حسن والظلم قبيح ، وأن العلم مفخرة والجهل معرة ، وأن الطهر سمو والعهر سقوط . . . ومع تجاوب المرء مع فطرته ، ومع تعاونه مع أشباهه يمكن إقامة مجتمع أدنى إلى روح الدين ، أو أقرب إلى تعاليم الإسلام »

ثم يستطرد شيخنا موضحاً أن نواقض الفطرة الإنسانية كثيرة ومتعددة تجعل الإنسان يتخبط بين الحلال والحرام ، وبين الحق والباطل ، وبين عبادة النفس والذات ، وعبادة الله . . . وبين حقه شخصياً وحقوق الآخرين فيقول :

« . . . وبين يدي الآن حديث طويل للإمام مسلم بعضه قدسي وبعضه نبوي يشرح عللاً ومسالك تؤذي الفطرة ، وتبطل عملها ، وسأشرح هذا

الحديث خلال سرده موجزاً لتفسير ما أمكن :

. . . عن عياض المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبة له : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا . . . » « كل مال نحلته عبداً حلال » ما معنى هذه الجملة ؟؟ هذه الجملة تؤكد المعنى في قوله تعالى :

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ (البقرة : ٢٩)

وقال تعالى ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ﴾ (البقرة : ١٦٨)

. . . إن التدين الفاسد مولع بالتحريم ، راغب في تضييق دائرة المباحات ، وهذا ظاهر في الأديان الباطلة والمنحرفة ، وقد يظهر على ألسنة بعض المسلمين الجهلة ، فهم يشددون على الناس ، ويقاومون منهج الفطرة . . والحديث القدسي هنا يرفض ذلك الجهل ثم يستأنف توجيهه فيقول :

« . . . وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . . . وأن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب »

في هذا الكلام إشارة إلى الضلال الذي أطبق على الأرض قبل البعثة الشريفة فلم ينج منه إلا الأقلون .

لقد طمست الفطرة واختفى وهجها تحت ركام من الكهانات والخرافات التي نشرتها الجاهليات السائدة في العالم . . . وعودة بالناس إلى دين الفطرة يقول الله تعالى لنبيه في هذا الحديث القدسي :

« وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك !! وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان » . . . في هذه العبارة إشارة إلى خلود القرآن الكريم

واستعصائه على عوامل المحو ، لقد ضاعت كتب سابقة وتطرق إليها الغش !! أما هذا القرآن فقد تم حفظه شكلاً وموضوعاً ، معاني وحروفاً ، ان الصدور استوعبته فهو يقرأ في كل زمان ومكان ، لا يمحوه من القلوب شيء . . . وهنا معنى آخر ، يقول العلماء : « إن العصمة لا تمنع المحنة » أي أن النبي المعصوم مبتلى بأعباء الرسالة ، يشق عليه أداؤ ها ولكنه يتحمل بجلده هذه المشقة . . .

. . . . . ثم يختتم شيخنا كلامه قائلاً :

. . . ونستطيع ونحن ندرس الإسلام الحنيف أن نرى سنن الفطرة وآدابها وتعاليمها الكثيرة ، لكن شيئاً من ذلك ـ على مكانته ـ لا يغني عن ركني الفطرة الأصليين ، وهما :

١ ـ الفكر الحصيف .

٢ ـ والقلب السليم .

- نعم . . . أخي الصائم . . فإن الفكر الحصيف ، مع القلب السليم . . . هما ما نحتاجه اليوم لكل مسلم على هذا الكوكب . . . فبهما نحفظ فقهنا العظيم ، وبهما لا تهرب منا العزة والمنعة والكرامة ، وبهما ومن خلالهما سنعرف ما هو حلال وما هو حرام . . . لأننا ـ عندئذ ـ سنبرهن أننا قوم صفت عقيدتهم ، وصحت فطرتهم . . .

- أخي الصائم . . . من الكتب العظيمة التي عشت معها بكل عقلي ووجداني وفطرتي خلال أيام خلت من هذا الشهر الكريم هو كتاب « الحلال والحرام في الإسلام » والذي تعمدت أن أجعل عنوان موضوعنا باسمه وهو لأستاذنا الفاضل . . الدكتور/ يوسف القرضاوي منحه الله الصحة والقوة وأعانه على المضي في طريق الدعوة ومعه جميع المخلصين من أئمة الإسلام وحماته . . . وإني ـ يا أخي ـ أدعوك لقراءته في هذا الشهر العظيم . . .

وسألخص لك في هذه العجالة ما استطعت استيعابه من هذا الكتاب القيم . . .

١ ـ ان أول مبدأ قرره الإسلام هو أن الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع هو الحل والإباحة ، يعني لا حرام إلا ما ورد نص صريح بتحريمه .

٢ ـ إن النصوص الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جداً ، ومالم يجيء . . . نص بحلّه أو حرمته فهو باق على أصل الإباحة وفي دائرة العفو الإلهي وهذا رسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يقول :

« إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها . . . وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » صدق رسول الله ﷺ

● . . . وقد وقفت طويلاً أمام قول الله تعالى في سورة الأنعام :

﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم ﴾ (الأنعام : ١١٩)

. . . وأردت ـ أخي الصائم ـ أن أنقل لك ما قاله بعض المفسرين حول هذا القول الكريم :

★ فقد جاء في صفوة التفاسير الصفحة ٤١٥ « المجلد الأول »

« . . . ان الله قد بين لكم الحلال والحرام ووضح لكم ما يحرم عليكم »

★ وجاء في التفسير الواضح صفحتي ٧ ، ٨ مانصه :

« فصَّلَ . . . أي بين وأزال عنكم اللبس في المحرمات ، وبين ما أحل لكم . . »

★ وجاء في الجامع لأحكام القرآن « للقرطبي » صفحة ٧٣ من المجلد الرابع :

« بين لكم الحلال من الحرام وأزيل عنكم اللبس والشك »

* أما الشهيد سيد قطب فقال في الظلال ، المجلد رقم ٣ صفحة ٣٦٣ عن قضية التحليل والتحريم :

« . . . ثم يستأنف الحديث في قضية التحليل والتحريم ، فيربطها مباشرة بقضية الإسلام والشرك ، ثم يمضي بعد ذلك شوطاً آخر في الحديث عن طبيعة الكفر وطبيعة الإيمان . . . شوطاً كأنه تعقيب على أمر التحليل والتحريم . . . »

● . . . إلى غير ذلك ـ أخي الصائم ـ مما أرجوك الرجوع إليه في كتب التفسير بعد أن تقرأ كتاب « الحلال والحرام في الإسلام »

٣ ـ أخي الصائم . . حقيقة الدين تتمثل في أمرين . .

أ ـ ألا يعبد إلا الله

ب ـ وألا يعبد سبحانه إلا بما شرع . .

فمن ابتدع عبادة من عنده فهي ضلالة ترد عليه . . . لأن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الحق في إنشاء العبادات التي يتقرب بها إليه .

٤ ـ يقول ابن تيمية : إن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان :

* عبادات يصلح بها دينهم .

* وعادات يحتاجون إليها في دنياهم .

. . . وهكذا نعلم ـ أخي الصائم ـ أن العادات هي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه والأصل فيه عدم الحظر ، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى ، وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله ، والعبادة لابد أن يكون الإنسان مأموراً بها ، فما لم يثبت أنه مأمور به . . . كيف يحكم عليه بأنه محظور ؟!! وهكذا يوضح لنا ـ يا أخي ـ أن الأصل في العبادة التوقيف ومعناه ألا يشرع من العبادات إلا ما شرعه الله وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ (الشورى : ٢١)

● وكذلك ـ أخي الصائم ـ فالعادات أيضاً الأصل فيها العفو فلا يحظر منها إلا

ما حرمه الله وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى في سورة يونس الآية ٥٩ :

﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً ﴾

● أخي الصائم ، إن علمنا بأمور ديننا هو ـ في رأيي ـ كمسلم . . العلم الحقيقي . . العلم النافع لدنيانا وأخرانا ، هو القاعدة المتينة لمعرفتنا بالعلوم الأخرى . . . والحلال والحرام في الإسلام موضوع جد هام وحساس للغاية . . . ومن أجل ذلك دعوتك لقراءة كتاب « الحلال والحرام في الاسلام » قراءة المتدبر أمور دينه ودنياه . . . فليس لمثلي أن يحدثك في أمور كهذه . . . فكما قلت لك في حديث سابق إنني مازلت أحبو . . . قشة علم . . . تطفو على بحر علوم . . . وأرجو الله أن يوفقني وإياك لقراءة كتاب آخر يوضح لنا الطريق المستقيم وحسبي في هذا المقام قول رسولنا الكريم ﷺ :

« الحلال ما أحل الله في كتابه ، والحرام ما حرم الله في كتابه ، وماسكت عنه فهو مما عفا لكم »

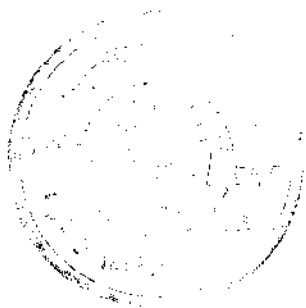

اليوم الحادي عشر
١١ رمضان

ابدأ بنفسك .. وانهها عن غيها
فان انتهت عنه .. فأنت حكيم

دعوة لأخلاق إسلامية

أخي الصائم . . هناك أمور عظيمة ، وقيم أكثر عظمة ورقة ينبغي على المسلم أن يتحلى بها ، وأن تكون حياته كلها ، في سكناته ، وحركاته ، في نومه ، وفي يقظته ، في كل شؤون حياته المادية والعقلية والروحية والاجتماعية والإنسانية والاقتصادية ، فيها كلها . . . خاضعة لمثل هذه القيم التي تشكل في النهاية ماهية فلسفية أو أرضية أخلاقية تكون البنية الأساسية للحياة الفاضلة . . . وقبل أن أدخل معك ـ أخي ـ في هذا الموضوع أجد أنه يتحتم علينا أن نحدد ما نعنيه بكلمة « فلسفة » ثم ما نعنيه بكلمة « أخلاق » . . .

أما الفلسفة فهي ذلك الشيء الذي يضع الخطوط العريضة لكل التجارب الإنسانية ، ومنذ القدم عرف أن هناك طبقة فوق الفلسفة هي طبقة الدين ، وطبقة تحت الفلسفة هي طبقة العلم ، والدين كما تعلم ـ يا أخي ـ قائم على الحقائق المتصلة بالعقيدة . . . وتأتي الفلسفة كشرح للحقائق البعيدة . . . والفلسفة والدين والعلم كل منها له دور . . .

. . . والفلسفة التي نعنيها يجب أن تحرك فيك ـ أخي الصائم ـ الرغبة في معايشة الأفكار والتفاعل معها ، والتفلسف لا يمكن أن يكون أمراً مبنياً على التقليد للأفكار أو الأنظمة الفلسفية مهما كانت ، ولكن التفلسف الحر الهادىء ينبغي أن يكون منبعثاً من ذاتك يا أخي . . . ومن إرادتك الواعية لتكون لك طريقاً فلسفياً معيناً في حياتك . . . فلا تدع القضايا تمر عليك مرور الكرام ، أو كالذين يشترون الصحف ليبحلقوا في دقائق في عناوين الموضوعات وكفى !! أو يجلسون الساعات ليحلوا الكلمات المتقاطعة كي يصنعوا لأنفسهم من خلالها فلسفة !!!

. . . وهذه دعوة لك ـ أخي ـ لأن تكون صاحب عقل واع وذهن متقد ، فلا يجب عليك أن تكون قانعاً بمنطق التبعية الفكرية بل اعمل عقلك جيداً . . لأن الفلسفة التي نقصدها إذا كانت في جوهرها بحثاً عن الحقيقة أو سعياً وراء معرفتها فإن هذا موضوع يهمك ويهمني ويهم كل من نشد الحقيقة . . . واسمع معي إلى ما يقوله الامام الغزالي :

« . . . فاعلم يا أخي أنك متى كنت ذاهباً إلى تعرف الحق بالرجال من غير أن تتكل على بصيرتك فقد ضل سعيك ، فإن العالم من الرجال إنما هو كالشمس أو كالسراج يعطي الضوء . . . ثم انظر ببصرك فإن كنت أعمى فما يغني عنك السراج والشمس ، فمن عوّل على التقليد هلك هلاكاً مطلقاً . . »

. . . والعجيب ـ يا أخي ـ أن التفكير الفلسفي . . . يصورة البعض أنه احتكار للفلاسفة أو للمشتغلين بالفلسفة والمتخصصين فيها !!! وهذا غير صحيح . . . فالله سبحانه وتعالى وهبنا العقل لنفكر به . . . والتفلسف ليس شيئاً آخر غير استخدام هذا العقل . . . فالحيوان يرى ويسمع ، بل ويتذكر ، ولكنه لا يستخدم هذه القوى إلا في حاجاته الوقتية اللحظية . . . فحسب . . . أما الإنسان فهو يرى ظواهر الكون على اختلاف أنواعها فيتصورها . . . ويضع فيها رأياً ثم يعمل فكره مجتهداً ليتعرف على عللها . . . وبناء على هذا الموجز حول

الفلسفة أقول لك ـ يا أخي ـ إنه لا يوجد إنسان لا يتفلسف لأن لكل منا في حياته لحظات يكون فيها فيلسوفاً : ينظر ويتأمل ويحاول الوصول إلى أعماق الأمور . . . كما وأن الفلسفة ليست إلا نتاجاً للنظرة الفاحصة للعقل البشري إلى هذا الوجود ، وتطلعاً مشروعاً من جانب هذا العقل إلى إدراك المبادىء الأولى في هذا الوجود ، ومحاولة لحل ألغاز الحياة المتمثلة في الأسئلة التالية :

من نحن ؟؟ ومن أين نأتي ؟؟ وإلى أين نذهب ؟؟ وما أحسن سبيل للوصول إلى هذا المصير ؟؟

- كما وأن العقل قبس من نور الله ، أو كما يقول الامام الغزالي : « أنموذج من نـــور الله »
- . . . المهم يا أخي . . . الفلسفة ليست نبتاً غير طبيعي في المجتمع وإنما هي ظاهرة إنسانية ملازمة لوجود الإنسان كإنسان ، ولن تزول هذه الظاهرة من الحياة طالما كان هناك إنسان في هذا الوجود [كتاب تمهيد للفلسفة للدكتور/ محمد محمود زقزوق ـبتصرف]
- أما الأخلاق . . . فهي كلمة غامضة ، جاء الدين وتناولها وجعل لها معنى ، وأيضاً تناولها العلم فجعل لها معنى ، وبالمثل تناولتها الفلسفة فجعلت لها معنى ، ونحن يهمنا تناولها من خلال . . . ديننا الحنيف . . . وببساطة عندما نقول كعرف سائد « هذا الرجل عنده أخلاق » نعني بذلك أن هذا الرجل لا ينحرف عن الأصول . . . ونحن في حياتنا العامة نعتبر كل من يخرج عن العرف سيء الأخلاق . . . ولكن يا ترى ما هي هذه الأصول أو ما هي معاييرها :

ـ الدين يقول : « التمسك بما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة . . »

ـ والفلسفة تقول : « عليك بأرسطو وسقراط وأفلاطون »

ـ وعلم النفس يقول : « عليك بالتوازن النفسي »

ـ وعلم الاجتماع يقول : « عليك بالمواءمة بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع »

- أما نحن ـ يا أخي ـ كمسلمين فنطرح كل شيء جانباً حتى نؤسس قاعدة متينة تنطلق من خلال تمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن ذلك هو قمة الأخلاق التي يحار فيها علماء الأرض وفلاسفتها ، ومن ثم تعود إلى مابدأناه . . . من أن القيم التي ننشدها لحياتنا الفاضلة هي :

١ ـ الحق ٢ ـ الخير ٣ ـ الجمال

- ولكل من هذه القيم الثلاث . . . فروع تتجلى في صفات جليلة ينبغي علينا أن نتصف بها كمسلمين مؤمنين بكل ماهو حق وبكل ماهو خير . . . ولنضرب لذلك أمثلة موجزة :

١ ـ « العلم » . . . فالمفروض أن طلب العلم فريضة . . وكلما كان المسلم متعلمًا ما يستطيع معه معرفة دينه وعقيدته وشريعته . . . كان أقرب إلى معرفة الحق ، وإلى فعل الخير . . .

٢ ـ « التطبيق لما تعلم ، والعمل بما تقول » :

. . . فإذا علمت أو تعلمت أنك كمسلم لابد أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . . . لابد أن تكون مؤتمراً به ومنتهياً عنه . . . نعم لكي تصير قدوة لمن يعرفونك أو لمن تدعوهم للخير . . .

والله تبارك وتعالى يذم كل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وخالف فعله قوله . .

« وهذه قمة مصائبنا في هذا العصر . . . فمقت ربنا علينا كثير لأننا فعلاً بتنا نقول ما لا نفعل ، وما أكثر الكلام وما أحلى الكلام الذي نتشدق به . . . مثل التشدق في آلاف الندوات والمحاضرات والمؤتمرات . . . حتى أصبح العدو يسخر منا قائلاً : هذه أمة كلام في كلام !!!

يقول تعالى في سورة الصف ٢ ـ ٣ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ، كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾

ويقول تعالى في سورة البقرة ٤٤ :

﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون ﴾

وهذا رسولنا الكريم ﷺ يقول :

« مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه » رواه الطبراني « الترغيب »

٣ ـ « الإخلاص » :

أخي الصائم . . . لابد أن تعلم أن أي عمل من الأعمال مهما بذلنا فيه الجهد ، وتعبنا وتصبب العرق من جباهنا . . . أو صادف الصداع أدمغتنا ، أو أصاب الأرق عيوننا . . . فلن ينظر الله تعالى إلى هذا العمل أو ذاك ، أو يبارك فيه إلا إذا كان نابعاً من قلب مخلص لله تعالى قبل كل شيء :

يقول تعالىٰ في سورة البينة آية ٥ :

﴿ وماأُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ﴾

وقال تعالى في سورة الحج الآية ٣٧ :

﴿ لن ينال الله لحومها ، ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منك ﴾

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرسل إلىٰ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه كتاباً يقول له فيه :

« من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس » « إحياء علوم الدين »

٤ ـ « الأمانـــة » :

. . . وهنا ـ يا أخي ـ تتضح صفة خُلُقية أخرى حث عليها الإسلام وهي الأمانة . . . في كل شيء . . . خاصة الأمانة في تبليغ دين الله فلا زيادة ولا نقصان ، يقول تعالى في سورة النحل آية ١١٦ :

﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾

٥ ـ « الصـــــبر » . . .

ثم تأتي صفات أخرى هي قمة الأخلاق التي يجب على المسلم أن يتحلى بها مثل :

★ أن يكون رفيقاً لين الجانب . . . تنفيذاً لأمر الله تعالى في سورة الإسراء الآية ٥٣ :

﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ، إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾

★ أن يكون ميسراً مبشراً لا منفراً معسراً مقطب الجبين في وجوه خلق الله .

★ ان يكون ورعاً . . . أي على درجة من الصلاح والتقوى حتى يكون قدوة للناس في عبادته وزهده وخوفه من الله ، وحبه لأخوانه المسلمين الحب الحقيقي ـ وليس المصلحي ـ الحب في الله ولله . . فحسب . .

★ أن يكون صاحب كلمة طيبة إذا خاطب الناس . . . بشوش الوجه . . . يسعى للصلح بين الناس ، تنفيذاً لأمر الله تعالى في سورة الحجرات الآية ٩ :

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . . فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن

فـاءت فأصلحـوا بينهما بـالعـدل وأقسـطوا ، إن الله يحب المقسطين ﴾

وتنفيذاً لتعليمات الرسول ﷺ وتوجيهاته :

« أفضل الصدقة إصلاح ذات البين » « الترغيب »

★ أن يكون صاحب شهادة عادلة إذا دعي لها ولو على نفسه أو أقرب الناس إليه . .

★ أن يكون صاحب أحكام عادلة إذا قضى بين الناس تنفيذاً لأمر الله تعالى حيث يقول في سورة المائدة الآية ٨ :

﴿ يـا أيها الـذين آمنوا كـونوا قـوامين لله شهداء بـالقسط ، ولايجرمنَّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتَّقوا الله ان الله خبير بما تعملون ﴾

★ أن يكون ذا عفو على خَلْقِ الله إذا ما وجد في مثل هذا الموقف . . حليماً لطيفاً في الكلام والمعاملة . . حتى لو كان الطرف الآخر قد ظلمه ، يعفو عنه تجلة واحتراماً وتنفيذاً لأوامر وتعليمات رسولنا الكريم ﷺ ليستحق الانتساب إليه قولاً وعملاً وسلوكاً ومنهجاً .

فهو عليه الصلاة والسلام يقول لنا :

« ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلافاً لحلفت عليهن :

١ ـ ما نقص مال من صدقة فتصدقوا . .

٢ ـ ولا عفا رجل عن رجل مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة . .

٣ ـ ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . . »رواه مسلم وأبو داود « الإحياء »

ويقول ﷺ حاثاً على أن يكون المسلم حليماً :

« ابتغوا الرفعة عند الله » قالوا : وماهي يارسول الله ؟

قال : « تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتحلم عمن جهل عليك » رواه البيهقي والحاكم « الإحياء »

ويقول ﷺ حاثاً المسلم أن يكون بشوش الوجه غير مقطب الجبين في مقابلته للناس : « تبسمك في وجه أخيك صدقة » « الترغيب »

★ أن يكون المسلم متعاوناً متعاضداً مع أخيه المسلم . . . ينصره ويدافع عنه ، ويحوطه بكل ما يحتاجه من رعاية وأخوة ، فرابطة العقيدة أقوى الروابط . . . لا اعتبار لجنس ولا للون ولا لعرق ، فالهوية الواحدة والوحيدة هي « الإسلام »

يقول تعالى في سورة التوبة الآية ٧١ :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم ﴾

★ أن يكون المسلم ذا قلب رحيم عطوف . . وذا إنسانية رقيقة جذابة . . فيعود أخاه المريض في الله وابتغاء مرضاة الله . . على غير ما نرى اليوم وماهو واقع . . . إذا مرض إنسان ما . . وكان ذا رفعة وسلطة وجاه ومال وغلمان . . . تسارع القوم . . . يهرولون وجلابيبهم في أسنانهم « لكي لا يتشقلبوا » وهم يسرعون الخُطا . . للسباق إلى . . . هذا المريض . . . ليس حباً في المريض ولا تمنياً لشفائه ولا غيرة على خُلُقٍ إسلامي ، ولا على اتباع سنة النبي ﷺ ، ولاتنفيذاً لأوامر الله من ضرورة الأخوة الإسلامية بين المؤمنين . . . وإنما هي المصالح المتبادلة . . . المصالح اللحظية الوقتية التي لا يفكر فيها ـ كما سبق أن ذكرنا ـ إلا الحيوانات . . . فأضحى الإنسان اليوم ـ إلا من رحم ربك ـ في

جريه وهرولته يشكل القالب الخارجي للإنسان . . . أما جوهرة فهو خواء . . . ولعيادة المريض المسلم . . . بصرف النظر عمن هو . . . غني أو فقير ، حاكم أم محكوم ، صاحب سلطة أم صاحب مرضه !! المهم أنه مسلم . . . يقول لنا الرسول ﷺ : **« من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه بأن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً » صدق رسول الله ﷺ « رياض الصالحين »**

★ أن يكون المسلم ذا مروءة وشهامة في قضاء حاجات الناس ، وأن يسعى جهده لتقديم وتحقيق الخير لهم . . . شريطة أن يكون منكراً لذاته . . . يعمل لله ومن أجل الله طمعاً فيما عند الله . . . ويأتي الواقع ليقول بما هو صائر في هذا العصر الأغبر . . . فقضاء حاجات الناس ، والسعي في تقديم الخير ، وتفريج كرب المسلمين . . . كل هذا أصبح . . . مقاساً بموازين المصالح . . . بل على العكس . . . أصبح هناك أسلوباً أو مقولة . . . تلوكها ألسنة جاهلة سافلة تعتقد أنها بلغت حداً من الرقي والتقدم الفكري أو ما تسميه « الفهلوة » والحداقة « والمفهومية » مقولة . . . « . . . يعني أعمل . . . لسيادته . . . بكده لله ؟؟ »

تقال هذه العبارة السمجة البذيئة عندما يتشفع أحد المخلصين الشرفاء لدى واحد من هؤلاء السفلة المغرورين لاسيما إذا كان من شلة « المصلحجية » أي أصحاب المصالح والمنافع المتبادلة ـ . . . يتشفع لمسلم أصابه مكروه . . . أو دفعه قدره أو ظروفه أن يدخل دائرة الكرب والضيعة والحاجة فيرد ذاك المغرور . . بذلك الرد الخالي من أية درجة من الإيمان ، ففي

عرفه التافه أصبحت الخدمة لله . . . نقيصة . . . والكمال في مفهومه هو « أين المقابل . . . أين المصلحة . . . أين النفع . . . أين الهبش . . . والنهش !!! »

- وبالطبع مثل ذلك الشخص كأنه لم يسمع ما قاله الله تعالى في سورة النساء الآية ٨٥ :

﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ، وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ حتى لو سمعها هو لا يعنيه إلا الجزء الثاني منها . . . لأن الشيطان قد تسلط على نفسه تماماً فأسلم القياد له . . . هو جاهز ومستعد دائماً أن يشفع شفاعة سيئة . . . ولكن الشفاعة الحسنة لاتعرف الطريق إلى قلبه . . . عافانا الله من أمثال أولئك الغرباء عن الإسلام شكلاً وجوهراً . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله . . .

- حول السعي في الخير والحث على فعله والمشي في طريق يقول ﷺ : **« لأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته ـ وأشار بأصبعه ـ أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين » « الترغيب »**

* وأخيراً . . يجب أن يكون المسلم ناصراً للمظلوم . . . فنصرة المظلومين من المسلمين فريضة على القادرين على نصرتهم . . . ولو بالقتال . . . يقول تعالى في سورة النساء الآية ٧٥ :

﴿ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ .

- وما يحدث اليوم في بلاد المسلمين ، وما هو صائر من حالهم الذي يخجل منه كل من ملك ذرة من إحساس . . . حيث يقتل بعضهم بعضاً ، ويزاحم بعضهم بعضاً ، وتنتهك أمامهم وعلى مسمع منهم حرمات

وحرمات ، وتنتقص من أطرافهم أجزاء وأجزاء . . وما وجدنا نصرة هؤلاء لهؤلاء إلا بحرب « الحلوق » فما أكثر المنابر وما أكثر الندوات وما أكثر المحاضرات وما أكثر المؤتمرات التي تشجب وتستنكر . . . وفي رأيي الخاص ـ لم يصعب علي أو يعز على خاطري إلا ملايين الصفحات من الأوراق البيضـــاء المسكينـة التي تسكب عليهـا كلمـات الشجب والاستنكار . . . من خلال الأقلام الذهبية والفضية والبرونزية . . . وليت شعراء الجاهلية أحياء . . . في هذا الزمان . . . لأعادوا معلقاتهم على صفحات هذا الورق الجميل . . . ولكن على ما يبدو أن حالنا اليوم أعظم منهم بكثير إذ سبقناهم بمعلقاتنا نحن حيث وضعناها هناك . . . رمزاً . . . نعم هناك في « الأمم المتحدة » التي اتحدت على خذلان كل مسلم في الأرض . . . رمزاً لنصرة المسلم لأخيه المسلم وقد أعدنا زمان الاستجابة لصرخة « وا إسلاماه » وعجباً لهذه الأمة . . . وعجباً لهؤلاء المسلمين أو المتمسلمين !!! وليتهم يقرؤون معنا ـ يا أخي الصائم ـ قول الرسول الكريم ﷺ حول هذه المعاني :

« مامن مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىءٍ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته » رواه أبو داود « الترغيب »

هكذا ـ أخي الصائم ـ سبحت معك في خواطر هذا الموضوع وأسأل الله لي ولك التوفيق .

اليوم الثاني عشر
١٢ رمضان

العبَادَة.. الحَقّ

الصلاة تهذب النفس وتطهرها . . .
والصوم يقوي الإرادة الإنسانية ويربي الضمير
والزكاة حق الضعفاء الفقراء في مال الأغنياء
والحج . . . التقاء روحي . . . وتراحم . .
« وكل العبادات غذاء للروح »

أخي الصائم . . . لو سألت نفسك سؤالاً يقول :

ما معنى العبـــادة ؟؟

يجيبك أحد العارفين قائلاً :

العبادة : هي العبودية معنى وحقيقة ، فأنت عبد ، والله معبودك ، وكل ما تأتي به أنت أيها العبد في طاعة معبودك هو العبادة .

● وحول هذا المعنى ـ أخي الصائم ـ سأضرب لك مثالاً :

. . . فإذا أنت كلمت الناس مع اجتنابك الكذب والغيبة والغش في كلامك هذا ، وإذا تحريت الصدق والعدل والمعروف والخير في كلامك هذا ، . . . فكلامك هذا عبادة لله تعالى ولو كان كله عن شؤونك الدنيوية . . .

ومثالاً آخر :

. . إذا عاملت الناس ومشيت في الأسواق مشترياً وبائعاً ، وعاشرت أباك وأمك وإخوتك وأهلك ، وجالست أصدقاءك وذوي قرباك . . . مراعياً في

ذلك أحكام ربك وقوانينه ، وأديت إلى كل ذي حق حقه ـ لأن الله قد أمرك بأدائه إليه ـ وإذا لم تبخس أحداً شيئاً من حقه ـ لأن الله قد نهاك عن ذلك ـ . . . إذا حدث كل ذلك على الوجه الذي يرضي الله سبحانه . . . تكون قد قضيت حياتك . . . كلها في عبادة الله . . . وكذلك إذا أحسنت إلى مسكين ، أو إذا نصرت مظلوماً ، أو أطعمت جائعاً ، أو واسيت مكلوماً ، أو عدت مريضاً . . . وجعلت نصب عينيك في كل هذا . . . وجه الله تعالى دون طلب منفعة أو عز أو سمعة ذاتية ، أو مصلحة دنيوية ، يعد لك كل ذلك من عبادتك لله تعالى ، وكذلك إذا تعاطيت التجارة أو الصناعة أو اشتغلت بالخدمة وأديت ما عليك من الواجب بكل أمانة وصدق ، ثم كسبت الحلال وتجنبت الحرام . . . كان كسبك هذا وسعيك في سبيل عبادة الله تعالى ، مع أنك ما قمت بكل ذلك إلا لتكسب الرزق لنفسك . . . ولكن هكذا يكون كرم الله ولطفه وفضله . . . يعطي ويحاسب بالنية ، فكلما كانت نيتك لله تعالى كانت عبادتك له سبحانه صحيحة وسليمة . . . وهو سبحانه مكرمك ومعطيك .

- وجملة القول ـ أخي الصائم ـ إن خوفك من الله في كل شأن من شؤون حياتك ، وفي كل حين من أحيانك ، وجعلك مرضاة الله نصب عينيك واتباعك لقانونه ، ورفضك لكل منفعة تنالها أو يمكن أن تنالها بمعصيته وصبرك على كل مضرة تصيبك ، أو يمكن أن تصيبك بطاعته ، كل ذلك من عبادتك لله تعالى ، وحياتك بهذا الطريق من أوله إلى آخره عبادة ، وليس الأكل والشرب والنوم واليقظة والقعود والقيام والمشي والكلام والسكوت إلا من العبادة . . طالما كان لسانك دائمًا يلهج بذكر الله ، وطالما كان قلبك دائمًا ينبض بحب الله ورسوله ﷺ .
- ولا شك ـ يا أخي ـ أن العبادات تربي الضمير الإنساني ليأتلف المؤمن مع غيره ، ويرتبط به ارتباطاً روحياً ، وقد روي أن النبي ﷺ قال :

« المؤمن يألف . . . فلا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف »

● . . . وما كانت العبادات لحاجة الله تعالى إليها ولا لمجرد التقرب إليه سبحانه حتى يكون ذلك التقرب ولو بظاهر من القول غرضاً مقصوداً إنما كانت العبادات لتربية الضمير الديني (اللوام) عند مقارفة معصية أو مقاربتها . . . وللإحساس كذلك بالاطمئنان إذا كان متذكراً الله سبحانه وتعالى . . كما قال جل وعلا في سورة الرعد الآية ٢٨ :

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾

● فصلاتك ـ يا أخي ـ المفروض أن تكون محمودة . . . تسألني : وكيف تكون غير محمودة ؟؟ أقول لك . . . الصلاة . . . صلاتك أو صلاتي أو صلاة أي مسلم . . . لا تكون محمودة . . . إلا إذا كانت هذه الصلاة سبباً لتطهير النفس الإنسانية ، وإلا إذا كانت سبباً في تنقية الضمير من أدران الحقد والحسد والبغض والإيذاء ـ والعياذ بالله ـ . . . نعم فالصلاة الصادقة المحمودة ـ تجعل صاحبها ربانياً لا يعمل إلا لله ويحب خلق الله . . . لله ، ولا يعرف البغض طريقه إلى قلبه ، ولا الحقد كذلك ولا الحسد وتجعل صاحبها يعمل لإصلاح الناس ، وتجعل صاحبها دائمًا حريصاً على أن يبدو دائمًا ـ صادقاً ـ مخلصاً في عقيدته مخلصاً في عبادته . . . لا يظهر منه مايضر جماعة المسلمين أو يفسد مجتمع المسلمين .

● . . . ومن أجل ذلك ـ يا أخي ـ جعل الله سبحانه وتعالى . . . غاية للصلاة من حاد عن هذه الغاية . . . فإنما فقد روح الصلاة . . . وأي شيء ليس فيه إحساس يحمل صاحبه على سلوك معين . . . يكون مفتقراً للغاية أو غير محققها على الأقل . . فالصلاة لها خاصية معينة محددة وهي أنها تؤدي إلى منع الفساد في جماعة المسلمين لقوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٤٥ :

﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾

● والصوم . . . أيضاً له تأثير كبير على النفس الإنسانية . . . حيث يهذب

النفس ، مثله مثل الصلاة تماماً . . . إلا أنه ـ أي الصوم ـ لا يتكرر في كل يوم خمس مرات بل يكون شهراً في العام الواحد . . . وهو شهر التجرد من اللذات والشهوات طوال النهار . . . وطرفاً من الليل . .

- وللصوم ـ يا أخي ـ ثلاث ميزات إنسانية وهي :

١ - فهو يهذب النفس ويربي الضمير الاجتماعي . . حيث يبعث في الإرادة الإنسانية قوة مهولة . . . ويجعلها مسيطرة على لذاتها وشهواتها . . .

٢ - وهو يجرد الروحي تجريداً عجيباً . . . فيكون الإنسان أثناء الصوم كالملائكة في طهارتهم . . . إذا جاهد نفسه ، وعاند غرائزه وسيطر عليها . . . ورسولنا ﷺ سمى جهاد الشهوات : الجهاد الأكبر . . .

٣ - وهو أخيراً يجعل الروح رفيقة كلها رحمة وعطف ومحبة للضعيف والمسكين . . . حيث فيه العلو الروحي باتجاه الملائكة في علاهم . . . يحس الصائم بإحساس الآخرين ، فإذا جاع وشعر بذلك أحس بآلام الجائعين ، وإذا أدرك آلام إخوانه أمدهم بالعون ، وائتلف معهم . . .

- والحج . . . عبادة اجتماعية . . . تكون بالمال والجسم . . . فإذا كانت الصلاة والصيام عبادات للجسم يقوم بها الناس أجمعون ماداموا مسلمين يؤدون ما يطلبه الله سبحانه منهم . . . وما دامت الزكاة هي . . . عبادة الأغنياء . . . يؤدون ما عليهم من حقوق لفقراء مجتمعهم . . . فإن الحج عبادة تجمع بين الجسم والمال ، فلا تجب هذه العبادة إلا حيث تتوفر الاستطاعة الجسدية (الصحة) والاستطاعة المالية . . .

- . . . وبالطبع نحن هنا ـ يا أخي ـ سوف لا نتعرض إلى معاني الحج العظيمة وما فيه من معانٍ اجتماعية بين المسلمين غالية عزيزة . . . وإنما وددت ـ يا أخي ـ أن أشير باختصار شديد إلى أن العبادات في الإسلام تتجه إلى

تربية الوجدان الديني . . . يجعل المؤمن بالإسلام مؤتلفاً مع غيره ليتكون من هذا الائتلاف مجتمع إنساني متواد متحاب . . . والمودة والمحبة إذا سكنتا في القلب شملت العلاقة الإنسانية كل الوجود . . . هذا والعبادات في الإسلام ليست غايتها مجرد التقوى السلبية ، بل غايتها تتجه إلى النفع الإنساني في العالم ، وإلى إيجاد مجتمع متحاب غير متباغض ولا متنازع . .

- وكما أجملنا في السطور الأولى العامة في بداية حديثنا هذا عن (العبادة الحق) فإننا نكرر بإطناب أن العبادات ليست مقصورة على الصلاة والصوم والزكاة والحج ، فإن كل عمل يقصد به وجه الله تعالى والقيام بحق الناس استجابة لطلب الله تعالى بإصلاح الأرض ومنع الفساد فيها يعد عبادة . . . وعبادة مقبولة ، وسأروي لك حكاية بسيطة ـ يا أخي ـ . . . فيروى أن رجلاً دخل عل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسأل عمر من حوله عنه ، فقالوا : إنه عابدنا . . . فقال عمر : ومن يؤكله ؟ قالوا : أخوه : فقال عمر رضي الله عنه . . . أخوه أعبدمنه .

نعم . . . فهذا رسولنا الكريم ﷺ يقول :

« من الذنوب ما لا يكفره إلا السعي على العيال »

- . . . هذا ـ يا أخي الصائم ـ يوضح لنا أن العبادات في الإسلام ليست تجرداً من الدنيا ، . . . والعبادات غذاء روحي . . . ولكن للجو الصالح أثراً كبيراً جداً في هذا الغذاء . . . فمثلاً : إذا كان الرأي العام ليس فاضلاً لا يكون هنا . . . للوجدان الديني الذي تربيه العبادة ثمرته الطيبة . . . ولا يمكن أن تحمى الفضيلة ، إلا اذا كان الرأي العام صالحاً . . . حيث يقوم المعوج ويسير بالمجتمع في خط مستقيم لا تعاريج فيه . . . ولكن كحالنا اليوم . . . نجد الرأي العام هنا أو هناك . . . نجده فاسداً . . . ومن ثم فستفسد الجماعة . . . لأن الرأي العام الفاسد سوف يتكاسل ويتغافل عن حماية الفضيلة . . . بل سيعمل على رفع راية الرذيلة

عالية . . !! ومن أجل ذلك حث الإسلام على تدارك مثل هذه الآفات فأرشد المسلمين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر . . . حتى يكونوا أمة يكون فيها الشر مُلام . . . والخير مُشجَّع . . . ومن ثم كانت الأمة الإسلامية . . . أمة فاضلة . . . ولكن مابال الشر ـ ياأخي الصائم ـ يسير متبختراً رافعاً رأسه في عصرنا الحالي . . . وفي مجتمعاتنا . . . ولا يوجد من ينكره ـ إلا القليل من المخلصين الغيورين ـ وربما يكون هؤلاء لا حول لهم ولا قوة . . . ومن هنا تكون هذه الأمة آثمة . . . لأن الشر إذا ظهر على السطح فأصبح الإغراء به . . . أمراً واقعاً ، واستمع معي ـ ياأخي ـ كيف ذم القرآن الكريم بني اسرائيل لأنهم افسدوا مجتمعهم بترك الآثمين يرتعون في إثمهم من غير أن ينهوهم . . . يقول تعالى في سورة المائدة ٧٨ ـ ٧٩ :

﴿ لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ .

- وهكذا ـ نحن اليوم ـ يا أخي . . . تاهت أمتنا وتغير حالها ، واضطربت أمورها ، وانقطعت الصلات التي تربطها :

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد : ١١)

- ونحن اليوم في حاجة ماسة إلى تكوين رأي عام فاضل . . . فكيف نبدأ به . . . في رأيي الشخصي كمسلم أحسب نفسي من الغيورين ـ والله أسأل أن أكون كذلك حيث منه سبحانه القبول . . . إذا بدأنا في تكوين رأي عام فاضل . . . علينا بأن نحث الناس على « الحياء »

- ولا تتعجب يا أخي . . . فالحياء خير كله كما قال ﷺ . . . والحياء هو الضابط للإنسان الذي يمنعه من الانطلاق وراء هواه وشهواته وغرائزه ، فلا يكبحه خلق ولا يردعة عقل ، ولذلك قال ﷺ :

« إن مما توارثه الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت »

والحياء يحمل المرء على ألا يظهر منه إلا ما يقبله الناس ، ولا ينفر منه الذوق السليم ، فنحن في حاجة إلى لياقة اجتماعية . . يظهر فيها الخير ويختفي الشر . . والحياء إذا شاع بين الناس وساد انضبطت النفس بقيود خُلقية ، واستتر فيها رويداً رويداً زرع الشر . . .

● والحياء عبادة . . . لذلك فهو مطلوب . . . لأنه يظهر الفاضل ويخفي المرذول . . . والإسلام حريص جداً أن يكون المجتمع الإسلامي نظيفاً ، لا يظهر فيه الخبث بل يستتر فيه عن الأنظار . . . وعلى هذا الأساس أو انطلاقاً من هذا المفهوم أو هذا الواقع الذي نعيشه ، نقول : إن المطلوب من المسلمين . . . التعاون والتعاضد لإيجاد مجتمع فاضل . . . ولكني ـ كمسلم ضعيف الحيلة فقيرها ـ لا أشم رائحة العزم الأكيد في ذلك مما دعاني أن أردد ما سبق أن قال به أحد الصالحين رحمه الله رحمة واسعة وهو أستاذنا العالم الجليل الإمام/ محمد أبو زهرة :

« ياسيدي يارسول الله لو كنت اليوم بيننا لدوَّى صوتك الكريم في العالمين يدعو الناس إلى الرحمة ، وإلى الامتناع عن الظلم والسير في طريق الظالمين ومعاونتهم ، ولسمع العالم كله قولك عن ربك : « **يا عبادي إني كتبت العدل على نفسي فلا تظالموا** » ولسمعك وأنت تقول :

« **من مشى مع ظالم فقد سعى إلى النار** »

. . . ولكنك مضيت إلى ربك ، وتركت في أتباعك المحجة البيضاء فهل قاموا بما يجب عليهم ؟ . . . اللهم اهدهم إلى سواء الصراط . . .

● هكذا ـ أخي الصائم ـ انتهت معك سبحاتي وخواطري هذا اليوم حول هذا الموضوع . . والله أسأل أن يمنحني وإياك رضاه وعفوه ويصلح حال المسلمين ويرد شاردهم إنه لما يشاء قدير » .

اليوم الثالث عشر
١٣ رمضان

الشَبَاب.. وَالقُدْوَة

- أخي الصائم . . . إن مجتمعاتنا الإسلامية تمر اليوم بمشاكل عديدة تنتظر الحلول ، ولا أعتقد أننا سنصل إلى حل واحد . . . إلا إذا كانت طريقتنا في وضع الحلول . . . طريقة تعج بالحركة الموضوعية العاقلة ، وتتزين بالإخلاص الكامل ، وتتسم بالغيرة المطلقة على دين الله في الأرض . . وكل هذا يتطلب منا مزيداً من التفكير المستمر ، والعمل الدؤوب . . . ولعلك ـ أخي الصائم ـ تتفق معي في أن أبرز هذه المشاكل التي لا تخفى على مسلم . . هي :

ـ مشكلة الشباب ـ وحقيقة لامراء فيها . . فإن مستقبل الإسلام مرهون بما يكون في صدور الشباب . . . فبقدر ما يكون حب الله وحب الرسول ﷺ ، وبقدر ما يكون الارتباط الوثيق بتعاليم الإسلام ، وأخلاق الإسلام ونظرة الإسلام للإنسان والحياة والمجتمع والكون . . . وبقدر ما يعطي الشباب هذه المعاني قوة وتطبيقاً وسلوكاً وقدوة . . . بقدر ما يكون الاطمئنان على مستقبل هذا الدين . . . الذي ـ كما أسلفنا ـ مرتبط بقوة الشباب . . . عقيدة وسلوكاً . . .

- ذكرني هذا الموضوع ـ ياأخي في الله ـ بسؤال وجهه بعض الشباب المسلم إلى العلامة/ أبو الأعلى المودودي وكان نصه :

« أستاذنا . . . العالم الإسلامي ـ كما تعلمون ـ يعيش اليوم حيرة

مردية . . . عقيدة وتصوراً وسلوكاً ، وأبرز ما تكون هذه الحيرة في الشباب المسلم . . . فنريد أن نعرف أولاً :

ما هي الأسباب التي خلقت هذه الحيرة أو ساعدت على وجودها ؟؟

● أتعرف ـ أخي الكريم ـ ماذا أجاب هذا العالم المتمكن الذي عرف الداء ومكمنه تماماً فوصف العلاج الناجع دون التواء أو تقعر أو تقليد . . إجاب إجابة شافيه جسد فيها ماهو مكبوت في نفوس الغيورين :

. . . إن من أعظم الأسباب في هذه الحيرة التي تعانون منها أيها الشباب المسلم بصفة خاصة ، ومعكم شباب العالم كله بشكل عام . . . هو التناقض في التوجيه والإعلام والتربية ، تناقض بين ما ورثتموه وبين ما تعيشونه ، بين ماتلقنونه تلقيناً وبين ما يطلبه منكم علماء الدين ، هذا التناقض العجيب الذي سلط عليكم ، ومنيتم به هو السر في هذه الحيرة .

● . . . ثم يسترسل العلامة الكبير . . . فتكلم موجهاً خطابه ضمن الإجابة إلى الشباب المسلم في العالم أجمع ، فقال :

. . . هذا التناقض هو السر . . . نعم هو السر في هذه الحيرة . . . الشباب في العالم اليوم . . . آمنوا بعقائد معينة ، مثلاً شاب مسلم ولد في بيت إسلامي وفي أسرة إسلامية ، . . . نشأ في بيئة دينية تؤمن بمبادىء الإسلام . . . وقرأ التاريخ الإسلامي ـ إذا أكرمه الله بذلك وتسنت له هذه الفرصة الكريمة ـ وكان سعيداً بوجوده في بيئة واعية دينية . . . ثم يبدأ هذا الشاب المسلم يسمع ويرى ما ينفي ذلك الذي تم غرسه في قلبه وعقله من التربية الإسلامية . . . فيقع في تناقض عجيب وصراع فكري عنيف وهو من أدق أنواع الصراع ومن أصعب أنواعه ، فإنه قد يواجه الصراع في ساحة القتال ، ومدة ساعة القتال قصيرة وإن طالت ، ولكن هذا الصراع يعالجه دائمًا إنه يعالجه في المسجد ، ويعالجه في المدرسة ، ويعالجه في البيت ، ويعالجه فيما بينه وبين نفسه ، وهذا الصراع المرير العميق يتلقى من كل

أدوات العصر الحديث ، ومن ثم يقع الشباب المسلم من كل ذلك في حيرة لا تعدلها حيرة ، فخليق بكل هذا أن يوقع الإنسان ـ وإن كان ناضج الفكرة ، مختمر العقل حصيف الرأي ـ في حيرة . . . فكيف بالشباب الغض الناعم ، وكيف بهذه البراعم الناعمة التي لم تتفتح بعد ، كيف يرجى منهم أن يقفوا أمام التيارات المتصارعة ؟؟

● . . . ثم وجه إلى الشباب هذه النصائح الغالية مطالبهم بالعمل الجدي للإسلام وقال :

١ ـ « . . . لابد لكم قبل كل شيء ، من معرفة دقيقة بحقيقة الإسلام ، لتكونوا مسلمين علمًا وتفكيراً كما أنتم مسلمون قلباً وعاطفة »

٢ ـ « . . . عليكم أن تبادروا إلى تقويم ما اعوج ، وإصلاح مافسد من أخلاقكم وعاداتكم حتى تشهدوا بذلك شهادة عملية للإسلام الذي شهدتموه من قبل شهادة قولية ، ولتعلموا بأن التناقض في قول الإنسان وعمله يزرع بذور النفاق في القلوب ويزيل ثقة الناس به . . . »

٣ ـ « . . . عليكم بدراسة أسس الحضارة الغربية وانتقادها وتمييز خبيثها من طيبها حتى تحرروا بذلك عقول المسلمين وقلوبهم . . . من التبعية للغرب ، وحتى تحطموا أصنام النظريات الغربية التي استحوذت على قلوب جماعة من المسلمين من زمن طويل . . . هذا في جانب ، وفي الجانب الآخر عليكم أن تقوموا بتدوين وعرض قوانين الإسلام للحياة الإنسانية بطريقة علمية ترغم الجيل الجديد على الاعتقاد بصحة هذه القوانين وتقنعه بأن نظام الإسلام من شأنه أنه إذا أخذ به شعب من شعوب العالم لا يتقدم فحسب ، بل يسبق الآخرين في كل ناحية من نواحي الحياة . . . »

٤ - « . . . عليكم أن تهتموا كذلك بنشر الدعوة بين صفوف العوام حتى تبددوا ظلام جهلهم ، وتجعلوهم على بينة من أمر دينهم ، وحتى يتبين لهم الخبيث من الطيب ، كما يجب عليكم أن تهتموا بإصلاح أخلاقهم ورفع مستوى تفكيرهم ووعيهم الإسلامي ليقفوا سداً منيعاً في وجه السيل العارم من الإلحاد والفسوق الذي ينتشر بسرعة في البلاد الإسلامية . . . »

● . . . إلى هنا ـ أخي الصائم ـ أو جزت لك ما قاله هذا العلامة الكبير حول القضية التي نحن بصدد الحديث عنها اليوم . . . وحقيقة ـ يا أخي ـ فإن مشكلة الشباب مشكلة هامة وحساسة . . . لأنهم هم الأسس القوية التي تقوم عليها المجتمعات . . . إذا صلحوا صلح المجتمع ، وإذا فسدوا . . . تميع المجتمع وتهتك ، فماذا يا ترى قدم المجتمع ـ أي مجتمع ـ لإصلاح الشباب . . . حتى اليوم ؟ . . . الواقع أننا نرى خلاصة طفيفة سطحية من صنع المجتمع . . . فأولاً : إذا وقفنا أمام التعليم . . نجده قد أدى إلى ثقافة شخصية ، ولم يؤد إلى المواطن الصالح وكثيراً ما أدى إلى المعرفة العامة ولكنه قليلاً ما أدى إلى خلق شخصية سليمة فأقصى ما يتمناه الطالب اليوم هو نجاحه في الامتحان في هذه المرحلة أو تلك . . . ثم يلقي بكل مادرسه من وراء ظهره بمجرد ظهور النتيجة !! والكلام حول هذا الموضوع طويل وكثير وعريض . . ثانياً . . إذا وقفنا أمام الوعظ والحث على الأخلاق فهل أدى هذا الوعظ إلى إصلاح الأخطاء الشائعة بين الشباب ؟؟ الغالب أننا نمل الوعظ ولا نتأثر به إلا إذا كان مهيئاً في قالب تستوعبه النفس ، وينفذ إلى القلب ، وأتوسع شرحاً فأقول : إن لم يكن ذلك الوعظ مؤدياً إلى امتناع قلبي فلا فائدة منه ، ويجوز أن يكون كلام الوعظ بليغاً ومؤثراً ولكن إلى متى يأخذ هذا التأثير مكانه في القلب والعقل ؟؟ لا يعدو ساعة . . . بل دقائق وهي التي ألقي فيها فحسب !! ثالثاً : إذا وقفنا أمام التعليم الديني الذي

يتلقاه أبناؤنا اليوم . . . حقيقة إني أومن بأن هذا التعليم ونوعيته من العناصر الأساسية في الإصلاح . . . والقائمون عليه ـ جزاهم الله خيراً ـ أثناء تأديتهم لرسالته كأنهم . . . كأنهم يسيرون على نهج الدعوة أو يكملون مسيرتها . . . وأنا في ذلك أتمثل سير الرسل والأنبياء وما لا قوة في سبيل الدعوة وما تجشموه في سبيل نشرها وما صادفوه في حياتهم وهم في الطريق . . . يكفي ذلك تقويماً للنفوس المعوجة ، ويكفي ذلك للنزعات الضالة . . . إلا أن اضطرابات العالم ، والكوارث المتلاحقة صنعت « قلقلة » ونشرت « موجة قلق » مما دعا بعض المفكرين والمصلحين أن يضيفوا إلى الوعظ الديني « الإصلاح النفسي » لتدارك الأمراض التي يعانيها شباب هذا العصر ـ كما قال العلامة أبو الأعلى المودودي . . . وهذا الإصلاح أو هذا العلاج . . . تكون أمامه عدة نقاط لابد من تشخيصها تماماً ومعرفتها معرفة علمية فأي شاب . . . اختزن في قلبه وعقله أشياء وأشياء منذ الصغر حتى خرج إلى مرحلة الشباب . . . هذا المختزن هو مايجب التعامل معه بعد معرفته فمثلاً :

١ ـ الأنانية التي يرجع أساسها إلى الطفولة

٢ ـ الصراع الذي بني على العقد والمركبات .

٣ ـ الاستهتار الذي يولد الميل إلى الهدم والتحدي .

٤ ـ الاندفاع الذي لا يخلو من الخيال والعاطفة والابتعاد عن العقل والمنطق . .

- هذه ـ ياأخي ـ كلها أخطاء الشباب . . . لابد من مواجهتها المواجهة العلمية المحسوبة . . . وأهمها بل أخطرها « الصراع » الذي هو السبب الرئيس في ذاك الذي يعانيه شباب هذا الجيل . . . الذي أصبح لا يرى إلا من خلال ضباب كثيف !!

- . . . ولا أعتقد أن الوعظ الأجوف . . . والكلام التقليدي المتقعر ،

والأساليب المحفوظة كأنها « قطعة نصوص من الشعر الجاهلي أو غير الجاهلي » . . وطرق التخويف والتهديد . . . لا أعتقد أن هذا هو الذي يعيد الشباب إلى وعيه ، ويحيل النقص فيهم إلى كمال ، والشرود إلى وجود ذواتهم وسط مجتمعهم الإسلامي العريض . . بل الذي يعيده ويؤثر فيه هو « الإقناع والاقتناع » كيف ؟؟ هذا هو السؤال المطروح اليوم أمام المصلحين والعلماء . . . وهي لا شك مسؤولية كبرى أمام الله . .

- . . . أساليب الوعظ المنبرية . . بقدر ما هي فعالة ومؤثرة ـ أحياناً ـ ولكنها لم تعد كافية لإدخال تعاليم الإسلام إلى قلوب هؤلاء الشباب بل إنها بالنسبة لما نلمسه اليوم من وسائل الدعاية والإعلام والتأثير النفسي الحديث على الأفراد والمجتمعات . . . تكون مرحلة من مراحل الوعظ . . . إلى جانبها يجب الاستعانة بكل الأساليب الحديثة حتى تؤثر على مشاعر الشباب وأفكارهم . . . ولعل التربية بالقدوة ـ ياأخي في الله ـ أهم مرحلة من مراحل التربية كما قال الاستاذ/ محمد قطب في كتابه « منهج التربية الإسلامية » . . . هذه المرحلة تليها مرحلة التربية بالموعظة والتربية بالعادة والتربية بالأحداث . . ولا شك أن كل لون من هذه الألوان ينفذ إلى النفس من أحد منافذها ، ويلعب على بعض أوتارها .
- أخي الصائم . . . مجتمعاتنا الإسلامية مفتقرة أكثر من أي وقت مضى ـ إلى ترسيخ دعائم الإسلام فيها تنظيمًا وتخطيطاً بصفة خاصة الذين هم ثمرة وجودنا وأملنا المشرق . . . في حاجة اليوم ـ حاجة ماسة ـ إلى كل ما يمكن استغلاله من وسائل العصر لتوجيهه التوجيه السليم . . . وهم ـ أي الشباب ـ قبل كل شيء في حاجة شديدة إلى القدوة . . . ثم تأتي بعد ذلك مراحل أخرى من أساليب التربية . . . المهم أين القدوة ؟؟
- أخي الصائم . . . إذا تأملت وفكرت في الفضائل والأخلاق والقيم الإنسانية ستدرك أن حياة الناس لا تصبح حياة جميلة طيبة ، ولا يظلها

الأمن والسلام والإخاء الإنساني إلاَّ بالعيش في كنفها وحماها . . والأولى بذلك العيش هم « الشباب » الذين ينبغي دائمًا أن يضعوا أمام عقولهم المعنى الذي قصده الشاعر أحمد شوقي حينما قال :

« وإذا أصيـب القـــوم في أخلاقهـــم
فأقم عليـهم مأتمـاً وعـــويلاً »

● . . . ولا يمكن أن نثير مثل هذه المفاهيم في نفوس الشباب إلاَّ إذا كنَّا . . . لهم قدوة . . . فهم ـ كنفوس بشرية ـ في حاجة حقيقية إلى القدوة . . . ولا نشك أخيراً في أن كل دوائر الآداب ومناحي الأخلاق تثير في الشباب سلوكيات حياتية عظيمة عندما يلمسون ذلك كله في قدوتهم ومثلهم العليا . . .

اليوم الرابع عشر
١٤ رمضان

القرآن الكريم
قوة عاملة في بناء عقائد المسلمين
وهو الدستور الشامل الجامع ١

● « أخي الصائم . . . دعنا نعيش هذا اليوم لحظات مع الآية الكريمة التي يمكن في ضوئها أن يكون حديثاً معك إن شاء الله ، يقول تعالى في سورة القرة الآية ١٨٥ :

﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان . . . ﴾

● ففي هذا الشهر الكريمِ أُنزل القرآن فكانت الهداية ، وتحققت مستلزماتها وثمراتها على هذه الأرض ، وفي هذا الشهرِ أُنزل القرآن فكان العلم وكانت المعرفة وكانت المعالم وكانت القيم . . .

● كان هناك ظلام وفتور في الحياة . . . ومد خطير وعنيف للجاهلية ، ولكن عند نزول القرآن انحسر هذا المد ، وتبدد الظلام ، ودبت الروح في الحياة . . .

● نعم في هذا الشهر أنزل القرآن . . . فكان الإنسان بعبوديته لله وحده ، وطالما أن الإنسان أصبح لا يعبد إلا الله مؤمناً أنه الواحد الأحد القادر القاهر النافع الضار . . .

فإن رسالة الإسلام لا شك ستأخذ أبعادها وتعمل عملها في تغيير وجه الحياة . . . إلى ما هو أفضل وأكرم في جميع ميادين الحياة . . .

- بنزول القرآن تأكدت رسالة الإسلام التي أصبحت رسالة الحب والصفاء ، والهداية والرشاد ويكفي أن الله تعالى ذكر لنا صفة « **الهدى** » بنزول القرآن هدى للناس . . . وهذا يعني أن من يكون على غير الإسلام ، فهو يتخبط في الجهالة المظلم لونها ، القاتم جوهرها حيث لا جوهر لها !!!
ولكن عندما يؤمن برسالة الإسلام يخرج فوراً . . . من ظلمات الجهالة ، وأرض التيه إلى أنوار الهداية ، ورحابة العلم والمعرفة ، ومن هنا كانت رسالة الإسلام رسالة حق ورسالة خير ، فيها يكون المؤمن للمؤمن ـ بنسب العقيدة ـ قوة وثباتاً وأخوة ولقاءً وداً وتراحماً . . . وفي مقابل هذا المعنى الأخير

- دقق النظر ـ أخي الصائم ـ واعكس منظورك الإسلامي حول هذا العالم الذي يموج بالتناقضات والتباينات العجيبة !! ستدرك أن الإنسان أصبح بالنسبة إلى أخيه الإنسان مجرد **وسيلة إيضاح** يعبث بها أعداء الإنسانية . . . وترى من خلالها المصالح المتبادلة ، والتبادلات النفعية فلا جوهر ولا معنى . . . بل خواء يعم النفوس . . . ومن هنا كانت لزومية وضرورة أن نتكلم اليوم . . . كلام الغيورين عن دستورنا الذي لا دستور بعده أبداً مهما وضع الوضاعون ، وخط الرسامون في هذه الحياة اللاهية العابثة . . .

- أخي الصائم . . . القرآن الكريم كما كان هدى للناس كافة . . . لكل من يؤمن به وبرسالته الإنسانية في الأرض . . . فهو للمتقين هدى ، وهو كذلك نور وحياة وتزكية وإصلاح ، فيقول الله تعالى في سورة البقرة الآية ٢ :

الهدىٰ ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . . . ﴾

ويقول تعالى في سورة المائدة الآية ١٥ و ١٦ :

النور :﴿ . . . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾

● قرأت لك ـ يا أخي الكريم ـ تفسيراً واضحاً كاشفاً صريحاً يؤكد لنا أن هذا القرآن الكريم « نور » وهو نور حقاً ويقيناً فجاء في تفسير المنار :
(« إن الله عز وجل ذكر للنور ثلاث فوائد » :

« **الأول** » : أنه يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، أي أن من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالإيمان بهذا النور يهديه الطريق التي يسلم بها في الدنيا والآخرة من كل ما يرديه ويشقيه ، فيقوم في الدنيا بحقوق الله تعالى وحقوق نفسه الروحية والجسدية ، وحقوق الناس ، فيكون متمتعاً بالطيبات ، مجتنباً للخبائث ، تقياً مخلصاً صالحاً مصلحاً ، ويكون في الآخرة سعيداً منعماً جامعاً بين النعيم الحسي الجسدي والنعيم الروحي العقلي . . .

« **الثانية** » : الإخراج من الظلمات . . . ظلمات الجهل والوثنية إلى نور التوحيد الخالص ، حيث يصبح الإنسان حراً كريماً بين الخلق ، عبداً خاضعاً بين يدي الخالق وحده .

« **الثالثة** » : . . . الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهو الطريق الموصل إلى المقصد والغاية من الدين في أقرب وقت لأنه طريق لا عوج فيه ، ولا انحراف فيبطىء سالكه أو يضل في سيره . . .
. . . وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن الكريم على الوجه الصحيح الذي أنزله الله تعالى . . . لأجله بأن تكون **عقائده وآدابه وأحكامه** مؤثرة في تزكية النفس ، وإصلاح القلوب ، وإحسان الأعمال ، وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة بحسب سنن الله في خلق الإنسان) بتصرف من تفسير المنار

لمحمد رشيد رضا . . .

ويقول تعالى في سورة الأنعام الآية ١٥٥ :

البركة :﴿ . . . وهذا كتاب أنـزلناه مبـارك ، فاتبعـوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾

● . . . وهذه دعوة ـ يا أخي ـ إلى اتباع القرآن والأمر بتدبره ، والعمل به والدعوة إليه ، ووصفه **بالبركة** لمن اتبعه ، وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين . . .

وقال تعالى في سورة الأنفال الآية ٢٤ :

البقاء والحياة :﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم . . . ﴾

ويقول تعالى في سورة البقرة الآية ١٥١ :

التزكية :﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم . . . ﴾

● يا أخي في الله . . . ليس قصدي من هذا الحديث معك أن أستأنف مكرراً معاداً ، ولا أن أذكر لك تفسيراً لهذه الآية أو تلك ، ولا أن أسرد عليك ما هو معروف ومألوف لديك ، ولكن قصدي أن أوضح لنفسي ـ قبلك ـ عظمة القرآن حيث تستغرقني عظمته ، وتوجيه القرآن حيث يشملني توجيهه ويشملك . . . فقد نظرت للقرآن الكريم وقت أن كان ينزل ، ونظرت إليه بعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وترك الأمانة الغالية الشريفة في أعناق رجال يومنا هذا . . . هذه النظرات أو هذه الخواطر ، أو قل هذه الاستغراقات أخذتني معها رجفة قوية وأنا أتأمل صلة القرآن الكريم بالحياة للأمة الإسلامية في الحقبة التاريخية الطويلة التي بدأت من ظهور الإسلام . . . حتى عصرنا المتهالك !! فساعدني الله تعالى أن أبحث طويلاً . . . طويلاً في تاريخ هذا الدين ـ وليس هذا مجال السرد لك الآن ـ ووجدت أن القرآن كان **قوة عاملة في بناء عقيدة**

المسلمين وأخلاقهم وتوجيه سلوكهم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين وصدر دولة بني أمية . . . حيث كان المسلمون آنذاك يرجعون في معرفة العقيدة والشريعة إلى المصدرين الأساسيين « الكتاب والسنة » . . . ولما تكوَّن علم الفقه وعلم الكلام ، ولما اتجه المتخصصون من المسلمين إلى استنباط الأحكام الشرعية والعقائد الدينية ، ونسقت هذه الأحكام والعقائد . . . وبظهور علم الكلام وعلم الفقه تغير الحال . . . فبدلاً من أن يتجه الناس في معرفة الدين إلى الكتاب والسنة كما كان آباؤ هم يتجهون وينهجون ويسلكون ، أخذوا يرجعون في معرفة الأحكام إلى الفقه ، ومعرفة العقائد إلى علم الكلام .

● والمهم ـ يا أخي ـ في هذا الأمر هو اختلاف الوضع بالنسبة إلى الدستور . . . إلى القرآن الكريم . . . فعندما كان المسلمون متجهين إليه وكان عاملهم الأكبر في تربيتهم . . . كان عزهم وكان مجدهم الذي ملأ أسماع الدنيا . . . ثم أصبح الفقه وعلم الكلام يأخذان الناس إلى ما قلنا !!! ومع ذلك . . . هل فارق الناس التطلع إلى فهم القرآن ، وإدراك معانيه . . . أقول لك ـ يا أخي ـ لا لم يفارقهم التطلع إلى فهم القرآن . . . ولكن لمجرد الفهم لا للعمل والتوجيه كما كان آباؤ هم . . . والدليل على ذلك اللغة العربية . . . لغة القرآن الكريم . . .

كانت قد دبَّ إليها دبيب الضعف ، فبات الناس يحسون بصعوبة فهم النصوص العربية الفصيحة بشكل عام . . . والقرآن الكريم بشكل خاص ! ومن هنا جاءت الحاجة إلى التفسير . . . لكي يتمكن الناس من فهم القرآن والوقوف على أسراره ومعانيه . . .

● . . . ودليلنا المعاش اليوم ـ يا أخي ـ مجسد تجسيداً تاماً واضحاً . . . فكلنا نحتاج إلى تفسير وتفسيرين وثلاثة وأربعة . . . ومنذ عملت بإدارة إحياء التراث الإسلامي « كباحث إعلامي إسلامي » لم يكلمني أحد من

الأصدقاء والمعارف سواء الموجود منهم داخل الدوحة أو خارجها . . . في شأن من شؤون الكتب والمراجع الإسلامية إلا وأراه أو أراهم يُلِحّون في طلب التفسير . . . أي تفسير ، ولعل هذه الخاطرة أيضاً من الأسباب التي دفعتني إلى البحث طويلاً ـ كما قلت ـ في هذا الموضوع الذي نحن بصدده . . . اليوم .

● ولا أنسى ـ يا أخي ـ أن أقول لك ماينبغي أن تعرفه وتكون منه على بينة منه :

فإن المفسرين قد تصوروا مهمتهم في التفسير ـ في البداية ـ مجرد نص يراد شرحه وإيضاح معانيه ، فشرحوا غامضه وحرروا معانيه ، وأشاروا إلى ما يتضمنه من مبادىء وأصول ـ جزاهم الله خيراً ـ ثم جاء وقت عاش فيه أصحابه في دائرة تخصصاتهم . . . فأوغل فريق في دراسة البلاغة ، وتوسع آخرون في دراسة النحو والصرف واللغة . . . والتخصص لا شك أنه يصبغ صاحبه بصبغته الخاصة تنعكس على كل وجهات نظره رغم إرادته !!

فاتجه كثير من هؤلاء اللغويين إلى تفسير القرآن . . . فيا ترى ماذا كانت النتيجة ؟؟ الحقيقة أن هذه الخاطرة السريعة لا تسمح أن أسرد كل شيء أولاً ثم لكيلا يستغرقنا الحديث حول هذه النقطة بالذات . . . وننسى عنوان موضوعنا الرئيس . . . ولكن المهم الذي أردت أن أقوله لك يا أخي . . .

إن القرآن قد تنقلت به الحال فمن كتاب لتربية المسلمين وتعليمهم الدين والشريعة إلى نص لمجرد الفهم . . . إلى ميدان فسيح لتطبيق علوم اللغة على اختلاف أنواعها . . . وبهذا تم عزل القرآن كعامل فعّال لتربية المسلمين ، وتكوين عقيدتهم وأخلاقهم وشريعتهم وتوجيه سلوكهم . . . وهذا هو ما نعاني منه اليوم ـ دون مكابرة أو جدال ـ

● . . . اليوم نرى ونسمع ونعايش . . . الكثيرين من علماء المسلمين

الغيورين المخلصين يطالبون بالرجوع إلى القرآن الكريم كمصدر للتشريع . . . ولم يسكتوا أو يكفوا حتى هذا الوقت من المناداة المستمرة الدؤوب بأن :

١ ـ الكتاب والسنة لا ثالث لهما . . . كمنهجٍ للحياة . . .

٢ ـ الكتاب والسنة . . . عليهما تقوم نهضة الأمة الإسلامية . . .

٣ ـ الكتاب والسنة . . . يشملان كل ما تحتاجه هذه الأمة من أمن وقوة وسيادة وسعادة . . .

٤ ـ الكتاب والسنة . . . إذا انحرفنا عنهما . . . أصابنا الضياع ، وحطمنا الشقاء . . . وأذلنا الأعداء . . .

● . . . ما يزال بعض المسلمين . . . المخلصين يوضحون الطريق . . . ويرسمون ـ بإخلاصهم ـ التصورات المخلصة . . . لهذا الدين . . . والدليل على ذلك . . . محاولات علماء المسلمين اليوم في إعطاء العقيدة والشريعة صورتها النقية ، فقد أحسوا أن حياتهم لا غنى لها عن القرآن الكريم في بناء صرح الإسلام من جديد . . . هذا القرآن الذي تهش إليه النفوس ، وترتاح إليه العقول ، . . . وسيكون هو الغالب بإذنه تعالى في معركة من أشرس المعارك . . . التي ما تزال بين ظهرانينا . . . معركة بين ثقافة إسلامية . . . ومدنية غربية . . . ومن أجل ذلك استيقظ المفسرون الأوفياء لتشمل تفسيراتهم الإسلام الشامل من عقائد وشرائع ونظم سياسية ، واقتصادية وأخلاق وعبادات ومعاملات وأحكام . . . الخ وأمامهم غاية واحدة هي سحق كل ما تجمع حول الدين خلال عصور مضت ، وتنقية العقيدة من شوائب الزيغ والضلال . . . وهذا ما نعرفه اليوم « بالصحوة الإسلامية » وإلى يوم غدٍ يا أخي نكمل معك الحديث حول هذا الموضوع إن شاء الله .

اليوم الخامس عشر
١٥ رمضـــان

القرآن الكريم
قوة عاملة في بناء عقائد المسلمين
وهو الدستور الشامل الجامع ؟

● « أخي الصائم ـ حقيقة جوهرية ومهمة جداً ينبغي أن نعرفها ونحن نستكمل معك حديث أمس حول القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . . وهي أن الإسلام يختلف في طبيعته ومداه عن كثير من الأديان السابقة فهو . . . **لا يقتصر على العبادات والإلهيات على أساس أن الدين لا يعني أكثر من الإيمان والعبادة كما يفعل كثير من الديانات التي تغفل حياة الإنسانية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فلا تعرض لها ، ولا توجهها ، ولا تشرع لها . . . كأنها أمور عادية غير هامة !!! . . .**

ولكن الإسلام يشمل بعنايته حياة الإنسان في المجتمع :

ـ حياته داخل الأسرة

ـ حياته داخل الدولة

ـ حياته في المجال السياسي

ـ حياته في المجال الاقتصادي . . .

. . . ويشرع لكل ذلك الشرائع الضرورية لتوجيهه إلى غايته الطبيعية التي تكفل السعادة الإنسانية في هذه الحياة . . .

● فإذا آمنا ـ بأن القرآن الكريم هو القوة الفعّالة . . . والقوة العاملة والقوة الأساسية . . . التي اعتمدت عليها رسالة الإسلام . . . فإن إيماننا أيضاً مطمئن بأن القرآن الكريم يتضمن النظم السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية فضلاً عن احتوائه أيضاً على العقائد والعبادات . . .

وهذه ـ يا أخي ـ أول حلقة تربط بين كتاب الله الكريم . . . وحياتنا نحن المسلمين في مجتمع مسلم . . .

● إذاً فالقرآن الكريم يتناول الحياة الإنسانية من جميع جوانبها . . . فهو يتناول ناحية الاعتقادات التي يحبها المسلمون ، كما يعرض للنظم التي يعيش عليها المسلمون ، ومن هنا كان **دستوراً جامعاً شاملاً لكل جوانب الحياة الإنسانية** . . . ولا أعرف حتى الآن لماذا يحول البعض من المسلمين ـ للأسف ـ دون تطبيق شرع الله الواضح جلياً في القرآن الكريم ؟ !! ولماذا يجابهون أو يحاربون من ينادي بتطبيق الشريعة وسحبها على كل مناحي الحياة ؟ !!

● . . . كنت قد حاورت فضيلة الشيخ / صلاح أبو إسماعيل المفكر الإسلامي الشجاع الذي نادى بكلمة الحق ولم يخش في الله لومة لائم . . . حاورته في بعض القضايا الإسلامية الهامة الملحة . . . وكان ذلك خلال شهر ديسمبر سنة ١٩٨٤م وأجابني على سؤال وجهته إليه كان نصه :

« . . . **ألستم معنا في أن الدعوة الإسلامية اليوم في حاجة إلى تجميع الجهد والطاقات لكي لا يتبدد الحماس دون نتيجة شأن كل عمل عشوائي مرتجل لا يرتكز على خطة ، ولا يلتزم بأسلوب ، وما هو في رأيكم المنهج السليم الذي ترون من أجل مسيرة الدعوة واضحة كاشفة دون تستر والتواء ؟؟** »

فأجابني الشيخ صلاح أبو إسماعيل بالآتي :

« . . . بلى أنا معكم . . . والدعوة إلى الله تبارك وتعالى شرف رفيع ،

حسبي أن أذكر قول ربي ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ . . . إن التخطيط للدعوة أمر واجب وفي رأيي أن هذا التخطيط يشمل دوائر ثلاث :

الدائرة الأولى : « تكمن في نفس الداعية . . . لأنني كداعية أريد أن أكون صادقاً فيما أدعو الناس إليه وما أريد أن أخالفهم إلى ما أنهاهم عنه حين أدعو إلى الله ، لا بد أن أعمل صالحاً ، ولا بد أن أعتز بانتمائي إلى الإسلام والمسلمين ، ولا بد من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن . . . »

الدائرة الثانية والثالثة : « . . . في مجال الدعوة أستطيع أن أجد الدائرتين الثانية والثالثة ، فهناك دائرة عالمية ، وهناك دائرة بيئية ، فالدائرة العالمية تشمل ما في مجتمعاتنا من **قيادات يسارية ويمينية ، ورأسمالية وشيوعية ، اجتماعية ، سياسية ، ديمقراطية ، ديكتاتورية** . . .

. . . كل هذه . . . تيارات في العالم الذي نعيش فيه ، ولا بد أن نطل على ما عند الآخرين من خلال بياناتهم وكتاباتهم وتآليفهم وما يعرضونه على الناس ، لا بد أن نقرأ وأن نستوعب ، وأن نرفض بعد الاستيعاب . لا أن نرفض دون دراسة حتى يقوم رفضنا على أسس منطقية . . . **نستطيع أن نتعلم من القرآن الكريم** أنه عرض شبهات فرعون ، وأورد الحوار الذي جرى بين موسى عليه السلام وفرعون اللعين ، ولم ير الإسلام بأساً في أن يورد ما عند الآخرين . . . **وأما في دائرة الدعوة البيئية** فإن كل بيئة لها . . . قضاياها ، وما يصلح لهذه البيئة قد لا يصلح لغيرها . . .

● . . . ثم يستطرد الشيخ صلاح أبو إسماعيل قائلاً :

. . . أطمئنك إلى أن الله عز وجل حفظ القرآن بلا قيد ولا شرط ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ . . . وأعتقد أنه مهما كان الانحراف منتشراً

فإن القرآن موجود وإن الإسلام موجود . . . وما دام المصلحون موجودين فإنني لا أعرف معنى لليأس ، ولا أعرف معنى للقنوط ، بل إنني أقول : إن شبابنا بخير ، قد لا تتصور أن شباب الأمة الإسلامية اليوم يقودون رجالها ، أنا أُشهد الله على ما أقول ولست في حل من التفاصيل . . .

. . . في المغرب العربي دون ذكر اسم البلد . . . كان الشباب المسلم يتسللون إلى حجرتي تحت جنح الظلام في منتصف الليل يريدون أن يستفسروا وأن يستمعوا ، ولما كنت أراجعهم في المواعيد التي يفاجئونني فيها . . . كانوا يقولون . . . « لو علمت دولتنا أننا نخطو خطوة واحدة إلى أحد أعضاء المؤتمر لقطعوا رقابنا » . . . فهم يأتون عبر المخاطر ، وهذه سمة الحق . . . إن من عرف الحق جعل روحه فداءه ، . . . لعلك تابعت معي بشغف كبير « حكم » . . . محكمة قضية تنظيم الجهاد . . .

. . . وكيف أنها حكمت ببراءة مائة وتسعين متهماً . . . ما استطاعت أية قوة أن تهز شعرة في قلوب الشباب لأنهم عرفوا الحق ، ومن عرف الحق عز عليه أن يراه مهضوماً . . .

. . . اطمئن . . . لا أنسى أبداً يوم شم النسيم في إبريل سنة ١٩٨١م . . . دعاني الشباب بالإسكندرية . . . اختاروا هذا اليوم بالذات . . . « ليصوموه » . . . ليعصمهم الصيام من عربدة الشواطىء في هذا اليوم . . . واتفقوا على أن يقام لقاء إسلامي كبير في رمل الإسكندرية في ميدان القائد إبراهيم . . . وتجمع الشباب . . . لم يستوعبهم المسجد !! فجعلنا منصة اللقاء علىٰ سُلَّم المسجد ، والميدان فيه أكثر من مائة ألف شاب . . . افترشوا الرمال ، وكنا نتحدث إليهم . . . وأذكر أنني قلت لهم هذه الليلة : « . . . من أين أتيتم يا شباب . . . إن برامج الإذاعة والتليفزيون لا تفرز هذا التجمع ، وإن مناهج التربية والتعليم لا تنتج مثل هذه الثمرة !! وإن موقف الدولة من التيار الإسلامي ليس من شأنه أن يسمح بما أنتم عليه ،

وإن أبوّة الآباء ، وأمومة . . . الأمهات تفيض إشفاقاً عليكم خشية أن تؤخذوا بتدينكم !! فمن أين أتيتم !! ؟؟

لا أجد لكم منبعاً إلا قول الله تعالى :

﴿ فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبُّونَهُ أذلةٍ على المؤمنين ، أعزةٍ على الكافرين يُجاهدون في سبيـل اللهِ ولا يخافـون لومَـةَ لآئِمٍ ﴾ . . . (المائدة : ٥٤) .

. . . اطمئن . . . فإن النبي ﷺ يقول :

(لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمرالله)

وما أروع الشاعر عندما قال :

« إن الذي خلق الحقيقة علقماً

لم يخل من أهل الحقيقة جيلا

● . . . هكذا ـ أخي الكريم ـ سقت لك الذي سبق لأثبت لك أن هناك رجالاً من المخلصين . . . ينادون بالقرآن ، منهجاً وأسلوباً ، وإذا كانت الأمة الإسلامية اليوم قد وصلت إلى هذه الدرجة التي نعيشها اليوم بعيدة عن القرآن . . . مسلكاً وأسلوباً ومنهجاً ـ إلا من رحم ربك ـ فهذا لا يعني ضياع القرآن من الحياة . . . وستبقى لهذه المعجزة قيمتها ما بقي العقل أغلى شيء في الحياة . . .

● . . . انتفاعنا بالقرآن ـ يا أخي ـ ينطلق من نقطة أولى . . . هو انتفاع المجتمع به ـ فالمجتمع الإنساني متعدد الجوانب : جانب العقيدة ، وناحية الأخلاق ، ودائرة . . . النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصاديـة . . . والمجتمع ـ بالطبع ـ تتوالى عليه ظـروف وأحوال ، وتمـر به أطـوار وأطوار . . . قد تكون بعض هذه الأطوار فاسدة . . . وهنا يأتي القرآن

فيصلح ما قد فسد ، ويصبح هدف المجتمع المسلم واضحاً جلياً وهو : الانتقال من طور الضلال أو مسحة الفساد إلىٰ دور يكون فيه الحق عقيدته ، والخير شريعته ونظامه . . .

هذا يوضح لنا ويؤكد أن الغاية هي المجتمع . . . وتأتي النصوص كقوة فعّالة لتحقق للمجتمع الحق والخير . . .

● وأمامي يا أخي بعض الآيات الكريمة . . . وددت أن تسمعها معي . . . ثم نقرأ معاً . . . ما جاء في تفسيرها :

يقول تعالى في سورة البقرة الآية ٢٤٢ :

﴿ كذلك يُبَيِّن الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ . . .

ويقول تعالى في سورة البقرة الآية ١٧١ :

﴿ ومَثَلُ الذين كَفَرُوا كَمَثَل الذي يَنْعِقُ بما لا يَسْمَعُ إلا دُعاءً ونداءً ، صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُم لا يَعقلون ﴾

● . . . جاء في تفسير المنار للشيخ العلامة رشيد رضا . . . :

« . . . المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فمن ربي على التسليم بغير عقل ، والعمل ولو صالحاً بغير فقه . . . فهو غير مؤمن ، لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه أن يرتقي عقله ونفسه بالعلم والعرفان فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله ، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل في اعتقاده » . . .

● أما الآية الأولى (٢٤٢) من سورة البقرة التي ذكرناها سالفاً فقد جاء في تفسير « صفوة التفاسير » للشيخ / محمد علي الصابوني :

« . . يبين الله سبحانه لكم آياته الدالة على أحكامه الشرعية لتعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها »

● وهكذا يتضح لنا ـ يا أخي ـ أن العقل في الإسلام هو أحد مصادر العلم والمعرفة ، وهذا الإمام محمد عبده يقول في « رسالة التوحيد » :

« . . . فالإسلام في هذه الدعوة . . . والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري ، فلا يدهشك بخارق عادة ، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية »

● . . . من ذلك ـ يا أخي ـ نستطيع أن نؤكد على أن القرآن الكريم عندما جاء ببيان العزة والكرامة التي تحقق المجتمع الصالح ، والفرد الصالح ، وعندما جاء موجهاً للحياة . . . لم يعتمد على الخوارق والمعجزات لإثبات صحة العقيدة التي من خلالها وبها تكون حياتنا نحن المسلمين ، وبدونها فلا حياة لنا أبداً . . . بل اعتمد على العقل والفكر الإنساني . . .

● أذكر وأنا أدرس « الفلسفة الإسلامية » بآداب القاهرة . . . كان مقرراً علينا كتاب « **مناهج الأدلة في عقائد الملة** » لابن رشد . . . تعرضت وبعض الإخوة الزملاء آنذاك إلى حوار فلسفي إسلامي حول موضوع المذهب العقلي الميتافيزيقي منه والرياضي والصوري . . . وغلب على حديثنا أو على حوارنا الفكر الإسلامي . . . حيث ركزنا الكلام على « **علم الكلام** » فطفنا بقضية تجديد ابن رشد لعلم الكلام . . . وبالطبع ـ يا أخي الصائم ـ لا أستطيع أن أسرد لك كل ما قيل ولكن الذي يهمك في هذا الموضوع هو . . . كيف نستنهض العقل البشري ليواجه الحياة ، ويحقق كرامة الحياة منطلقاً من القرآن الكريم الذي يخاطبه كإنسان عاقل في المقام الأول :

● . . . استطاع ابن رشد في الكتاب الذي ذكرته لك ـ يا أخي ـ « **مناهج الأدلة في عقائد الملة** » . . . استطاع أن يبين بوضوح وتفصيل كاملين أن القرآن

اعتمد على التدليل العقلي في إثبات العقائد الدينية ، فقد استخلص من الآيات القرآنية المتعددة ما تنطوي عليه من أدلة على وجود الله ، وعلى البعث ، وغيره من العقائد الإسلامية الأساسية ، ووازن بينها وبين غيرها من الأدلة . . . وانتهى إلى أن أدلة القرآن هي الأدلة العقلية الفطرية ، التي تسير على هداها الفطرة الإنسانية السليمة ، فجاء كتابه هذا البيان الشافي الوافي الذي لا يدع شكاً في صحة ما قرره الأستاذ الإمام محمد عبده . . . من أن الإسلام اعتمد على العقل والفطرة في تقرير العقائد الدينية الكبرى ، وأنه بذلك قد فارق الديانات الأخرى التي تركت « العقل » والنظر وجنحت نحو المعجزات والخوارق تعتمد عليها وتستعين بها في إثبات عقائدها وتقرير مبادئها لظروف خاصة بها . . . المهم أن الإمام محمد عبده وابن رشد أثبتا أن الإسلام لم يعتمد في دعوته السامية على المعجزات والخوارق ، بل اعتمد على العقل ، ودعا إلى النظر والتفكير في معالم الكون وظواهر الطبيعة . . .

- . . . وعلاوة على ما قيل فإن الإسلام إذا كان قد دعا إلى احترام العقل . . . فإن العقل وحده لا يستقل بالوصول إلى ما فيه سعادة الأمم بدون مرشد إلهي . . . « كما جاء في رسالة التوحيد »
- وقبل أن أنهي معك الحديث ـ يا أخي الفاضل ـ حول هذا الموضوع الهام . . . أقرر أنه من الجحود بمكان . . . أن أنهيه دون أن أذكر شيئاً مما قاله الإمام / محمد أبو زهرة في كتابه العظيم « **المعجزة الكبرى** » :

(. . . **إنه** ـ أي القرآن الكريم ـ **العصمة من الزيغ ، وإنه المرجع المتبع ، وإنه . . . يشتمل على شرائع الإسلام كلها ، وإنه بذلك هو الحكم بين الناس الذي لا يضل حكمه ، وإن من تركه من جبار قصم الله تعالى ظهره ، وإنه لا تتشعب الآراء في حقيقته إذا استقامت الأفهام ، ولم تضل المدارك . . .**

. . . والعلماء يجدون فيه المعين الذي لا ينضب ، وإن كل ما فيه حق ، وإنه مصلحة الدنيا والأخرى ، ما من خبر إلا له في القرآن أصل معتمد ، ونص يمكن الحمل عليه ، فما ترك الله الإنسان سدى ، وقد قال تعالى وقوله الحق :

﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾

. . . فيه أعلى الآداب الإنسانية ، وأقوم السلوك الكامل للخلق أجمعين ، وفيه تعليم الإنسان الاتجاه إلى الكون وتعرف ما فيه ، والأخذ بالعلم من قوادمه وخوافيه . . . وفيه الدعوة إلى العلم بكل ضروبه . . . علم الإنسان ، وعلم النفس ، وعلم الكون ، إلى العلم بالنجوم في مسالكها ، والسموات في أفلاكها ، والأرض في طبقاتها ، فيه الدعوة إلى العلم بما لم يعلم . . .

. . . خاطب الله تعالى به أولياءه فعرفوه . . .

. . . وأصحاب العقول المستقيمة فأدركوه . . .

. . . وكان حقاً . . . كما قال تعالى : ﴿ ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً ﴾ (الرعد : ٣١)

. . . ذلك هو كتاب الله تعالى بما حمل من معانٍ وتكليف ، وما كساه الله تعالى به من روعة وتشريف ، وهو كما وصفه الله تعالى بقوله :

﴿ . . . الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ (الزمر : ٢٣) .

- . . . فمتى ـ يا أخي ـ تعتري . . . قلوبنا الخشية ؟؟ ومتى تأخذنا القشعريرة عند تلاوة آيات من هذا القرآن الكريم ؟؟ هيبة وإجلالاً لكلام الله ؟ ومتى تطمئن قلوبنا وتسكن إلى ذكر الله . . .
- ومتى . . . نؤمن بأن كل الدساتير الدنيوية الوضعية لا ترقى إلى آية واحدة

في هذا القرآن الكريم ؟؟

- ومتى . . . نؤمن بأن في تحكيم القرآن . . . والسنة المطهرة معه حياتنا وسعادتنا وعزنا ومنعتنا ؟؟
- ومتى . . . يا أخي . . . نؤمن . . . ويؤمن معنا القائمون على أمورنا . . . أن في الانحراف عن هذاالكتاب الكريم شقاء أمتنا وضياعها ؟؟
- ومتى . . . يا أخي . . . نعمل ونبدأ في طرح فلسفات البشر التي باتت قوانين تحكم وتشرع . . . من دون شرع الله ؟؟ متى نعلم أن في كتابنا الكريم . . . كل ما نحتاجه إلى الأمن والقوة والسيادة ؟؟

لعـل ذلك قـادم إن شاء الله .

اليوم السادس عشر
١٦ رمضـــان

هم يخلطون بين مبادئ الإسلام وأفعال المسلمين

فمتى يزول الشتات يا معشر المسلمين ؟!

● ـ أخي الصائم ـ تتابعت أحداث التاريخ عبر أربعة عشر قرناً . . . على تصديق قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ (البقرة : ٢١٧)

● ولذلك وجب علينا أن نكون دائمًا على حذر ويقظة واضعين أمام أعيننا دائمًا قوله تعالى في سورة النساء الآية ٧١ :

﴿ يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعاً ﴾

● وأعداء الإسلام والمسلمين . . . يتصيدون المسلم . . . أي مسلم بعيد عن الثقافة الإسلامية ، والجميع يعرف عنهم الكثير . . . فهمومنا كثيرة وأوحالنا عديدة !!

● وأعداء الإسلام والمسلمين ـ تحت ضغط الفقر والحرمان ، والفاقة والجوع والجفاف ـ يصدون المسلم عن دين الله . . . في محاولة لإخراج الناس من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر . . . وهم في ذلك يبذلون الأموال الطائلة ،

والأحابيل الشيطانية العجيبة . . . وأفريقيا وبلغاريا وارتيريا والفلبين والهند ليست كلها ببعيدة عنا . . . وانتشار نوادي الروتاري والليونز والانترهويل . . . بشكل كمي مهول ، واقع معاش لا احتمال للمجادلة فيه !!! وظهور الأفلام الخادشة للحياء ، المهلكة للأخلاق ، الهاوية بالمثل إلى الحضيض . . . يعيشها شبابنا في وضح النهار . . وا . . . وا . . . أشياء كثيرة وكثيرة جداً يعمل من أجلها أعداء الإسلام لا مجال لسردها هنا . . . ولا أرى موضوعاً هاماً يمكن أن يكون الأول أو على قائمة الموضوعات التي يجب أن نضع لها حلاً ، أو أن نقف منها موقفاً جاداً يتناسب مع دعوتنا هو :

- **سموم الفرقة بين المسلمين لضرب وحدتهم ، وتفريق جماعتهم ، وتعويق آمالهم . . .**

يجب التصدي لمن ينفثون هذه السموم . .

- **مؤامرات تحاك ليل نهار للنيل من عقيدتنا وشريعتنا وأعراضنا وأموالنا وأنفسنا . .**

يجب التصدي لذلك بحشد طاقاتنا . . لكن كيف يتم الحشد ونحن شتات ؟؟

- . . . هذه أولى النوافذ التي يدخل منها أعداءالإسلام والمسلمين ، هم يعلمون علم اليقين . . لأنهم يرون ما نحن فيه من شتات وتفرق وضياع . . . ولذلك فهم يعيشون أثناء تخطيطهم في حالة من الاطمئنان . . لا يعكرها إلا إحساسهم أن هناك تجمعاً للمسلمين . .

- وكما أن الصهيونية التي تسفك الدماء ، وتزهق الأرواح ، وتخون العهود وتغدر بالمواثيق . . . تتستر بالدين الذي دعا إليه موسى ـ عليه السلام ـ ودينه منهم براء . . . كذلك ـ للأسف ـ بعض المسلمين . . يفعلون ما يفعلون من الخزي والمعرة . . . ويرتكبون ما يرتكبون من الموبقات والجرائم

والدنايا . . . ويقترفون ما يقترفون من الآثام والرزايا . . . يتسترون أيضاً بالدين !!!

● فهم ـ أي أعداء الإسلام ـ يرون أفعال المسلمين هنا وهناك فيخلطون بين الإسلام والمسلمين ، ولا يفرقون بين الإسلام كدين وشريعة ومبادىء ، وبين المتمسلمين الذين هم على الإسلام أشد من أعدائه !!!

وها هو شيخنا الفاضل محمد الغزالي يجسد ذلك المعنى بصراحة كاملة فيقول :

« . . . ولعل أغرب مفارقة في تاريخ الحياة كلها أن يقبل اليهود في موكب تقوده التوراة على حين ينسى العرب قرآنهم ، بل تستعجم لغتهم على أفواههم فما يحسنون النطق بها !!! . . .

. . . وبديهي أن تتلاحق المخازي في شؤون العرب السياسية والاجتماعية ، وألا يبدو لهم نصر في أفق من الآفاق . كيف ؟؟ وقد تيقظت الشهوات ، وصرخت الأثرة ، وشرع العرب المعاصرون يحيون كما كانت عاد وثمود ، يبطشون بطش الجبابرة ، ولا يروى لهم عطش إلى الملذات الحرام . . . إن العرب ـ بعيداً عن الإسلام ـ لن يكونوا إلا حطب جهنم !! ذاك في الدار الآخرة ، أما في هذه الدنيا فإن العرب بعيداً عن الإسلام سيأكل بعضهم بعضاً ، ثم يأكل بقيتهم اليهود والنصارى !!! . .

● ثم يختتم شيخنا الجليل حديثه حول هذه القضية قائلاً وقلبه يئن ويتوجع :

« **إذا كان الدين ضرورة إنسانية لرشد الناس ، وقيامهم بحقوق خالقهم ، فإن الدين للعرب هو** الهواء الذي يبقي حياتهم ، أو الغذاء الذي يمسك كيانهم ، فليروا رأيهم إن شاؤوا الحياة أو شاؤوا الممات !! »

● . . . في لقاء لي مع الأستاذ الدكتور / عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة شرفت بإجراء حوار إذاعي / صحفي مع سعادته . . وكم من القضايا طرحناها ، إلا أن قضية واحدة كانت تشغل فكر

هذا الرجل كما كانت تشغل فكري ولم نزل . . صغتها في سؤال كان نصه :

« . . . قضية تشغل بال المسلمين هذه الأيام ، وهي تلك الفرقة أو ذلك الشتات الذي يعيشه العالم الإسلامي في هذا العصر المليء بالمتناقضات ، كيف السبيل من خلال منطقكم الإسلامي ونظرتكم الإسلامية . . . ومن خلال موقعكم أيضاً الإسلامي كأمين عام لأكبر منظمة إسلامية في العالم . . . كيف السبيل إلى جمع هذا الشتات الغريب ، والذي لا شك أنه يؤثر على شبابنا المسلم المعاصر ؟؟

● فأجاب الدكتور / نصيف قائلاً :

« . . . من الحقائق المعروفة أن المسلمين متفرقون ، صفوفهم متفرقة ، ولديهم مشاكل . . . بوجود زعامات وهمية . . . . . أو زعامات مفروضة عليه تشتتهم وتفرقهم وتجعلهم أحزاباً . . . وهذا الأمر ، ناتج عن أن المجتمع الإسلامي في كثير من بلاد الإسلام ورث مشاكل ومآسي منها : الجهل والتفرق والبعد عن الإيجابية ، وأمراض اجتماعية كثيرة جداً غزت مجتمعنا المسلم بواسطة الغزو الفكري وأشياء أخرى نابعة من أمراض اجتماعية في نفس المجتمع المسلم . . وما إلى ذلك . . . هذا التفرق أدى إلى تشتيت الجهود وضياع الثروات الفكرية ، والقوى البشرية في أشياء ومهارات لا تعود على الإسلام بخير ، ونجد بعض الأمثلة : ففي كثير من المدن والقرى . . نجد المسلمين يتفرقون إلى شيع وأحزاب إما على أساس مذهبي أو على أساس طائفي . . أو أحياناً على لا أساس !!! . . . . . لمجرد هذه المجموعة تدعو إلى فكرة وتلك المجموعة لا تؤيدها . . يحدث الخلاف . . هذا شيء ملموس وواضح ونحتاج إلى جهد كبير لإزالته ، بالطبع لا بد من تثقيف المسلمين وتبصيرهم وإرشادهم وتوضيح أن الدين الإسلامي الذي أتى برسالة واحدة وبمنهج واحد لا يسمح بالتشتت تشتت

الجهود ، وتفريق الصفوف ، وإنما يدعو المسلمين ويأمرهم ويحثهم على الاعتصام بحبل الله والتعاون على الخير والبر والتقوى ، فأنا أعتقد أن إزالة هذه المشاكل تأتي عن طريق التعليم والتربية . .

. . . تربية الأطفال والصبية في المدارس ، وتربية المجتمع بالدعوة الإسلامية الخالصة . . وإرسال الدعاة والمحاضرين والمفكرين وربطهم بالأمة الإسلامية من خلال إعطائهم الشعور بأن أمتهم واحدة ويجب أن تلتقي على هدف واحد . . . وبالطبع فهذه القضية ليست سهلة ، ولكن تحتاج إلى تضافر جهود المسلمين عموماً . . وخاصة المخلصين منهم لتنفيذ ذلك . . . »

● . . . لقد فضلنا الله ـ يا أخي الصائم ـ على كثير من خلقه . . . وليت كل مسلم في الأرض يعرف لماذا هذا التفضيل ؟ . . . البعض ينطلق في مثالياته خيالاً ووهماً . . ويعتقد بأن التفضيل وقع . . لأننا فقط مسلمون . . . وقد تجاهل هؤلاء التطبيق والتبعات . . . اقتناعاً منهم بأن المكتوب في شهادة الميلاد أمام الديانة . . . يثبت الإسلام كدين وحسب . . . لا . . . يا أخي . . المفروض أن يعلموا أن هذا التفضيل يقتضي مزيداً من المسؤولية ، ومزيداً من التبعة ، فقد جعلنا الله مكلفين . . . بأن نعيد إلى الإسلام مجده ودوره في قيادة المجتمع ، فيكون الإسلام هو القائد لفكر أمتنا ، وهو المنظم لواقع حياتنا ، وهو مرشدنا إلى سبيل السلام . . . وهذا ما ينبغي أن يرانا عليه أعداء الإسلام والمسلمين . . . لا أن يروننا وقد تناقضت الأشياء فينا !!!

● . . . القتل والتقتيل وسفك الدماء . . . مستمر . . . وسيف العدو مشرع في وجوهنا ليل نهار . . . في ديار الإسلام . . من أرض الله . . . ولا نعرف أين ذهب العربي المسلم الذي كان يحمل شعاراً يقول :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول !!

● . . . وانقلب الوضع الآن . . . فأين الذي كتب علينا . . . ومن غانيات هذا الزمان ؟؟ !!

● ثم ما هذا الذل والهوان يعيشهما العرب وهم صامتون إلا من لغو الكلام ولغط الجدال . . . وأين نداؤهم الذي كان يترجم عدم قبولهم بأي لون من ألوان الذل :

ولا يقيم على ضيم يـــراد به إلا الأذلان : عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

● ثم كيف يرضى المسلم بالمقام على الذل ، وربه يقول سبحانه :

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾

(المنافقون : ٨)

● . . . هذا ـ يا أخي ـ يوضح أن أعداء الإسلام ـ وقد أعطيناهم أو منحناهم سواء عرفنا أم جهلنا ـ السلاح الذي يحاربوننا به . . . وهم يرون أفعالنا نحن كمسلمين . . . فيأخذونها إلى معامل تحاليلهم الكيدية الماكرة . . . ويخرجون بعد ذلك . . . بفلسفات عرجاء جوفاء . . . . يسقطون عليها واقع الإسلام ملصقين به ذاته . . . هذه السلبيات التي صدرها المسلمون بأفعالهم التي اختلفت وجانبت مبادىء الإسلام . . . وسواء كان المغرضون صادقين مع أنفسهم أثناء خلطهم المبادىء مع الأفعال . . أم كانوا ماكرين خبثاء أرادوا أن يضربوا الإسلام في الصميم . . . فإن ذلك لن يؤثر في دين الله أي تأثير فهو محفوظ بعونه ورعايته . . . ولكن المصيبة على المسلمين أنفسهم الذين لم توافق أقوالهم أفعالهم . . . . . .

● . . . قال لي أحد الأصدقاء ـ المسلمين طبعاً ـ وقد ذهب إلى بلاد الفرنجة : يا أخي الإنسان في أوربا . . . إنسان غريب . . . يختلف اختلافاً جذرياً عن

الإنسان المسلم فينا . . . علمًا بأن العجب ينبغي أن يدخل إلى قلب وعقل الأجنبي من المسلم . . . حيث تعاليم دينه الحنيف . . ولكن للأسف ها أنذا عدت من الغرب متعجباً . . . وأسقط عجبي هذا على واقعنا المر . . . فقلت له : يا صديقي قل لي أمثلة وفصل ما أنت مفصل ؟

فقال :

نظرت إلى الإنسان الغربي هناك . . . وجدته إنساناً مهذباً . . إنساناً كله أخلاق . . إنساناً لا يكذب عليك ، إنساناً لا يخادعك ولا يختلك . . إنساناً إذا حدثك صادقاً لا مبالغة ولا تهويل ولا سفسطة . . إنساناً إذا عاملك . . . عاملك بأمانة عمله ، بإخلاص نادر عجيب . . . .

ـ فقلت لصديقي : بالطبع والإنسان العربي المسلم على عكس ذلك تماماً

فقال :

ـ هذا لا شك فيه . . إلا من رحم الله . . . من عباده المسلمين . .

ثم تحدثت مع هذا الصديق حديثاً طويلاً انتهينا معه إلى القول :

ـ على كل حال يا صديقي . . . الأوربيون لم يتخلقوا بهذه الأخلاق من فراغ . . . فعندما دخل الصليبيون بعض البلاد الإسلامية ومكثوا فيها عمراً من الزمن ، وامتزجوا بهذه الإقامة . . . مع الحياة الإسلامية عن قرب . . . فأفادوا منها الكثير . . . سواء من الناحية الإيجابية للحياة ، أو الناحية التطبيقية في الحياة . .

. . . فكان الصليبيون يرون المسلمين إذا أذّن المؤذن ، وقال : **حي على الصلاة** . . . تركوا محلاتهم وأماكن رزقهم وبيعهم وشرائهم . . بكل ما فيها من بضائع ثمينة غالية . . . تركوها بلا حارس . . . وهرولوا إلى المساجد لا يحرصون على شيء . . إلا اللحاق بصلاة الجماعة . . . وبعد عودتهم . . . يجدون كل حاجياتهم في مكانها . . . لماذا ؟؟ لأن الناس كانوا

أمناء . . . بماذا ؟ بالإسلام . .

● . . . ثم إن الصليبيين كانوا يرون « المسلمين » يداً واحدة لا شتات بينهم . . . ولا تفرق . . . لا أحد يمكر بأحد ، ولا أحد يحاسد أو يباغض أحداً ، ولا أحد يخطط بسفك دم أحد ، ولا أحد مع أحد آخر أو ثالث . . يتآمرون لانتهاك عرض . . أو هتك ستر من أستار المسلمين والمسلمات . . بل رأوهم ـ وقد جمع بينهم شعور الأخوة الواحدة القوية ـ قوة واحدة ، وعقيدة واحدة ، وطريق ومسلك واحد من أجل هدف واحد وهو . . . رضى الله . . . ورضى رسول ﷺ . .

. . . ثم . . . إن الصليبيين يا أخي . . كانوا يرون كل من يعمل من المسلمين . . في غاية من الجد والنشاط والأمانة والإخلاص والاجتهاد وإنكار الذات ، ولذلك كانوا ـ أي المسلمين ـ مثالاً يحتذى . . .

. . . من خلال هذه الرؤية ـ يا أخي ـ التي جمعت عبر التاريخ رصيداً هائلاً تجمع مع حلقات التاريخ ودوائر الأعوام والقرون . . . ميراثاً عظيمًا أخذ منه الصليبيون خاصة في المغرب والأندلس . . . ومن ثم قامت نهضتهم الأوربية الحديثة . . . على أكتاف أخلاق وسجايا المسلمين من أجدادنا وآبائنا . . .

. . . إذاً يا صديقي . . . التطبيق لما نعتقد في وادٍ . . . والعلم بما ينبغي أن يكون في واد ثان . . . ومن ثم هز المسلمون أكتافهم . . ورفعوا شعارات التبرير . . . وما أكثرها . . . »

● **أما عن الشتات** . . . فلقد قرأت لك ـ أخي الصائم ـ كلاماً جيداً قاله الأستاذ

الأديب . . . والسياسي الإسلامي المخلص الذي حمل السلاح في القدس مع جيش الإنقاذ في حرب فلسطين ١٩٤٨ . . والذي يعمل الآن أستاذاً بجامعة القرويين بالمغرب ، وأستاذ الحضارة الإسلامية في كلية الآداب جامعة محمد الخامس . . هناك . . . . وعندما قرأت كتابه « المجتمع الإسلامي والتيارات المعاصرة » أسعدني الحظ أنه كان موجوداً بالدوحة أستاذاً زائراً لجامعة قطر . . . فأسرعت إلى لقائه وأجريت معه حواراً صحفياً طويلاً . . وكان ذلك خلال شهر إبريل سنة ١٩٨٥ م . . . وكانت آراؤه كلها جيدة ، ونظرته واسعة شاملة ، وأمنياته وتطلعاته للمسلمين والإسلام عريضة تستشرف مستقبلاً عزيزاً لهذا الدين العظيم . . . وسأسوق لك ـ أخي الصائم ـ بعضاً من كلامه حول القضية التي نحن بصددها :

. . . لقد تعارفنا أن ندعو مجموعة المسلمين في العالم « بالأمة الإسلامية » غير أن هناك من الباحثين من يتطرف فيرى أن مفهوم الأمة العصري لا ينطبق على جماعات المسلمين الموزعة في أرجاء الأرض ، ومنهم من يعتقد « أن الإسلام المجرد لم يستطع أن يوجد أمة بالمرة ، وما وجدت أمة إسلامية واحدة منذ الفجر الإسلامي حتى أيامنا هذه ـ كما يقرر بشير رفعت ـ في كتابه « مأساة العربي المسلم » !!! والواقع أننا . . أننا لا نقبل حكم مثل هؤلاء الباحثين ، فقد استطاع الإسلام في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده أن يبسط حكمه على المسلمين كافة ، ويقيم بينهم رابطة اجتماعية لأمة واحدة بكل معنى الكلمة . . .

متى بدأ التشتت ؟؟ يقول الأستاذ / عمر بهاء الدين الأميري :

. . . مما لا شك فيه أن التماسك . . . أقصدتماسك الأمر لم يدم طويلاً على ما كان في عهد الإسلام الأول ، ولكن تحديد النقطة التي بدأ منها تفكك الرابطة الإسلامية مختلف فيه :

. . فبعض الباحثين يحدد موقعة صفين ويعلن أن العالم الإسلامي لم يعش بعد

ذلك إلا بفضل ما بقي من الدفعة الحيّة القرآنية ، فقام على رعايته رجال من أمثال : عقبة بن نافع ، وعمر بن عبد العزيز ، والإمام مالك . . . ممن تجسدت فيهم فضائل الإسلام الكبرى . . . وباحثون آخرون كسيد قطب ـ رحمه الله ـ يحددون بيعة يزيد وانقلاب الخلافة إلى ملك عضوض ، وآخرون يحددون ذلك بنجاح العناصر غير العربية والحديثة العهد بالإسلام في تحقيق الانقلاب العباسي على الأمويين . . . ومهما تكن آراء الباحثين . . فإن الخلافة الإسلامية كانت مع الزمن تبتعد عن روح الإسلام الأول ، بصفائه ووضوحه وبساطته وتلاقيه مع الفطرة الإنسانية ، لتغرق شيئاً فشيئاً في الترف والترهل ، والمسؤولية في كل ذلك موزعة ـ كما يقول الشهيد عبد القادر عودة ـ بين الجماهير والحكومات ورؤساء الدول وعلماء الإسلام ، حتى ضاعت الخلافة في ظلام عصور الانحطاط .

● . . . هذه ـ أخي ـ ملامح الشتات الذي تعيشه دار الإسلام اليوم . . إن كانت للإسلام دار !! أنا بصفة شخصية ـ يا أخي ـ لا أعتبر الشتات إلا في معانيه وماهيته . . . وعندما نقضي على ملامحه أو وجود بذوره . . نكون قد خطونا أولى الخطوات إلى رد شاردنا ، وإلى حماس جامدنا . . . ألست معي ـ أخي الصائم ـ أن هذا العصر فيه العجائب . . . ألا ترى من زعيم القوم هنا أو هناك . . أليس أرذلهم(وذلك في بعض الديار لا يخضع للتعميم) ألا يوجد بين المسلمين اليوم . . . مجهولون ولكنهم يتصدرون المواقع ؟؟ . . . ألا يوجد بين المسلمين اليوم . . من يكرم مخافة شره وجبروته ؟ ألا يوجد بين المسلمين اليوم من يشرب الخمر ـ عافانا الله ـ فخوراً معتزاً بكأسه يباهي بأنه متحضر ؟؟ ألا تعرف يا أخي أن قيمة الراقصة اليوم أغلى من قيمة العالم المفكر « مادياً » ؟؟ . ألا تعرف أن الذي يصفق للراقصة مجرد تصفيق ينال أكثر مما يناله مقرىء القرآن ؟؟ ألا تعرف أن هناك أفكاراً معلبة مستوردة تحتضنها بعض الجامعات . . التي من المفروض أنها

إسلامية ؟؟ . . . ألا تعرف ـ يا أخي ـ أن هناك ملايين من الدولارات تصرف على مسلسلات تليفزيونية وأفلام سينمائية وسباعيات إذاعية ، وقصص صحفية ، وخلاعات مجلية . . . وروتاريات نوادية . . . وجمعيات نسائية . . . إلخ . .

لا يكون الهدف ـ بالطبع ـ منها جميعاً لم شمل المسلمين ، أو جمع شعثهم . . أو تجميع كلمتهم . . أو توحيد صفوفهم . . من أجل . . إزالة شتاتهم . . . أبداً . . . إنما الهدف واضح لا يحتاج إلى دليل أو إلى حديث !!!

ـ فيا أخي الصائم . .

ادع معي الله وقل :

ربِّ . . إن الشر قد زاد ، والبلاء قد عم . . . والأشرار يعبثون . . . والأخيار تائهون . . والئام يخططون . .

فحقق وعدك يارب . . . واقض على الأشرار العابثين ، وانصر الأخيار التائهين . . . واقصم ظهر الئام الماكرين . . . إنك لا تخلف الميعاد . . . »

اليوم السابع عشر
١٧ رمضـــان

معركة بدر
كانت إعلاءً لكلمة الله وإعـزازًا لدينـه

● ـ أخي الصائم ـ ونحن نعيش هذا اليوم السابع عشر من هذا الشهر الكريم ، ينبغي علينا أن نتذكر ذلك الحدث الهائل الذي كان منعطفاً رهيباً ، وعلامة مميزة ، وركيزة قوية ، وبرهاناً أكيداً ، ودليلاً مادياً واضحاً على **غلبة الحق على الباطل ، ونصرة الخير على الشر في كل زمان ومكان ، وحيثما توجد حياة فلا بد من مواجهة الإنسان لمعركتي . . . الخير والشر . . وحتى تقوم الساعة . . . .**

● ولكن بمقدار ما تقدمه ـ يا أخي المسلم ـ لطريق الحق من إيمان راسخ ، وعقيدة سليمة ، وقلب خاشع ، ووجدان طاهر ، وعقل راجح . . . بقدر ما تكون حياتك مليئة بالانتصارات . . . وليس الانتصار في الحرب فقط ، كما أنه ليست الحرب بالسيف وبالمدفع أو بالصاروخ فقط . . . بل الانتصارات تكون أيضاً في ميدان الحياة ومواجهة أحوال الحياة بخيرها وشرها ، والفائز المنتصر فيها من يستطيع أن يقهر الشيطان في نفسه وفي مجتمعه وفيمن حوله . . . والحرب على الشر تكون بإعزازك ـ أخي في الله ـ للخير في ذاته ، وحبك لمجتمعك المسلم ، وحنينك الدائم المستمر لصلتك بالله تعالى . . . ومثابرتك واستمراريتك للأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر . . . وكل ذلك ممكن . . . فقط ابدأ بنفسك عن طريق الفرائض التي فرضها سبحانه عليك . . . فمنها ستنبثق ينابيع الإيمان ، ومنها ستنطلق خطوات الخير لك ولإخوانك ولمجتمعك ولأمتك . . .

● ونحن إذا كنا نعيش اليوم . . . في جوانب ذكريات **معركة بدر** الفاصلة . . لا نريد أن نذكر تاريخاً فحسب ، لأني لا أشك أبداً أن أحداً من المسلمين . . - حتى اليوم - لا يعرف جزئيات معينة إن لم تكن تفاصيل معركة بدر . . . فلو قرأ كتاب الله لوجدها ، ولو رجع إلى أي كتاب إسلامي لأدرك تفصيلاتها . . . وكم من أحاديث حولها تناولها الخطباء والوعاظ والمصلحون على مدى قرون عديدة !! طويلة !! . . . وإنما نريد أن ندرك **المعنى الشامل** ، والفلسفة العملية التي تكمن وراءها . . . ولا بأس أيضاً أن نعيد عليك - أخي الصائم - جوانب باختصار شديد لهذه المعركة الفاصلة ، مؤكداً لك بادىء ذي بدء أننا في حاجة ماسة قادة وشعوباً . . . حكاماً ومحكومين إلى التعرف على أمجاد السابقين . . . لكي نعرف كيف يمكن الانتصار على شراذم الشر من الصهاينة الذين اغتصبوا . . . الديار ، وهاجموا الذمار . . . ولكن هذا التعرف لا يجب أن يقعدنا عن الأخذ بأسباب النصر . . . نتعرف على جوانب مفرحة من أمجاد آبائنا . . . لمحاكاتهم عملياً . . . أما السرد التاريخي لا نريده للتسلية والتسرية فحسب . . فالتاريخ في حقيقته ومعناه . . . **أن أعرف ثم أعتبر . . . ثم أعيش موقفاً . . ثم أقدم على تنفيذ الموقف** . . . هذا مع علمنا أن شهر رمضان بالذات - كما ميزه الله بنزول القرآن الكريم ، فأصبح بنزوله شهر القرآن ، وموسم التقرب إلى الله بالطاعات ، والمصابرة ومجاهدة النفس والبدن - فقد ميزه الله أيضاً ، وقدر له سبحانه أن يكون شهر النصر على الشرك والكفر ، وأيضاً على الحاقدين الكارهين للإسلام والمسلمين . . . .

● أخي الصائم . . . في عام ١٩٧٧ م قدر لي أن أزور مواقع هذه الغزوة التي

نحن بصدد الحديث حولها اليوم . . . وقدر لي أن أرى مكان بئر بدر ، والمكان الذي دارت فيه المعركة بين الحق والباطل ، والمكان الذي دفن فيه شهداء بدر ، وقرأت لهم الفاتحة وما يسره الله من سور القرآن الكريم ، كما رأيت المسجد الذي قالوا لي : إنه بني في مكان العريش الذي كان الرسول ﷺ يدير منه المعركة . . .

. . . ولقد طاف بي الخيال ، واستغرقني خاطر الحدث . . . فتخيلت هناك أبطال المسلمين الأول وهم يسخرون من قوة أعدائهم ، ويقاتلونهم بقلوب ملؤها الإيمان ، فينزلون بهم ـ بعون الله وقوته ـ شر الهزائم ، وأفدحها . . . وفي نفس الوقت تخيلت شراذم . . اليهود الذين كانوا يعبثون في سيناء . . . موطني ومسقط رأسي . . . فساداً وعلواً وغروراً . . . ومرّ هذا الشريط الحزين أمام مخيلتي ، وإذ بمناظر شتى من هموم المسلمين في أماكن عديدة ، وقد أنهكهم الضعف والوهن ـ إلا من عصم الله بالإيمان ـ فلم أفق إلا وأنا أرى أكف الضراعة ممن حولي من المسلمين في نفس المكان . . . يرفعونها لله تعالى ولسان حالها يقول :

. . . « اللهم ربنا . . . ما نحن بقلة . . . فشدّ همتنا ، ورد شاردنا ، ولا تكلنا إلى أنفسنا ، وكما نصرت . . . يا الله هذه الفئة القليلة . . . انصرنا يا الله . . . ونحن في غير قلة !! . . . ولا تجعل الأمم تتداعى علينا . . تداعي الأكلة إلى قصعتها . . . »

● والآن ـ أخي الصائم ـ دعني أطوف معك حول هذه المعركة الفاصلة في إيجاز شديد . . . ودون الإطناب . . . عسى أن نخرج سوياً بنتيجة إيجابية عملية تنفعنا في ديننا ودنيانا :

١ ـ « كانت هجرة المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة في شهر ربيع الأول ، وكانت غزوة « بدر » في شهر رمضان من السنة الثانية

للهجرة أي بعد الهجرة بنحو ثمانية عشر شهراً . . »

٢ - . . . نعلم - أخي الصائم - أن اضطهاد المشركين للرسول ﷺ وللمسلمين . . . تمثل في منعهم من نشر دين الله . . وكان هذا السبب كافياً لخروج المسلمين من ديارهم ، فضلاً عن استيلاء المشركين على أموال المسلمين بغير الحق . . . ناهيك عن مضي الكفار في طغيانهم ، وافتخارهم بقوتهم وكثرتهم ، واستهانتهم بالمسلمين . . . وتجاهلهم المقيت لهذه الفئة المسلمة . . .

. . . كل ذلك كان نقطة انطلاق في تفكير المسلمين ، وأخذ موقف معين محدد من الكفار « وهذا ما نحتاج إليه اليوم » . . فصمموا على استرداد حقوقهم المغتصبة ، وأموالهم المسلوبة والسعي الحثيث وراء تحقيق عزتهم وكرامتهم التي أرادها الله سبحانه لهم . . . فماذا فعل المسلمون ؟؟ »

وليتنا نفعل الآن عُشر ما فعلوه . . . وثلث ما قد عزموا عليه من نشدان الكرامة وطلب العزة ، . . . وأين قلتهم من كثرتنا . . . ولكننا كغثاء السيل . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله . . . هو وحده كاشف الضر . . .

٣ - . . . « بعد مضي سبعة أشهر من الهجرة . . . بدأ المسلمون في عمليات التصدي للمشركين ، ليشعروهم بكيانهم وقوتهم . . « ونحن اليوم للأسف لا نستطيع أن نشعر عدونا لا بكياننا ولا حتى بعزتنا إلا من خلال الشعارات البراقة . . . والقول الرصين دون العمل المطلوب !!! » . . .

. . . فبدأ صلوات الله وسلامه عليه في إرسال السرايا ، إلى ناحية البحر حيث تمر قوافل « قريش » التجارية في ذهابها وإيابها بين

« مكة » . . « والشام » . . . لم يكن الرسول ﷺ يريد الحرب في بادىء الأمر ، بل كان يريد أن . . . يشعر قريشاً بقوة الإسلام وأهله ، وأن يجعلها تفكر في شأنها . . . فلعلها ترجع إلى نفسها وتتفاهم معهم ، لكي تأمن التعرض لتجارتها . . وفي نفس الوقت يسلم المسلمون من أذاهم والتعرض لهم في دينهم . . . وحاول النبي ﷺ ـ زيادة في تأكيد إشعارهم بالخطر ـ السعي إلى عقد محالفة مع بعض القبائل التي تشرف على الطريق التجاري ، ومن ثم أصبح الطريق فيد المسلمين . . الأمر الذي جعل « قريشاً » . . . لا تجد ملاذاً تحتمي به أو نصيراً يساندها . . . »

٤ ـ . . . « ويخرج الرسول ﷺ في شهر جمادى الآخرة وبصحبته ثلاثمائة رجل وخمسة (٣٠٥) يريد التعرض لقافلة من قوافل قريش . . . وصل إلى علمه بخروجها من مكة بتجارة إلى الشام وعلى رأسها أبو سفيان . . .

. . المهم . . كانت هذه القافلة قد مرت منذ يومين في طريقها إلى الشام ولكن عند اقتراب رجوعها أرسل ﷺ من يقوم باستطلاع خبرها . . » . . . . .

● . . « وهنا ـ أخي الصائم ـ نقف وقفة بسيرة متأنية . . . فالتعرض لقافلة قريش ماذا كان يعني ؟؟ . . . ظروف المسلمين آنذاك كانت تحتم التعرض ، لتجريد قريش من إحدى وسائل القتال لا سيماوأن قريشاً كانت سافرة في عداوتها ولا تكتمها ولا توارب بها « مثل قوم يهود اليوم . . . تماماً » . . ولم تكن قريش تخفي نية الإيقاع بالرسول ﷺ ، وفضّ العرب من حوله ، وإيذاء كل من يدخل في دين محمد ، إذن لم تكن بينهم وبين المسلمين إلا حالة واحدة هي حالة الحرب . . »

٥ - . . . « . . . المسلمون . . . جاءتهم الأخبار بأن قريشاً قد خرجت كلها عن بكرة أبيها لقتالهم وحماية تجارتها . . . وهنا أدرك المسلمون أنهم مواجهون - لا محاولة - جيشاً متفوقاً عليهم عدداً وعدة . . . فهل يقدمون على قتال هذا الجيش الهائل ؟؟ !! وفي ذلك الهلاك الأكيد ؟أم يرجعون إلى المدينة فتكون النتيجة أن تطمع فيهم قريش . . إذ ترى فيهم الضعف والتخاذل ، ويلحق بهم - عندئذ - من أذى اليهود وامتهانهم . . . مثلما لحقهم من أذى المشركين في « مكة » !!!

وهنا - أخي المسلم الصائم - تنجلي أمام المسلمين الحقيقة ، وتنكشف النتائج . . فتتحول نظرتهم إلى غاية أسمى وأقدس من كل عرض الدنيا وبهرجها . .

فلا تفكير محدود النظرة . . . ولا التعرض للقافلة في حد ذاته . . . ولا استرداد الأموال بعينه . . . ولا بيوت وأولاد . . . ولا أطماع دنيوية فانية . . . ولا عروش ولا كراسٍ ولا مناصب . . ولا قيادات ولا شعارات . . . . الخ . . . تحولت نظرتهم كلية . . . إلى غاية واحدة لا غاية بعدها أبداً وهي : « إعزاز دين الله . . . وإعلاء كلمته . . . » . . . لم يجلسوا حول مائدة مستديرة أو مستطيلة أو مربعة أو شبه منحرفة !!! . . . لمعرفة قوة العدو !!

. . . ولم يقعدوا يترعون الكؤوس تلو الكؤوس . . . ويتجشؤوا . . . تجشئة الواحدة منها كطول النخلة الباسقة !!! . . . ولسان حالهم يقول : عدونا ومن هم وراء عدونا . . . أين نحن منهم !!!

. . . ولم يتربعوا (ليجعجعوا) بالقومية والحرية والاتحاد والنظام

والعمل !!!

. . . ولم يـرفعـوا عقـائـرهم بـالشعـارات الـذريـة . . . الهيدروجينية . . . الفتاكة !!!

. . . ولم يشجبوا أو يستنكروا !!! واكتفوا !!! . . .

بل رفعوا راية واحدة لا ثانية ولا ثالثة ولا رابعةلها . . . هي راية التوحيد . . . رفعوها بكل ذكاء وبكل حماس ، وبكل إيمان . . وبكل إخلاص . . . رفعوها راية واحدة تنادي وتحقق هدفاً لا ثاني هو :

(كلمة الله هي العليا) . .

فتجاهلوا كل شيء . . . حتى ذواتهم وأولادهم كل ما هو على الأرض من هباء وفناء . . . لم يعد يملأ كيانهم ، ويسيطر على نفوسهم إلا هذا الهدف المقدس الجليل . . . ولذلك ومن أجل ذلك . . . كانوا مؤمنين تماماً أن الله سيؤيدهم بنصره ويمدهم بعونه ، ولا يكلهم إلى أنفسهم . . . وربما يثور في ذهنك سؤال يا أخي الكريم يقول :

. . . ولكن إذا كان الهدف دنيوياً مادياً . . . فماذا تكون النتيجة ؟؟

- الإجابة يا أخي موجودة في التاريخ القريب . . . بل تعيش معنا واقعاً مريراً علقمًا وهي ـ الإجابة ـ التي تقول :

« إذا كان الهدف دنيوياً مادياً . . يتركه الله عز وجل لظروف الحياة وسنن الحروب المعروفة . . . فالغلبة للقوي . . والانكسار والذلة للمغلوب الضعيف !!! وهنا يا عزيزي الفاضل يكمن حالنا اليوم !!!

٦ ـ . . . « **ويتقابل الجيشان . . . جيش الكفر . . . وجيش الإيمان والتوحيد وتشتد المعركة . . وتزيد حدتها . . وينسى كل مقاتل من**

المسلمين نفسه ، وينسى كثرة عدوه ، وقلة أصحابه ، وتتطاير رؤوس المشركين عن أجسادها ، . . والمسلمون يزدادون بإيمانهم قوة وهم يصيحون :

الله اكبر . . . الله اكبر . . .

. . وقد كشف الله أمامهم حجب الزمان والمكان . . وأيدهم بنصره وأمدهم بالملائكة يبشرونهم ويزيدونهم ثباتاً ويقيناً . .

قال تعالى في سورة الأنفال الآية ١٢ :

﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾

- . . . نعم . . الواحد من المسلمين عندما كان يرفع سيفه ويضرب به رقبة عدوه . . إنما تتحرك يده بقوة الله . . .
- . . . نعم . . . هكذا تكون نتيجة الإخلاص لله . . . وهكذا يكون نصر الله للمؤمنين المخلصين ، قال تعالى في سورة الروم الآية ٤٧ :

﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾

وقال سبحانه في سورة النور الآية ٥٥ :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . . ﴾

ويقول تعالى في سورة آل عمران الآية ١٢٣ ـ ١٢٧ :

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ، إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من

الملائكة مسومين ، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ﴾

- . . هذه ـ أخي الصائم ـ هي غزوة بدر التي أقامت في العالم دولة لا تزال وستظل . . . ذات أثر بعيد المدى في حياة العالم إلى أن تقوم الساعة . .
- . . هذه ـ أخي الصائم ـ هي غزوة بدر التي أقامت في العالم دولة لا تزال وستظل . . . ذات أثر بعيد المدى في حياة العالم إلى أن تقوم الساعة . .
- . . . هذه ـ أخي الصائم ـ هي غزوة بدر التي تعد درساً عملياً تجلت فيه ثمرة الإيمان . . . فنصر الله عز وجل المسلمين وهم قلة . . . **لأنهم آمنوا بالله وأخلصوا الإيمان . . وخذل المشركين وهم كثرة . . لأنهم حادوا عن الحق . . . وابتعدوا عن الإيمان . .**
- . . . هذه ـ أخي الصائم ـ هي غزوة بدر التي بها . . . استتب الأمر للمسلمين بعد ذلك في جزيرة العرب كلها . . والتي كانت بشيراً بوحدة شبه الجزيرة في ظلال الإسلام ، ومقدمة لإقامة دولة إسلامية كبرى بعيدة الحدود مترامية الأطراف . .
- هذه ـ هي غزوة بدر التي هي معلم من معالم العظمة في تاريخنا الإسلامي ، وموقف بطولي وقفته قوة صغيرة فسحقت قوة كبيرة . . . عاتية جبارة ، **وحمت الديار بعد أن عجزت السياسة عن الحماية . . . وسيظل ـ يا أخي ـ رجالها قدوة للشباب المسلم . . المخلص . . الشباب الذي يريد الخلود ولو ضحى بنفسه في سبيل الدين والوطن . .**
- حقيقة ـ يا أخي الكريم ـ فإن هذه الغزوة برهنت على أن إطالة العمر ليست ببضع سنين يضيفها الإنسان ـ بالجبن والذلة والضياع ـ إلى عمره . . . فذلك هو الموت الحقيقي ، فكم من أحياء على هذه الأرض أموات !! وإنما

إطالة العمر تكون بتحقيق هدف وخلود ذكر ، فالموت لا بد أن يطوي الشجاع والجبان . . والسعيد هو الذي يتغلب عليه بذكر طيب يبقى على مر الزمان . . . وستكون قوة الله دائمًا مع المسلمين في المعركة . . لو . . . اتجه المسلمون لله . . وعملوا على نصر دين الله . . . انطلاقاً من قوله تعالى وإيماناً به سبحانه :

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾

(محمد : ٧) :

● أخي الصائم . . التاريخ ليس مجرد صفحات تقرأ ، ولا مجلدات تحفظ في المكتبات ، ولا كلاماً وصيغاً وجملاً يتشدق بها المتشدقون ولا حكاية ، ولا رواية ، ولا مسرحية ، ولا تمثيلية ، ولا أغنية ولا ملهاة يتلهى الناس بها . . . الساهون عن أمر ربهم ونواهيه !!

ولا هو ـ أي التاريخ ـ مداد خطه قلم المؤرخ وصبغه على صفحات بيضاء أو صفراء . . . وإنما التاريخ الحقيقي هو الذي يعرفه الإنسان ثم يدرك مراميه ثم ينزع إلى موقف من بعض قضاياه ومناحيه وخطوطه . . . والذي لا يستفيد من التاريخ . . . ليس له تاريخ . . . ونحن المسلمين لناتاريخ مجيد . .

. . . ولعل هذه الغزوة وحدها . . . هي التاريخ الحقيقي لعظمة الإسلام . . . فهل نستعد يا أخي لأن نكون مثل هؤلاء وأولئك الذين عاشوا وجاهدوا لتحقيق هدف واحد لا ثاني له ـ كما أسلفنا ـ :

(إعلاء كلمة الله ، وإعزاز دين الله . .)

اليوم الثامن عشر
١٨ رمضـــان

لغتنا العربية.. لغة القرآن
وهي كيان أمتنا.. فهل نحرص عليها ؟!

- ... أخي الصائم ... تفكر معي وتدبر هذه القضية التي أبدأها معك بأسلوب ـ لا تكلُّف فيه ـ فالكلفة مرفوعة بين المسلم وأخيه في حدود الأدب والاحترام المتبادل :

- « ... انتفضت من مكاني ، ثم اعتدلت في جلستي التي كانت شبه مستريحة ـ لأنني لا أمتلك ـ بالطبع ـ كرسي شازلونج !!! فتأرجح فنجان القهوة السادة في يدي المرتعشة فاندلق على « جلابيتي » الوحيدة والمسكينة ، وحمدت الله على هذا ... ثم أسرعت زوجتي العزيزة بارك الله فيها وهي ـ أم الأولاد ـ لتصليح أو لإصلاح ما أفسده ـ سبب القرف الذي طرأ على فنجان القهوة ـ وعدت ... من جديد أقرأ ... « وهو حالي أثناء الانتفاضة !! » ... بحلقت في صحيفة عربية كنت أقرأ بعض أخبارها ... وتوقفت عند خبر هزني وشدني للقراءة ثانية وثالثة ... وأدركت أن الذي قرأت لم يكن غشاوة بصر ، أو تداعي معانٍ ... المهم وأنا أقرأ هذه الصحيفة الصادرة بتاريخ

٢٢ / ٤ / ٨٥ توقفت عند عنوان خبرها الذي كان يقول :

محاولة لزيادة المنح الدراسية الإسرائيلية للطلاب

الـ . . .

أما نص الخبر فيول :

(. . . يسعى جفرئيل فاربورج رئيس المركز الأكاديمي الإسرائيلي إلى زيادة المنح الدراسية التي تقدمها إسرائيل إلى الطلاب الـ . . . الذين يدرسون العبرية بالجامعات الـ . . .

والمعروف أن هناك نحو ألف طالب وطالبة يدرسون اللغة العبرية . . .)

- . . . حقيقة ـ يا أخي ـ لم تطاوعني يدي ، ولم يجر القلم بمداده . . . ليكتب لا اسم الصحيفة ، ولا هوية الطلبة ، ولا جنسية الجامعة !! . . . فالكل عربي . . . والكل مسلم . . . ومن فرط غيرتي على كل عربي وعلى كل مسلم . . . أمام الحقد اليهودي الأسود فسوف لا أشمتهم في عربي !! وهذا قدر استطاعتي المحدودة . . .

- والذي يهمنا ـ يا أخي ـ ليس الاسم بل الفعل ، فلا أعتقد أن أي مسلم في الأرض يعتز بإسلامه ، ويقدر عروبته ، ويحترم تاريخ أمته وأمجادها . . . يعترض على ما سأقول حول هذه القضية ذات الأبعاد الخطيرة . . . ومع ذلك ـ سلفاً ـ أقول لكل معترض سواء . . . ناقد صادق صريح . . . أم قادح حاقد مجادل جريح !! :

« اقرأ تاريخ عروبتك ، ثم اعرف ماهية عقيدتك ، لتدرك أين هويتك . . . ثم امدح أو اقدح كيفما تشاء »

- « طلب العلم فريضة ـ كما أخبرنا بذلك نبينا ﷺ . . . والسعي للتزود بالثقافة في مجالاتها المحترمة الوقور أمر يحض عليه الإسلام ، ومحاولة إدراك

ما يكون غير مدرك . . . قضية منطقية تناسب وتتفق وطبيعة الإنسان غير الخامل . . .

. . . ولكن أن يكون المكر والخبث والدهاء والشر المستتر تحت اسم « العلم » فهذا هو الداء الذي يرسمه لنا « اليهود » . . . وبهدوء وسكينة . . . بل بكل وقار !! . . . نعم لأنهم عندما يخططون لشيء . . . لا يهللون مثلنا ولا « يبرطعون » ولا يصرخون ويصيحون . . . بل تراهم بالفعل يفتعلون السكينة والهدوء . . . لكي يصلوا إلى أهدافهم دون (زفة أو تصفيق !!) . . . »

● كانت مصيبتنا كبيرة ـ وما تزال ـ عندما شرع بعضنا نحن العرب . . . ينسلخ رويداً رويداً من اللغة العربية الصحيحة السليمة القوية الفتيّة . . . وذلك من عدة وجوه لا مجال هنا لسردها . . . ولكن تكفي الإشارة . . . وكل لبيب بالإشارة يفهم : . . . فمن خلال الفن الرخيص منه والغالي ، المحترم منه والتافه . . . سواء في المسرحيات أو الأغاني . . . أو الأفلام ـ سينمائية كانت أم تليفزيونية ـ أو تمثيليات إذاعية أو سهرات « فيديويّة » !!! . . .

. . . وتكتمل هذه الصورة . . . أو المصيبة عندما يلجأ أعداء الإسلام ، بل وأعداء العروبة بالذات . . . إلى الكيد الهادىء لأبناء هذه الأمة . . . ولسان حالهم يقول ـ كما أتخيله . . . وأتخيلهم ـ :

. . .(. . . إذا كان مفكرو العرب . . . يعملون اليوم ليل نهار على تدارك السقوط في لغتهم « العربية » وما آلت إليه من تدحرج !!! عبر دوائر وسلالم !! معينة . . . وصباح مساء يتكلمون ويناشدون بعضهم بعضاً . . . ويجتمعون ثم ينفضون . . . ثم يستأنفون !!! من أجل وجود حل لهذا التدهور اللغوي !!! والعودة إلى اللغة السليمة الأصلية . . . لغة قرآنهم !! . . . فإنه ينبغي علينا ـ كعادتنا ـ أن نشغلهم أو نشاغلهم أو

نناورهم بجديد من المكر !!! . . . وما دام يا أخي . . . نرى بعض المتعلمين أو بعض المثقفين والزعماء منهم . . . هنا أو هناك يقف في احتفال عام ويلقي كلمة عصامية !! مهولة . . . وفي كل كلمة تلتهب أكف المنافقين المرائين بالتصفيق والهتاف . . . وهو- أي الوزير- لا يعلم كيف يكون الكلام ، ولا كيف تكون اللغة (لغة أبيه وجده وأمته !!) . . . وهو يرفع ما يجب أن ينصب ، وينصب ما يجب أن يرفع ، ويثني ما يجب أن يجمع ، ويُـذَكِّرُ مـا يجب أن يُؤَنَّث . . . الخ . . . ومـع ذلك تجـد « الهتيفة » « والمصلحجية » . . .

(أي الذين يحترفون الهتاف بمناسبة وبغير مناسبة ، تجرهم إلى ذلك مصالحهم الشخصية والتزلف ديدنهم) . . . تجدهم « يصرخون » بكلمات المدح حتى يصيبهم اللهاث من شدة الإعياء . . . ومن كثرة التصفيق الذي أدمى أيديهم . . . « المساكين » !!)

- **بهذا . . . وغير هذا . . . تخيلت لسان حال أعداء الإسلام والعرب يقول : (. . . ما دام العرب . . . قد انتبهوا وقادتهم صحوة جديدة لتصحيح ما أفسدناه . . . وعما قريب يعود إليهم لسانهم القرآني . . . ويعودون هم إلى لغتهم الأصلية . . . فلماذا نسكت . . . لا . . . لا بد من أن نجعل لنا « أنصار لغة » ولكنها لغتنا نحن « العبرية » كما نجحنا في :**
(أنصار اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية وغيرها) . . . دعونا في هذا الظل الوارف . . . ظل إحساسنا بالتكيف والانسجام . . .
- وقبل أن يفلت وينزوي منا هذا الظل - دعونا نعلمهم « العبرية » وقطعاً مع هذا التعليم الجديد أو الموسع لا بد من وضع حوافز لكل من يتقن هذه اللغة . . . دعونا من ذكرها الآن المهم واحدة . . . واحدة . . . !!!!)
- **فلماذا يا أخي يكون الذي تخيلته هو نفس الواقع الذي يعيشه اليهود للكيد لنا - وبهدوء - كما قلت ؟؟ . . .**

. . . إنني سأذكر لك تجربة شخصية . . . أو واقعاً كائناً ينبغي معه أن نحذر اليهود ومكر اليهود وفساد اليهود . . . ولكني أفضل أن نرجىء هذا الحديث إلى أن أنتهي . . . من ذكر ما قاله شيخنا الجليل . . . الطبيب الاجتماعي المعاصر . . . محمد الغزالي . . . حيث جَسَّدَ قضية « اللغة العربية » أعظم تجسيد في كتابه الأخاذ :

« مشكلات في طريق الحياة الإسلامية » فقد أفرد لهذا الموضوع بالذات فصلاً كاملاً تحت عنوان :

ـ محنة اللغة العربية والأخطار التي تكتنفها ـ

. . . اخترت لك من كلامه . . . وكل كلامه . . . مغزى وعلاج :

(. . . ونحن نرى الإنجليز في عصرنا يفعلون العجب في تعميم لغتهم ، ويبتكرون الحيل الطريفة لتحبيبها إلى النفوس ، أصبحت الإنجليزية لغة العالم !!! ولغة العلم معاً . . . أما نحن فلا نفعل شيئاً من ذلك حتى غُزينا في عقر دارنا ، وأخذت اللغات الأخرى تغير علينا ، وتكتسح لغتنا في مواطنها الأولى . . .

● « لو كان المكر اليهودي « موضوع حديثنا » قد ظهر قبل طبع كتاب شيخنا الغزالي لوضع . . . أستاذنا وشيخنا حفظه الله . . . رأياً وفكرة ونقداً لا نصل إليه بفكرنا المحدود ، ولأضاف إلى كلمته السابقة . . . وأخذت اللغات الأخرى . . . « وبالذات لغة اليهود » . . . ولكن أرجو الله أن يقرأ شيخنا هذا الموضوع لنسمع رأيه فيه »

. . . ثم يقول شيخنا محمد الغزالي :

. . . والمضحك أن دعاة العروبة لا يحسنون لغتهم ، مما أكد عندنا أن دعاة هذه القومية العربية سماسرة غزو أجنبي ، وأن علاقتهم بالعربية ومآثرها ومواريثها علاقة مزوَّرة ، وأنهم قنطرة صُنِعَتْ عمداً لتعبر عليها أديان

وفلسفات وقوميات أخرى !!! إن اللغة العربية تهان وتنتقض من عدة جهات :

● ويحدد شيخنا أدلة الإهانة إلى العربية . . . مجسدة في الآتي :

١ - « . . . الزعماء الذين لا يحسنون الفصحى ويحلولهم أن يتحدثوا إلى الجمهور ساعات طويلة ، فيجيء حديثهم معزولاً عن العقل والروية ، وتختلط فيه العربية والعامية ، وهم مولعون بخفض المرفوع ، وجرّ المنصوب ، ولا نعرف لغة في أرجاء الأرض يتحدث رؤساؤها بهذه الطريقة . . . !! »

٢ - « . . . الأشخاص الذين يقلدون المنتصر ، والذين ذابت شخصيتهم ذوباناً تاماً ، فيرون من الرقيِّ أن يكون حديثهم بأي لغة إلا العربية !! . . . »

٣ - « والطامة الكبرى في رجال المجامع الذين يرون العربية تنهار أمام ألفاظ الحضارة المحدثة ، ومصطلحات العلوم الكثيرة ، ومع ذلك فهم لا يحركون ساكناً ، مع أن العربية في خطر حقيقي !!! »

● ويسترسل شيخنا ليوضح لنا كيف تحاك ضدنا . . . وضد لغة قرآننا المؤامرات للقضاء على هذا الدين من خلال القضاء على لغة الدين . . . لغة القرآن . . . فيقول :

● « يبدو أن الاستعمار الثقافي حاول تجفيف الروح الدينية في ميادين الأدب ، ولكنه لم . . . لم ينجح النجاح كله . . . وبقيت الفصحى رفيعة الهام . . .

● . . . ولم ييأس الاستعمار الثقافي ، وعداوته للغة القرآن لم تفتر !!

. . . إنه يريد القضاء على الإسلام ، وأيسر السبل إلى ذلك : القضاء على العربية وقواعدها وآدابها . . . وأظنه اليوم قد بلغ بعض ما يشتهي !! فقد اختفى الأدب الأصيل ، وإذا وجدت كتابات بالحروف العربية فإنها وعاء

لمعانٍ مبتوتة الصلة بأصولنا الروحية والفكرية . . .

● . . . وإذا كان الأدب مرآة أمة ، ودقات قلبها ، فإن المتفرس في أدب هذه الأيام العجاف لا يرى فيه بتة ملامح الإسلام ولا العروبة ولا أشواق أمة تكافح عن رسالتها ، وسياستها القومية ، وثقافتها الذاتية . . .

● . . . وعن الشعر المرسل الذي لوث العربية بميكروب جديد . . . بعد أن ظل العرب أقل من عشرين قرناً يصوغون شعرهم حسب البحور المأثورة عنهم ـ كما يقول شيخنا ـ . . . ومجيء هذا العصر النكد بشيء . . . سماه : الشعر المرسل محاكاة للشعر الأوربي كما يقولون . . . يقول فضيلة الشيخ :

« . . . أكرهتني الأيام على سماع هذا اللغو من بعض الإذاعات ، أو قراءته في بعض المجلات فماذا وجدت ؟؟ تقطعاً عقلياً في الفكرة المعروضة كأنها أضغاث أحلام ، أو خيالات سكران . . . واسمع هذا الكلام الذي نشرته صحيفة « الراية » في ملحقها الأسبوعي « ٥٦٧ » :

وصاعداً فصاعداً . . .

نأيت عن خريطة الليمون والحوانيت الخفيفة . . .

حجر من النهر اصطفاني . . . فارتعدت !!

الثور والحمير تجري فوق أكوام الغلال !!

وحاجتي لمعطف التبرك . . .

. . .

. . .

. . .

الصاغة الملثمون والحلب . . . النسوة الحبالى . . .

قلبي الذي يجول . . . الخ الخ !!

. . . مَنْ مِنَ الناس في الدنيا أو في الآخرة يفهم هذا المجون ؟؟ كأن جامع الحروف التقط كلمات من على الأرض ، ورصَّها كيفما اتفق !! وزيادة في

التهويل أو التزوير جاء الرسام فوضع حولها بعض الزخارف الغامضة ، وتحت عنوان « وشم العاشق » سمي هذا الخليط الكيماوي شعراً !!! »

. . . إننا نصيح محذّرين :

اللغة العربية في خطر . . . أدركوها قبل فوات الأوان !!)

● **. . . هكذا ـ أخي الصائم ـ كانت نداءات شيخنا الداعي الفذ / محمد الغزالي . . . فماذا بقي لنا . . . قوله :**

. . . الواقع أن سعي أعداء المسلمين . . . الحثيث . . . لتمييع اللغة العربية وإحلال لغاتهم مكانها . . . يحتاج من كل العرب . . . وقفة فعل وعمل لا وقفة « هز الأكتاف ومص الشفايف ومطها » لأن الأمة بدون لغتها تكون مقطوعة الصلة بين ماضيها وحاضرها . . . الأمة الإسلامية بدون لغتها « لغة الضاد » . . . لغة القرآن الكريم . . . تكون أمة « مستلحقة ذليلة تابعة » لا كيان لها ولا قومية ولا كرامة . . .

● والتاريخ . . . يعلمنا أشياء حول هذه القضية . . .

. . . فالأتراك فرضوا التركية وما تزال بعض آثارها تعيش في لغتنا العامية !! فأشاعوا بذلك الجهل وأشاعوا الأمية . . .

. . . والفرنسيون ـ خلال ثلاث سنوات ـ سوداء أيامها ـ كحلية لياليها ـ حاولوا فرض الفرنسية في مصر . . . ولكن أحلامهم انهارت . . . تحت غيرة الأزهر آنذاك . . .

. . . والإنجليز حاولوا . . . ولكن بتخطيط (مثل تخطيط اليهود اليوم لنشر العبرية) وأسلوب مدروس . . . وجعلوا اللغة العربية ـ أو حاولوا ـ لغة ثانوية . . . إلا أن الغيورين والحريصين على لغة الضاد ، والمدافعين عن دينهم أدركوا « اللعبة » . . . فوافقوا على تدريس اللغات الأجنبية ولكن . . . ليس على حساب لغة القرآن الكريم . . .

وهبَّ حافظ إبراهيم متأثراً لما كان يحاك للغتنا من مكر وخبث فقال :

(رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي

ونديت قومي فاحتسبت حياتي .

رموني بعقم في السباب وليتني

عقمت فلم أجزع لقول عداتي .

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية

وما ضقت عن آي به وعظاتِ .

أنا البحر في أحشائه الدركامن

فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟

● . . . للأسف . . . اللغة الدارجة بيننا ما تزال تزحف على كل ميادين حياتنا . . . وعلى كل مساحات تعبيراتنا . . . ولعل اليهود عندما أدركوا أن اللغة الفصحى قنعت بالانزواء في ركن من ألسنة قلة من المتخصصين أو الغيورين المخلصين . . . حتى رسموا خريطة مكرهم . . . واستغلوا . . كل ظرف سياسي واقتصادي واجتماعي وأخلاقي تعيشه الأمة العربية ؛ ومن أجل ذلك كان الخبر الذي سقناه في بداية حديثنا اليوم والذي أوحى لي باختيار عنوان قضية هذا اليوم . . .

● أخي الصائم . . . لعلنا ونحن نسبح معاً في رحاب هذا الشهر الكريم نحتاج دائمًا ـ في أحاديثنا ـ إلى الائتناس إلى آية كريمة أو إلى حديث شريف . . . أو قول مأثور جميل . . . وحول القضية التي معنا اليوم . . . نذكر أن الرسول ﷺ في حديث حسن أخرجه الحاكم في المستدرك قال :

★ « أحبوا العرب لثلاث :

— لأني عربي .

— والقرآن عربي .

— وكلام أهل الجنة عربي . »

★ **وعن أبي هريرة رضيِ الله عنه قال : قال رسول ﷺ :**

« أحبوا العرب وبقاءهم ، فإن بقاءهم نور في الإسلام ، وإن فناءهم فناء في الإسلام »(فيض القدير)

★ **وعن طلحة بن مالك رضيِ الله عنه أن رسول ﷺ قال :**

« إن من اقتراب الساعة هلاك العرب »(المستدرك وفيض القدير)

★ **وعن ابن كثير عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال :**

« ألا إن العربية اللسان ، ألا إن العربية اللسان »

★ **وفي رواية للحافظ ابن عساكر بسنده عن مالك قول النبي ﷺ :**

« ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي »

● **. . . أعود بك ـ أخي الصائم ـ كما وعدتك . . . إلى تكملة حديثي حول التجربة الشخصية أو الواقع المعاش في مكان من أرض الله . . . حيث مكر اليهود وتخطيط اليهود :**

● . . . فأنا ـ يا أخي ـ لست ضد التعليم . . . بل على العكس « من تعلم لغة قوم أمن شرهم » واللغة العبرية تدرس منذ زمن بعيد بكليات الآداب . . . ولكن تدريسها ـ اختياراً ـ مع بعض اللغات الشرقية الأخرى لم يكن قد أخذ هذا الشكل الهادف الذي سعت إليه اليوم « إسرائيل » . . . وأعرف طلبة كانوا يدرسون لغات شرقية . . . وعندما تخرجوا نسوا كل ما سبق لهم تحصيله !! فربما كان مجموعه في الثانوية العامة هو الذي حدد هذه الكلية أو

ذاك القسم . . . أقول ربما . . .
. . . وربما كانت الرغبة الأكيدة وراء هذا الالتحاق وهذا التحصيل وهذا التعلم . . . وما إلى ذلك قصدنا . . . ولكن الذي يدمي قلوبنا هو ما تطل به إسرائيل من أساليب المكر « حيث لا اطمئنان لها » على دوائر التعليم فتشجع وتحض على تعليم اللغة العبرية . . . وكأني بها تكثر من أعداد أعضاء نوادي الروتاري والليونز والانترهويل !!! . . . ولكي أثبت لك ـ أخي الكريم ـ أنني لست ضد التعليم . . . لأي لغة في الأرض طالما اطمئن قلبي أن تعليم هذه اللغة أو تلك ليس على حساب « لغتنا الجميلة . . . لغة القرآن » سأضع أمامك حكاية تثبت ذلك :

● . . . « في عام ١٩٧٩ كنت في القاهرة أباشر عملي الإعلامي سواء المقروء منه أو المرئي أو المسموع . . . وكلفت من الإذاعة بوصفي « من أبناء سيناء » بإعداد « اليوم المفتوح » ـ لإذاعة ركن السودان بالقاهرة ـ وكان ذلك بمناسبة انسحاب إسرائيل من مدينة « العريش . . . مسقط رأسي » وبدأت بالفعل . . . في هذا الإعداد لذلك اليوم الإذاعي . . . أجريت لقاءات مع مسؤولين ومع مواطنين من وادي النيل ومن سيناء . . . وفي العريش . . . وجدت متغيرات كثيرة . . . خلال ثلاث عشرة سنة . . . طغت على السطح الاجتماعي هناك . . . بعض أهالي سيناء يتكلمون العبرية . . . بطلاقة . . . وكان ذلك شيئاً طبيعياً بالنسبة لأناس احتلوا في أرضهم ، مثلهم تماماً مثل حال معظم البلاد العربية التي احتلت من الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي . . . الخ . . . كنت أستمع إلى بعض الشباب هناك وهم يتكلمون بالعبرية وأنا وسطهم لا أفهم شيئاً لأنه ـ بالطبع ـ لم يحدث لي شرف معاشرة بني يهود والحمد لله رب العالمين !!! . . . واستأنفت إجراء الأحاديث الإذاعية مع محافظ سيناء ومع أمثاله من المسؤولين يومذاك . . . ولكن لم تكن هذه الأحاديث لتذاع باللغة العربية ـ كما أجريتها ـ بل أذاعها

القسم العبري بالإذاعة . . . بالقاهرة باللغة العبرية خلال ترجمة فورية لها . . . ولم أمتعض لذلك ، ولم أتبرم . . . على العكس كنت سعيداً أن هناك من العرب المسلمين . . . من يترجم كلامي وكلام المسؤولين إلى العبرية . . . كخط إعلامي هادف . . . لتسمع إسرائيل ماذا نقول . . . ولم نقل ـ يومها ـ إلا ما يرضي ربنا سبحانه وتعالى . . . وأذكر أن المحافظ عاتبني لأنني ـ أثناء حديثي معه . . . تعمدت من إثارة قضايا . . . كنت أعلم أنها لا ترضي اليهود . . . وعاتبني لأنهم عاتبوه ـ حسب كلامه لي »

- **. . . يا أخي في الله . . . القضية ليست في تعلم لغة أو لغات ـ كما أسلفنا ـ القضية تكمن في أنه ـ يجب الانتباه إلى مكر اليهود وخبثهم والتاريخ البعيد والقريب . . . بل والحاضر يبرهن على أن لغتنا العربية يراد لها أن تذبل وتغيب . . . في ألسنتنا أولاً . . . ثم من نفوسنا . . . تحت تأثير العلامات التي ذكرناها وذكرها لنا فضيلة الشيخ محمد الغزالي . . . وما هو واقع فينا اليوم من أساليب متنوعة . . .**

- **. . . اليهود يريدون لنا كل الشرور . . . وباستغلالهم المواقف السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية . . . يحفرون لنا بهدوء قبورنا . . . وأول قبر يريدونه لنا . . . أو يدبرونه لنا . . . هو « إماتة اللغة على ألسنتنا . . . لغتنا العربية » . . .**

. . . فهل نحذر ؟؟ وهل نحتاط ؟؟ . . .

اللهم ألهمنا الصواب

ونجنا من العقـــاب

يا أرحـــــم الراحمين

اليوم التاسع عشر
١٩ رمضـــان

سفينة الغرب اشتكت على الغرق

● ـ أخي الصائم ـ لا شك أنك في كل يوم وليلة من ليالي هذا الشهر الكريم تتناول كتاب الله العزيز بين يديك لتقرأ منه ما تيسر . . . ولا شك أيضاً أنك مع هذه التلاوة ، وهذا الدعاء ، وهذه الركعة ، وتلك المناجاة ، وذاك الدعاء . . . تعود بخاطرك إلى حقيقة لا بد من تفهمها والتي تقول :
« . . . إن نزول القرآن الكريم كان منعطفاً هائلاً في تاريخ الإنسانية ، أسلمها إلى طريق النجاة من أوضار الشقاوة ، ووقفها على حصيلة التجربة الطويلة عبر القرون ، وعلمها كيف تقوِّم حصاد تلك القرون . . . إن نزول القرآن الكريم أبرز حقيقة الحق حتى بدت كما هي دون زيف أو تأويل ، وكشف عن هوية الباطل حتى تقع المفاصلة بينه وبين الحق »

● انظر ـ أخي الصائم ـ بنظرة ثابتة إلى الماضي . . . إلى تاريخ أجدادك . . . ستهتف معي قائلاً : ما أكرم تلك السواعد التي كان يحركها الإيمان ، وتتحرك بالإيمان فصنعت تاريخاً ناصعاً مشرفاً ، وأثبتت بالواقع أن **هدى الله هو الهدى وأن الاحتكام إلى الطاغوت ضلال وخبال** . . .

● أرأيت ـ يا أخي ـ ماذا يفعل الإيمان في النفوس . . . سواعد قوية أخذت قوتها من الإيمان . . . فحركها الإيمان . . . فاستطاعت أن تصنع التاريخ . . .

نعم ـ يا أخي ـ أجدادك صنعوا تاريخاً ـ بإيمانهم ـ ونحن اليوم نكاد نمحو هذا التاريخ !! لأننا أسمينا عصر الجهالات مدنية وحضارة ، وأطلق بعضنا على عصر الأمن والأمان والاستقرار صفة الرجعية والتأخر !! ولو احتكمنا إلى واقعنا المعاش على مستوى الأمة الإسلامية لخرجنا بالنتيجة التالية :

. . . الحضارة التي نسميها حضارة وهي حضارة الغرب . . . ماذا بقي منها ؟ لم يبق منها غير القنابل والمدافع والبارود . . . والقلق والخوف والحيرة والشك والاغتراب . . .

. . . قرأت لك ـ يا أخي في الله ـ خبراً غريباً في إحدى المجلات الأسبوعية يقول :

« مجلتان ظهرتا في أمريكا . . . أما المجلة الأولى فاسمها (عالم عنيف) وأما المجلة الثانية فقد اختارت لنفسها اسم (السفاح) »

. . . أما لماذا ظهرت هاتان المجلتان . . . فيرجع السبب ـ كما تقول المجلة الأولى ـ (عالم عنيف) . . . إلى أن الناس يشعرون بالملل ولذلك يبحثون عن الشيء الذي يفتح شهيتهم . . . للحياة من جديد !!!

- **. . . أرأيت ـ أخي ـ . . . فتح الشهية . . . بالعنف والقتل والتحلل . . . أرأيت يا أخي . . . الشقاء ، والتناقض ، والتخبط في هذا العصر الذي نعيشه والذي يطلق عليه بعض المغرورين المتنطعين الذين يتشدقون في كلامهم . . .** « عصر الحضارة والمدنية » . . .
- . . . هناك كتاب اسمه « **الإنسان ذلك المجهول** » لمؤلفه الدكتور / « الكسي كاريل » . . . جاء فيه :

. . . « . . . إن علماء النفس يبذلون كل ما يمكنهم من الجهود في الكشف عن أمراض نفسية وعصبية جديدة ، ولكنهم في الوقت نفسه يهملون البحث في الوصول إلى علاج لهذه العلل . . . وقد دمر هذا التناقض الإنسانية

تدميراً . . . فالأجسام تحت الملابس البراقة أحوج ما تكون إلى الهدوء والسكينة ، والأبنية الفخمة تسكنها قلوب محطمة ، والمدن المزدهرة ببريق الحضارة مصابة بالدسائس والكراهية . . . »

● . . . ولكن ـ أخي الصائم ـ ربما تسأل نفسك سؤالاً يقول :
كيف حدث ذلك ؟؟ . . .
يجيبك كاتب فيلسوف اسمه « ول ديورانت » قائلاً :
(لأن ثقافتنا اليوم سطحية ، ومعرفتنا خطرة ، لأننا أغنياء في الآلات . . . فقراء في الروح ، وقد ذهب اتزان العقل الذي نشأ ذات يوم من حرارة الإيمان الديني ، وانتزع منا العلم الأسس السامية لأخلاقياتنا . . . إننا نطوف بسرعة هائلة حول الأرض ، ولكننا لا نعرف أين نذهب ؟؟ . . . إننا نهلك أنفسنا بمعرفتنا التي أسكرتنا بخمر القوة ، ولن ننجو منها بغير الحكمة) . . .

● هكذا ـ أخي الصائم ـ تدرك معي أن سفينة أوربا أوشكت على الغرق ، وكادت مجاديفها البالية أن تحترق وتتحطم والأمل الوحيد في إنقاذها أن تبحر إلى الشرق . . .
. . . نعم . . . إلى شرق « الإسلام » دين الفطرة . . .
. . . نعم . . . إلى شرق « المسلمين » خير أمة . . .
. . . وأخيراً يا أخي . . . علينا ـ كعرب ومسلمين ـ أن نعي هذه الحقيقة . . .

اليوم العشـــرون
٢٠ رمضـــان

بفتح مكة .. زهق الباطل
فمتى يزهق على أرض الإسـلام ؟!

● أخي الصائم . . . أردت أن أعيش معك اليوم في دائرة الانتصارات العظيمة التي حققها المسلمون الصادقون الأول وأخص منها . . . « فتح مكة » والتي تسمى « غزوة الفتح » وكان زمانها في رمضان من السنة الثامنة للهجرة . . . وكان مكانها مكة المكرمة . . . وباختصار شديد . . . سأتناول هذه القضية التي يجب أن نخرج من معرفتها بمعان سامية نطبقها في حالنا وأحوالنا لكي ننجح في الأخذ من تاريخنا إلى صنع تاريخ جديد يحاكي الماضي العظيم . . .

● . . . مهدت لفتح مكة ظروف كثيرة لا تتسع هذه الخاطرة لسردها . . . إلا أن المقام يقتضينا أن نذكر سبباً واحداً نسوقه لشبابنا اليوم . . . وهو أن جيلاً جديداً كان قد نشأ في مكة سمع بالإسلام منذ نعومة أظفاره ، فلم تتعمق عبادة الأصنام في نفسه ، ومن ثم . . . أصبح الدين الذي نبع من مكة معتنقاً له أكثر بلدان العرب إلا مكة !!! . . .

● . . . رأيت قريش نفسها تقف وجهاً لوجه ضد العرب أجمعين تقريباً ، وأدركت أن وفود الحجاج التي لا تنقطع عن مكة منذ عهد إبراهيم عليه السلام سيقطعها عداء قريش للعرب . . . وفطنت « قريش » كذلك إلى أن

تجارتها لا يمكن أن تستمر في أمن إلى الشمال أو الجنوب بعد أن امتد نفوذ المسلمين إلى جميع الجهات . . . وسط ذلك . . . كله . . .

● . . . ويعد الرسول ﷺ . . . جيشاً عظيمًا ، لم تشهد الجزيرة العربية مثله من قبل ، فكان عدده **عشرة آلاف مقاتل** ، وتسمع قريش بأنباء هذا الجيش ، وكانت تعيش لحظات يأس واستسلام ، وفي نفس الوقت كان الرسول ﷺ حريصاً على أن يتم فتح مكة دون قتال . . .

● . . . فاستعمل سلاح التخويف وعسكر بجيشه الصاخب بالقرب من مكة . . . ويستقبل عمه العباس الذي أعلن إسلامه ، ثم يستقبل أبا سفيان ابن حرب الذي كان قد فقد كل أمل . . . والذي لم يعد يهتم إلا بأن يمنع الأذى والذل عن قومه . . .

. . . ويهتف الرسول ﷺ :

- **« ألم يأن لك يا أبا سفيان أن تعلم أن لا إله إلا الله »**

فيرد أبو سفيان :

- **بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً .**

● . . . **ويؤمن أبو سفيان . . . ولكن ـ أخي الصائم ـ هل ترك الرسول ﷺ أبا سفيان يعود إلى مكة مباشرة ؟؟ أبداً . . . أراد الرسول ﷺ أن يريه ذلك الموكب الرهيب للجيوش الإسلامية ، وبالفعل يرى أبو سفيان ما لم يخطر له ببال حتى إذا انتهى هذا العرض العسكري الرائع ترك ـ بضم التاء ـ أبو سفيان ليعود إلى مكة . . .**

● . . . **ويذهب أبو سفيان ليحدث الناس داخل مكة عن جيش المسلمين الجرار الذي لا يستطيع أحد إيقافه أو مواجهته ، ومن ثم فقد قتل كل أمل . . . وأي أمل في المقاومة . . .**

● . . . وهكذا ـ بقوة الله وبأسباب الله وبكرم الله ـ دخلت جيوش المسلمين « مكة » . . . من جهات أربع وكان خالد بن الوليد من قادة الفتح ، وينادي منادي رسول ﷺ :

. . . من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . . .
. . . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . . .
. . . ومن دخل المسجد فهو آمن . . .
. . . ويستسلم كل من بمكة . . .

● . . . ويطوف المسلمون بالكعبة ثم يزيلون منها التماثيل والصور ويحطمون الأصنام وهم يهتفون . . . هتافاً ـ نحلم . . . نحن المسلمين المعاصرين أن نهتفه ولو مرة في حياتنا بعد أن ننتصر في معركتنا الوحيدة مع ذلك الذي يعيش في أرض المسلمين ، ويعيث فيها فساداً ـ

رددوا قول الله تعالى : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾(الإسراء : ٨١)

● . . . ولعل الشيء العجيب ـ يا أخي في الله ـ الذي يقف أمامه كل باحث ومجتهد . . . :

«روح الإسلام » من حيث إنه دين جميل في أركانه ، أعظيم في قواعده ، أقدير في جوهره ، مريح في مظهره . . . كبير . . .

● . . . فهل عرف التاريخ جماعة غُلبت على أمرها وطُردت . . . وهاجرت بعقيدتها من مكة إلى المدينة . . . فلما استطاعت ـ هذه الجماعة ـ العودة إلى الوطن لم تمتد لهم يد !!! . . . في نفس الوقت لم يحاولوا أن يأخذوا بثأر . . . أي ثأر !!!

● . . . وهل عرف التاريخ عدوين يلتقيان بعد طول صراع مخضب بالدماء فلا يكون في لقائهم شحناء ولا بغضاء ؟؟ !!

. . . نعم . . . أخي الصائم . . . إنها روح الإسلام ، وسيطرة القائد على أتباعه . . .

. . . نعم إنها رحمة الرسول ﷺ . . .

. . . رحمته بمن كانوا بالأمس أعداءه . . .

. . . ولقد اجتمعوا حوله حيث هتف فيهم :

- **« ما تظنون أني فاعل بكم ؟؟ »**

قالوا :

- **« أخ كريم وابن أخ كريم »**

فيقول المصطفى ﷺ . . . وكله رحمة ولين وعطف وإنسانية . . .

- **« اذهبوا فأنتم الطلقاء !!! »**

● . . . أخي . . . أرأيت . . . الحساب . . . وتصفيته !!! وهذا هو كل الحساب بين الجيش الجرار الزاحف من المدينة وبين أهل مكة المستسلمين . . .

● وهنا ـ يا أخي ـ نقف قليلاً . . . أمام شيء مهم . . . ومهم جداً قائلين : . . . **هل للقوة تأثير . . . وأعني بها القوة المادية . . .**

● . . . **وهل القوة فعلاً ترهب العدو . . . وتدفعه إلى التفكير وإجراء كل العمليات الحسابية الدقيقة . . . قبل التهور أمام القوة . . . التي أمامه . . .**

● . . . إذا كان ذلك كذلك . . . فعلينا أن ننتبه ـ أخي في الله ـ من أن هناك صيحات . . . تنادي هذه الأيام ـ سواء عن علم أو عن سوء قصد ـ بنظريات جديدة في الجهاد . . . وحرب أعداء الإسلام والمسلمين . . . ولا أجد مانعاً يمنعني من ذكر ذلك بشيء من التفصيل . . . فآمل أن تفسح لي صدرك ـ بارك الله في صدرك ـ

● في مجلة « البلاغ » الكويتية . . . العدد ٧٨٣ . . . يوم الأحد ١٨ جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ الموافق العاشر من مارس ١٩٨٥ م . . . أجرى أحد المسلمين الغيورين . . . واسمه الأستاذ / يوسف أبو راس . . . حديثاً مع رئيس المجلس الوطني للشؤون الإسلامية في أمريكا واسمه الدكتور / محمد مهدي ، وفي معيته . . . آخر اسمه الأستاذ / غازي خانكان . . .

. . . وهذا اللقاء أو هذا الحديث . . . عندما قرأته . . . أثارني وأدهشني . . . لما للآراء والفلسفات التي طرحها رئيس المجلس الوطني للشئون الإسلامية !! من عجب وتطرف ـ في رأينا ـ ومن أجل توضيح الموضوع لك ـ أخي الصائم ـ أقول :

. . . بعد قراءتي المتأنية للحوار الرائع من الأخ المسلم الأستاذ / يوسف أبو راس وما تلقاه مباشرة من آراء الدكتور / مهدي . . . لم أتمالك نفسي ـ كمسلم ـ يعتز بإسلامه . . . وملم بعض الشيء . . . بهموم أمته التي يعيشها . . . فكتبت رداً على هذا الحوار . . . تفضلت المجلة الغراء بنشره في عددها رقم ٧٩٠ الصادر بتاريخ الأحد ٧ شعبان ١٤٠٥ هـ الموافق ٢٨ / ٤ / ١٩٨٥ م

. . . وجاء في مقدمة الرد تعليق المجلة . . . حيث قالت الآتي :

(. . . ونحن إذ نقوم بنشر ما وصلنا من تعليق إلا أننا نود أن نقول : إن ما أبرزناه من عناوين أثناء اللقاء لم يكن **تأييداً لأفكار د. محمد مهدي** وإنما كان فضحاً للطريق الذي يراد للعرب والمسلمين أن يسلكوه خلف د. محمد مهدي . . .)

● . . . يقول د. محمد مهدي = على لسان المجلة = حيث نشرته في عنوان بارز :

« إن المعارك مع العدو الصهيوني والتي سقط فيها آلاف الشهداء أسلوب شرير !! ويصف الاستمرار في التفكير بحرب العدو بأنه تفكير جاهلي !! »

● . . . والآن ـ أخي الصائم ـ سأنقل لك ما قاله د. مهدي بنفسه وما وفقني الله من رد عليه . . .

١ ـ ردأً على سؤال دقيق وذكي حول الطريقة التي ينتهجها المجلس الذي يترأسه د. مهدي في أمريكا . . . للوصول إلى القدس عن طريق الأطلنطي قال د. مهدي :

(نحن مهتمون بتحرير القدس والأراضي العربية المقدسة وكلها مقدسة ، ولكننا نعتقد بأن العرب والمسلمين لم يفهموا بعد خمسة وثلاثين عاماً ما هي نوعية الحركة الصهيونية)

. . . ثم وصف هذه النوعية بقوله :

« . . . الصهيونية تشبه حيّة ـ بتشديد الياء . . . رأسها في أمريكا وذنبها في فلسطين وهضبة الجولان وجنوب لبنان . . .

ثم أردف . . . وشمال سيناء !!! »

« . . . وهنا لا أعلم لماذا ضم شمال سيناء بالذات ولم يقل وجنوب سيناء علمًا بأن « مشكلة طابا » وأطماع اليهود ما تزال قائمة في جنوب سيناء . . . وليس في شمالها . . . !!! »

يقول الدكتور مهدي :

٢ ـ (القضية . . . قضية دعائية . . . والحرب الإعلامية جزء أساسي من معركة التحرير)

● **. . . وكان ردي على هذه النقطة :**

. . . « . . . لا أعلم ولا أدرك ولا أتفهم ولن أستطيع سبر غور كل من ينادي من العرب المتخاذلين ـ كما قال الزميل يوسف أبو راس ـ برفع راية الأبواق وبجعلها في مقدمة الرايات . . . تسبق البارود ، وتسبق الرجال الأشداء الذين أراد الله . . . لهم الخير بالشهادة . . . وليس بالجعجعة . . . اشترى سبحانه وتعالى منهم « أنفسهم » ولم يشتر جل وعلا صحفهم وإذاعاتهم

وتليفزيوناتهم ووكالات أنبائهم وأقمارهم الصناعية . . . لا أستطيع سبر هذه الأغوار المريضة التي تجيد أساليب التبرير ، وتجيد صنع الشماعات التي تعلق عليها انهزاميتها . . . وضعف إرادتها وهوانها . . .

● . . . الدكتور مهدي يقول بأن إسرائيل نجحت في فلسطين « يقصد إحتلال فلسطين » لأنها قبلها نجحت بالإعلام !!!! . . . ولا أدري من أين أتى بهذه الحقيقة المزعومة ؟؟ !! وما هي وسائل الإعلام التي أجادت اسرائيل من خلالها يومذاك ـ من التمهيد العالمي لاحتلال فلسطين . . .

. . . عندما أخذ اليهود يذبحون ويقتلون الأبرياء في « دير ياسين » لا يفرقون بين طفل رضيع وامرأة حامل ، وشيخ كبير . . . بل لم يفرقوا بين الجامد والحاس . . .

. . . ما هو ـ مع كل ذلك ـ النجاح الإعلامي الذي حققوه . . . قبل ارتكابهم مثل هذه الجريمة الشنعاء . . . إذا كانت إنجلترا قد مهدت لهم الجو سياسياً ، وإذا كان أعداء الإسلام والمسلمين في كل مكان قد تألبوا على احتلال فلسطين . . . فهذه لا تدخل في دائرة الدعاية ولا في دائرة الإعلام ، ويقول المثل العامي عندنا يا دكتور مهدي :

(القوي . . . عايب) . . .

١ ـ واستمر هذا الرد طويلاً (يرجع إليه من أراد في المجلة المذكورة) . . . ولكن هناك نقطة هامة جداً يجب ـ أن تعرفها أخي الصائم لأنها متصلة اتصالاً مباشراً بموضوعنا(الأساسي)

. . . ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . .** ﴾

● . . . قال الدكتور / محمد مهدي ضمن ما قاله :

« . . . ولو رجعنا إلى تراثنا لوجدنا أن أول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي اقرأ . . . وتلك بداية الحضارة والتقدم والإنسانية والإعلام !!!

وقال تعالى : ﴿ الذي علم بالقلم ﴾ ولم يقل : والذي علم بالسيف !!!

● . . . فقلت له :

ـ . . . ارجع يا أخي إلى كتب التفسير قبل الولوج في بحر التفسير . . . فيمكن لي ولك أن نتكلم كثيراً ونخطب على المنابر أكثر ولكن أمام كتاب الله وكلام الله ينبغي أن نقف في غاية من الوقار والأدب والسكينة . . . ولذلك يا أخي سأنقل لك ـ دون تفلسف ـ تفسيراً لمعنى القوة التي أرادها الله للمسلمين . . . قال الشهيد سيد قطب في تفسيره في الظلال : (. . . إن الإسلام يريد للبشرية أن ترتفع ، ويريد للبشرية أن تعف فلا يبيح الغدر في سبيل الغلب وهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد ، ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة . . . إن الإسلام يكره الخيانة ، ويحتقر الخائنين . . .

. . . لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير « الإنسان » وأول ما تصنعه القوة في حقل الدعوة :

أ ـ « أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها ، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها . . . »

ب ـ « . . . أن ترهب أعداء الدين فلا يفكروا في الاعتداء على « دار الإسلام » التي تحميها القوة »

ج ـ « . . . أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير « الإنسان » كله في « أرض الله » كلها . . .

● . . . هكذا ـ وبإيجاز ـ يوضح الشهيد سيد قطب الغرض من إعداد القوة : ﴿ ترهبون به عدو الله وعدوكم . . . ﴾

. . . ويستطرد الشهيد سيد قطب فيقول :

« . . . المسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء . . . ليكونوا مرهوبين في الأرض . . . ولتكون كلمة الله هي العليا ، وليكون الدين كله لله . . . »

● . . . إذاً ليخبرنا الدكتور مهدي كيف يمكن أن نكون مرهوبين أمام العدو ؟

هو يقول : **القوة لا تعني البندقية !! وحدها فإن من البيان لسحراً . . . فيجب أن نحرر أنفسنا من التفكير التقليدي !! ونفهم روح الإسلام . . . »**

● . . . لو أخذنا بكلامك يا دكتور مهدي سنطير فرحاً وبشراً لأننا سنعيد القدس في ظرف أسابيع قليلة ، وسنعيد إلى أرضنا كل شبر من التراب العربي والإسلامي في شهور قليلة ، فأمتنا بحمد الله أكثر الأمم بل أحسن الأمم . . . بياناً وسحراً وأدباً وشعراً ـ حتى اضطررت إلى أن أقول على كراهية مني لاستخدام هذا الأسلوب ـ . . . وسأجدلك فوراً من يلحن لك عبارة عصماء قضت على اسرائيل نهائياً وإلى الأبد !!!

« سنرميهم في البحر !!!! » وسأجدلك من يغنيها بداية من الفارس أحمد عدوية ، ونهاية بأعظم مغوار « كتكوت الأمير »

. . . طالما أنك يا عزيزي المخلص تخرّج بأن القوة ليست البندقية وحدها . . . بل إن من البيان لسحراً !!! . . . فكل ألوان البيان ومواضعه وزخارفه سنجندها لتحرير قدسنا الشريف . . . السليب !!

● . . . يا أخي دعنا نقولها صراحة ولا داعي للتشدق والثرثرة إذا ما أردنا الصراحة :

. . . نحن قوم لا نحرك ساكناً ، ولا نسكن متحركاً ؟؟

. . . أصبحوا يسخرون منا . . . وكأنهم يقولون لنا : أيها العربي سكّن تسلم . . . أي لا تطرق باب الإعراب لأنه ليس لك محل من الإعراب !!

● . . . يا أخي بدون الرجال لا تكون حياة . . .

● . . . يا أخي بدون السلاح لا تكون قوة . . .

- . . . يا أخي بدون الإرادة لا يكون الصمود . . .
- . . . يا أخي القوة العسكرية شيء . . . والقوة الإعلامية شيء آخر
- . . . يا أخي إذا كان ـ في رأيك ـ أن كاهانا صديق عزيز وأشرف يهودي !!! كما قلت . . . فمن ياترى يكون العذول ؟ !!!
- . . . يا أخي . . . الإعلام الصهيوني لم يغنهم عن البندقية والصاروخ . . . فكيف تنادون بإعلام إسلامي مع ترك البندقية . . .
- . . . يا أخي . . . لا تطعن الحيّة في ذنبها أو في رأسها بالمناورات الكلامية . . . ولكن يقتلع سمها بالسيف والبارود . . .)
- . . . هكذا . . . أخي الصائم . . . سقت لك هذه الحكاية للتدليل والتبيين على أن هناك إرهاصات تحاول لنا أن نعيش لحظات بعيداً . . . عن الاستعداد « بالقوة » المواجهة أعداء الإسلام والمسلمين . . .

ولعل في « فتح مكة » ما يبرهن بالدليل القاطع أن « القوة » ـ والقوة وحدها التي صنعت الخوف في صدور الأعداء المشركين ـ هي التي واكبت ودفعت الحناجر القوية المسلمة لتنادي

الله اكبر . . . الله اكبر

اليوم الحادي والعشرون
٢١ رمضـــان

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ
وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ...

... ﴿١٣﴾ سورة الحجرات

● ـ أخي الصائم ـ من الأمور التي تجعلك تعتز بدينك . . . أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً ﷺ للناس كافة ، بحيث إنك تنظر إلى كل البشر بنظرة واحدة . . . غير أن تقويمك لهذا أو لذاك تبدأ مراحله وتصوراته وفقاً للعقيدة الدينية لما لها من شدة في الفاعلية ، وقوة السلطان عليك كفرد . . .

● . . . وبعد العقيدة الدينية السليمة الصحيحة تأتي العقائد الأخرى مثل العقائد الاجتماعية ، والعقائد السياسية . . . الخ ، وهنا تقف ـ أخي الصائم ـ موقفك النظيف العفيف مع أخيك في الإسلام حيث إن عقيدتك الدينية احتلت المكانة الأولى في دائرة النفوذ بين غيرها من العقائد . . . خاصة إذا كانت راسخة ثابتة تقوم على إدراك واضح وعلم يقيني ثابت . . .

● . . . أخي الصائم . . . قف قليلاً أمام الآية الكريمة :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

(الأنبياء : ١٠٧)

ستدرك حتماً إلى أي مدى بَيَّنَ الإسلام مركز الجماعة الإسلامية في

المحيط الإنساني العام ، ووضح أنها تحتل مركز الوساطة بين الجماعة ، ومع ذلك فهي ليست من جنس ممتاز بين بقية الأجناس ، ولا صنف مختار استأثر برحمة الله ، واختص دون الناس برسالته ودعوته ، وهذا هو الرسول نفسه ﷺ يقول : « **بعثت إلى كل أبيض وأسود** »

● . . . حقاً فإن الله قد جعل التعارف بين الشعوب والأمم ومختلف الجماعات الإنسانية من أهم أسباب خلقهم وإيجادهم ، وهذا المفهوم ما تدل عليه الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . . . ﴾

(الحجرات : ١٣)

● . . . وقد تسأل ـ أخي في الله ـ هل يعد التعارف بين المجتمعات غاية لذاته . . . ؟؟

. . . أجيبك يا أخي . . . بأن هذا التعارف لا يُعد غاية لذاته ، وإنما . . . جعل وسيلة للتعاون على ما فيه إسعاد البشرية وخير الإنسانية . . .

● . . . أرأيت معي ـ يا أخي ـ لو أن الشعوب والأمم تدرك ما يترتب على تعارفها وتعاونها من آثار روحية ومادية فلن تتردد في توسيع نطاق هذا التعارف . . . وتأكيد ذلك التعاون لتكون الفائدة أشمل وأنفع ، والثمرة أعم وأكمل . . .

● أخي الصائم . . . ما أجملها وما أسعدني بها تلك اللحظات من العمر . . . التي أراني فيها أضع يدي في يد هذا المسلم أو ذاك داخل المسجد قائلاً له : عقب الصلاة : تقبل الله يا أخي . . .

وإذ به . . . **باكستاني** . . . **وآخر إيراني** . . . **وثالث أفغانستاني ، ورابع هندي ، وخامس مصري ، وسادس فلسطيني** . . . **وسابع**

قطري . . . الخ . . . الكل تجمعهم كلمة واحدة هي كلمة التوحيد

- . . . عندئذ تشملني السعادة وأكاد أطير من الفرح لأنني أتمثل قول الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ في (سورة الأنبياء :١٠٧)

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

- . . . نعم . . . فالدين الإسلامي كله يقوم على الرحمة وما محمد ﷺ إلا رحمة مهداة من رب العالمين . . .

. . . ولقد كان من رحمته سبحانه أن جاء محمد من أنفسنا فكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً . . .

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾

(التوبة : ١٢٨)

- . . . ورحمة الله ـ أخي الصائم ـ كما أهدت للعالمين الرسول الكريم ، وأنزل بها جل وعلاالكتاب المبين . . . ألّف بها عز وجل . . . القلوب حول رسوله ﷺ فتعلم منه الصحابة رضوان الله عليهم . . . الرحمة ،وكانوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . . . يقول الله تعالى في سورة الفتح الآية ٢٩ :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾

- . . . هذه الرحمة التي سادت بين المؤمنين شملت كل شيء . . . شملت الضعيف والفقير والمسكين وذوي الحاجة . . . وشملت رحمة الإنسان بنفسه وبالآخرين . . .

- . . . هكذا ـ أخي الصائم . . . فديننا كله رحمة وكله إنسانية . . . وعطف وتعاطف وتعاون وتعاضد . . .

هكذا ـ أخي الصائم . . . فديننا كله سلام ومحبة . . . دين لا يعترف إلا بأن التعارف بين الناس ينتج الألفة والتقارب . . . ثم يحدث التعاون على البر والتقوى . . . ثم من الإخلاص والإرادة تأتي مرحلة النهي الجماعي عن المنكر . . .

● . . . هكذا ـ أخي . . . نعلم أن كل سلوك بشري يخضع لعاملين أساسيين هما :

١ ـ العقـــل

٢ ـ العاطفة

. . . والمسلم الكامل . . . الكريم . . . لا يخضع خضوعاً تاماً لعاطفته ، ولا ينساق انسياقاً أعمى وراءها . . .

. . . بل يجعل للعقل مكاناً فسيحاً في حياته . . . ومن أجل ذلك فالتعارف الذي حثنا عليه الإسلام . . . يدفع بالمسلم الغيور المخلص إلى التفكر والتدبر . . . في ماهية التعارف . . . فيخلص في النهاية ـ بعقله مع عاطفته . . . إلى أن الإسلام في توجيهاته . . . كفل وضمن للمسلمين الحياة السعيدة . . . من خلال إعمال العقل ومن خلال التفكر الذي يوصل بنا في النهاية إلى أن نقف وقفة طويلة أمام كل قضايا الحياة . . . لنخرج في النهاية بنتيجة تقول :

« قمين بنا نحن المسلمين أن نجعل من تعارفنا . . .
انطلاقة نحو الخير والحق . . . نجلو بهما كل ما علق
في حياتنا من شر وباطل »

اليوم الثاني والعشرون
٢٢ رمضـــان

الذكر وأثره في نفوس الذاكرين

- ـ أخي الصائم . . . سيكون حديثي معك هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ حول الذكر وأثره في نفوس الذاكرين . . . وما أحلى ذكر الله في كل وقت وكل زمان وكل مكان . . . وفي البداية نقول :
- . . . إن معنى الذكر هو التنبيه بالقلب للمذكور والتيقظ له ، وسمي ذكراً لأنه دلالة على الذكر القلبي . . . غير أنه لما كثر إطلاق « الذكر » على القول اللساني صار هو السابق للفهم . . . كما يقول القرطبي رحمه الله .
والله سبحانه يقول في سورة البقرة :
﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾
- . . . وواضح ـ أخي الصائم ـ بأن ذكر الله بالطاعة والثناء . . . والتوبة والإخلاص يقابل ذكر الله لعباده الذاكرين بالرحمة وحسن الجزاء والمغفرة والإكرام في الدنيا والآخرة . . .
- **فإلى أي حد يكون أثر الذكر في نفوس الذاكرين ؟؟**
يقول تعالى في سورة الرعد الآية ٢٨ :
﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾
- . . . هكذا ـ يا أخي ـ فإن ذكر الله يطرد من النفوس القلق والاضطراب وما يعرف هذه الأيام في هذا العصر النكد . . . بالأرق . . . ومرض

الأعصاب ـ فذكر الله يبعث في النفس الطمأنينة والاستقرار والسكينة . . .

● . . . والذكر أيضاً يعلي من شأن المؤمن الذي يلهج لسانه دائمًا بذكر الله . . .
فقد قال الرسول ﷺ :

« قال الله جل ذكره . . . لا يذكرني عبد في نفسه إلا وذكرته في نفسي ولا يذكرني في ملأ إلا وذكرته في ملأ من ملائكتي . . . »

● . . . وذكر الله أخي الصائم يوقظ الشعور ويحيي القلوب :
فعن أبي موسى رضي الله عنه قال :
. . . قال النبي ﷺ :
(مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت)

● . . . أرأيت يا أخي . . . إلى أي حدٍ تكون هوية المسلم الذي يلهج لسانه بذكر الله . . . هو حي . . . بحياة كلها معنى . . .
والذي لا يذكر الله . . . هو ميت . . . لا هوية له . . .

● . . . وجزاء الذاكرين يا أخي . . . عظيم . . . فاسمع معي قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث يقول :
قلت يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر ؟؟ قال : **(غنيمة مجالس الذكر الجنة)** « الترغيب » .

● . . . والذاكرون أخي الصائم تحفهم الملائكة ـ وتنزل عليهم رحمات الله تعالى : فيقول صلوات الله وسلامه عليه :
« لا يقعد قوم يذكرون الله إلاَّ حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »

● . . . إذاً أخي الصائم تعال معي نذكر الله كثيراً . . . ونحن في رحاب هذا الشهر الكريم . . . نذكر الله في بيوتنا . . . في عملنا . . . في الطريق . . . في المدرسة ، في المستشفى . . . فذكر الله لا يرتبط بمكان ولكن يرتبط بصحة الإيمان » . .

اليوم الثالث والعشرون
٢٣ رمضـــان

الإيمان
ما وقر في القلب وصدقه العمل

● **ـ أخي الصائم ـ كلما حملت إلينا دورة الزمان هذا الشهر الكريم . . . نشعر وكأن حياتنا عادت تتدفق من جديد . . . لأن لهذا الشهر مذاقاً وله طعم معين . . . ففي رحابه نعيش بإحساس المؤمنين ، وفي جنبات التعبد والتهجد فيه . . . نطلقها توبة صادقة نصوحاً . . .**

● . . . ورغم الحقيقة المرة التي نعيشها نحن المسلمين من الغفلة الكاملة إلا أن ظننا بالله خير . . . ورمضان كشهر للخير . . . ورمضان كشهر للقرآن . . . لا شك أن رحمات الله ستتنزل علينا ـ فنحن أمة محمد ﷺ ـ رغم ما بصفحاتنا من آثام وسلبيات ـ

. . . أمة تحب دينها ، وتحترم عقيدتها ، وتقدس مقدساتها . . . ولا بد من ظهور الحق . . . ولا بد من رؤية نهار . . . عقب الليل الطويل . . .

● . . . أخي الصائم . . . أظنك تتابع رحلة المسلمين مع أولئك القلة الذين يحسون بجفوة الأمة الإسلامية لرسالتها ، ومعاناتها لواقع لا تغبط عليه !!!

● . . . يا أخي . . . وأنت تتوجه إلى ربك في صلواتك وقيامك وسجودك وركوعك وابتهالاتك ومناجاتك ينبغي عليك أن تتمثل هذا الواقع الذي

أصبحت عليه الأمة الإسلامية من الغفلة الفظيعة ، وأن تسترجع في ذات الوقت تلك القاعدة الأولى التي صاغها سيدنا محمد ﷺ والتي راحت تضرب في الأرض معلنة منهج البناء والتعمير في كل ميادين الحياة . . .

● . . . استمع معي أخي الصائم إلى ما يقوله ربنا سبحانه وتعالى :

(هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) . . .

(الجمعة : ٢)

. . . جاء في تفسير « تجريد البيان لتفسير القرآن من صفوة التفاسير » الجزء الثاني ص ٦٨٧ ما نصه :

(. . . هو سبحانه برحمته وحكمته الذي بعث في العرب رسولاً من جملتهم أمياً مثلهم لا يقرأ ولا يكتب قال المفسرون :

سمي العرب أمّيين لأنهم لا يقرأون ولا يكتبون فقد اشتهرت فيهم الأمية كما قال ﷺ (نحن أمة أمية لا تكتب ولا تحسب) أخرجه البخاري .

. . . يقرأ عليهم آيات القرآن ، ويطهرهم من دنس الكفر والذنوب ، ويعلمهم ما يتلى من الآيات والسنة المطهرة)

● وثق ـ يا أخي ـ أن في وقوفك أمام مثل هذه الآيات الكريمة قراءة وتدبراً وتفسيراً . . . وأيضاً وقوفك لحظات للتأمل والتفكير في واقعنا اليوم . . . وواقع المسلمين السابقين من الصحابة والتابعين . . .

وأيضاً قراءتك لتاريخك الإسلامي ومعرفة أوجه العظمة فيه . . .

كل ذلك . . . يكون عبادة في حد ذاتها لا سيما في هذا الشهر الكريم حيث إنك ستعي نسيج المأساة وتدرك ببصيرة المؤمن . . .

ـ طالما أنك تطلع وتمحص وتغربل . . . وتتأمل وتفكر . . . وأنت في رحاب رمضان المبارك ـ ما كان متشابهاً في أوائل هذا القرن ، ومآآلت إليه أحوالنا نحن المسلمين المعاصرين ، وما أصبحنا عليه في أوائل القرن الجديد !!

● . . . أخي الصائم . . . وأنت تتعبد إلى الله تذكر دائمًا أن الله ينظر إلى أعمالك ولا ينظر إلى صورتك . . .

والإسلام يطالبنا بالعمل والإتقان فيه . . . وبقدر ما تقدم من خير بقدر ما ستحصد الخير . . .

. . . فمتى نعود إلى ميدان العمل والفعل ونترك دوائر الصياح ؟ . .

ومتى نخرج من خير الإحساس بالصورة إلى خير إخراج

الصورة إلى حيث تعمل عملها في دنيا الواقع ؟

ألم أقل لك يا أخي . . . إن الله لا ينظر إلى صورنا . . . بل ينظر سبحانه إلى أعمالنا . . . إذاً نحن محتاجون إلى العمل . . .

● . . . تدبر أخي الصائم . . . قراءة القرآن الكريم وتفكر في آيات الله التي لا تحصى وحاول أن تدرك نعمة الله عليك التي لا تحصى . . . ولتعش هذا الشهر الكريم في تصور إيماني كامل بكل إحساسك ومشاعرك . . .

فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل . . .

اليوم الرابع والعشرون
٢٤ رمضـــان

الحقُّ أبلَج .. والباطِلُ لَجْلَج

ـ النفـــاق آفـــة المجتمعات . .

ـ والمنافقون جراثيم يجب قتلها . . .

● ـ أخي الصائم . . . نستقبل نحن المسلمين . . . شهر رمضان دائماً بنفوس فرحة وليس في الفرحة جديد ، ولكن الذي يجدّ على العالم الإسلامي من عام إلى عام . . . من أحداث . . . تكاد النفس تمسك عن الفرحة وإن كان الأمل في الله قائماً . . . ومع الأحداث التي مرت على العالم الإسلامي من العام الماضي حتى هذا العام . . . لا نقف طويلاً لتدارسها ـ الأحداث ـ فليس هذا المجال . . . مجال وضع الحلول ولكني ـ كما قلت في مقدمتي لهذا الكتاب ـ إنما هي خواطر شتى . . . جمعتها . . . وسبحات خطرت بها أيام وليالي رمضان . . . إلا أن الحديث عن الماضي مطلوب لنأخذ منه العبرة والعظة . . .

. . . ومن أجل ذلك . . . تذكرت . . . حدثاً هاماً في التاريخ الإسلامي المشرف أردت ـ يا أخي ـ أن تعرفه معي أو أن نعيد على أسماع أبنائنا مقاطع ومشاهد منه . . . تذكرت يا أخي « آخر غزوة . . . من غزوات الرسول ﷺ . . . وهي « غزوة تبوك » . . .

● ... والذي يعنينا منها ـ في هذا العام ... أشياء يجب أن نوضحها ـ اتعاظاً ونصحاً وليس سرداً فحسب :

١ ـ سورة (براءة) أو السورة الفاضحة

٢ ـ فضيحة المنافقين ... وتحذير المسلمين منهم في كل زمان ومكان ...

٣ ـ المجتمع الإسلامي خلال غزوة تبوك ذاتها ...

فنقول وبالله التوفيق :

● ...(... في بداية الرسالة وقفت صخرة عاتية في وجه الإسلام ... فآذت الدعوة ... كما آذت صاحبها عليه الصلاة والسلام ...

هذه الصخرة العاتية كان اسمها (النفاق) وفي كلّ زمان ومكان يكون النفاق مخرباً لكل تعمير ...

... لقد كان سيدنا محمد ﷺ يعرف أعداءه من الكفرة المشركين

... فيأخذ حذره منهم ، وكان أيضاً يعرف من بين أصحابه المنافقين ولكنه ﷺ ... لم يكن يصف لهم دخائل نفوسهم ، وما تحمله قلوبهم من مكر ومداهنة ...

... والمهم ... أثر المنافقون على المسلمين ... في عيشهم ودعوتهم ، وصبر المسلمون ... على هذا السوس الذي كان ينخر في مجتمعهم ...

... ولما أذن الله سبحانه لهذا السوس أن يفتضح أمره جهاراً نهاراً

... ولما أذن الله سبحانه لهؤلاء المنافقين أن ينكشف سترهم ...

... اختار سبحانه بعلمه وقدرته ... وقتاً علا شأن الإسلام فيه ...

... وقويت سواعده ... حيث انتصر المسلمون في كل معاركهم ، وأصبحت الغلبة لهم ... وأصبح لا يعنيهم هذا المنافق أو ذاك ...

حيث أصبحت الكلمة لهم ... فقضيْ ربك مع هذا الظرف أن ينزل على

نبيه (السورة الفاضحة)

● **والذي سماها فاضحة هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما**

. . . نزلت هذه السورة لتفضح النفاق والمنافقين وتكشفهم وتضع لهم الوصف اللائق بهم !!! . . .

وهنا تجيء غزوة تبوك . . . وهي ـ كما أسلفنا ـ آخر غزوات الرسول ﷺ . . . وقام بها بنفسه وقد اجتمع له فيها جيش كبير بلغ عدده ثلاثين ألفاً على حين كان الجيش في غزوة بدر (ثلاثمائة وخمسة) ـ كما ذكرنا ذلك في خواطر اليوم السابع عشر من هذا الكتاب ـ

. . . في هذه الغزوة . . . غَيَّرَ الرسول خطته . . . فقد بلغه أن الروم قد حشدت جموعاً غفيرة بالشام وأن هرقل قد استعان ببعض القبائل حيث كانت تحت سلطانه . . . هذه الحشود علم الرسول ﷺ أنها تريد غزوه في بلاده . . .

● . . . كان الوقت وقت عسرة وشدة . . . الحر لافح والثمار تكاد تطيب ، وأحب شيء إلى المسلمين أن يبقوا في ظلالهم حتى تصلح الحال ويطيب الزمان ـ

. . . ولكن الرسول ﷺ لا يصدر عن الهوى ، ولا يرجع عما قصد

● . . . وكان من عادته ﷺ إذا خرج إلى غزوة أن يوري بغيرها حتى لا تذيع الأخبار فيحتاط الأعداء ، ولكن رسول الله ﷺ صارح أصحابه في أمر تلك الغزوة ، ثم بعث إلى مكة . . . إلى قبائل العرب يستنفرهم ، ويحث الأغنياء القادرين على تجهيز المعسرين . . . وتنافس المسلمون حقيقة منافسة يتحدث بها التاريخ حتى قيام الساعة . . .

● . . . وخرج الرسول ﷺ في ثلاثين ألفاً وأعطى اللواء لأبي بكر الصديق . . .

● . . . وانتهت هذه الغزوة على خير حال . . . فلم يجد المسلمون جيوشاً

للروم فأقاموا أياماً ، ثم عقد عليه الصلاة والسلام العهد « ليوحنا » صاحب « أيلة » على أن يعطوا . . . أي هو وقومه . . . الجزية للمسلمين . . .

- . . . وإن كانت تلك آخر غزوة في حياة سيدنا محمد ﷺ فقد كانت أيضاً . . . مؤذنة بفضيحة المنافقين في سورة من سور القرآن العظيم . . . تليت على الناس يوم الحج الأكبر . . . ففصلت ألوان النفاق ودلت على المنافقين . . .
- ولا يفوتني ـ أخي الصائم ـ أن أذكر لك شيئاً يسيراً من أساليب المتخاذلين . . . المنافقين ـ وهم الذين كانوا كالسوس ينخر في جسم المجتمع المسلم ـ
- فهذا . . . زعيم المنافقين عبد الله بن أبي . . . يقول :

. . . « أيغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال وشدة الهجير . . . والبلد النائي ؟ !!

. . . أيحسب محمد أن قتال بني الأصفر لعب ولهو ؟؟ والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين في الأصفاد !! »

قال هذا بقصد بعث وتصدير الوهن والتخاذل في صفوف المسلمين . . .

- . . . وها هم يجيئون إلى الرسول ﷺ يعتذرون عن الخروج بأعذار تافهة ، وحجج ساذجة . . . والرسول ﷺ يقبلها حتى عاتبه ربه جل وعلا بعد ذلك وعفا سبحانه فيقول الله تعالى في سورة التوبة الآية ٤٣ :

. . . ﴿ عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم حتى يتبيَّنَ لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾

- وها هي سورة التوبة (الفاضحة) أو سورة براءة . . . يخاطب الله سبحانه فيها رسوله والمسلمين بعد أن فصل أوصاف النفاق ، وحدد المنافقين : (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم ، إنهم

رجس ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون)

(التوبة : ٩٥)

● . . . هل رأيت ـ أخي الصائم ـ الله سبحانه وتعالى يصف المنافق بأنه رجس . . . وما أكثر . . . وساوس الشيطان في عصرنا هذا . . . لأن الرجس من عمل الشيطان . . . وهذا يعني أن المنافقين كثيرون جداً . . . وهم أساس الفساد الذي نراه اليوم . . . ينخر سوسه بين صفوف المخلصين . . .

● . . . وكل الذي نراه اليوم ـ يا أخي ـ من ذل وقهر وتبعية ودونية وانحطاط . . . إنما يرجع إلى سبب من الأسباب الرئيسة لنفاذ أعداء الإسلام إلى ديار الإسلام . . .

وإلى نفوس المسلمين . . . هذا هو « المنافق »

وأقول « المنافق » وأترك الصفة . . . تخفيفاً على لساني ، فلم أكن أتمنى أن يكون بين المسلمين منافق واحد . . .

ولذلك وجدتني . . . أقول « منافقاً » خير من أن أقول « النفاق » فعموم الصفة . . . في أمة . . . دليل خرابها وانطلاقاً من الأمل في الله أقول . . . « المنافق » ففي هذه الأمة يعيش المنافق . . . أو المنافقان أو الثلاثة . . . أو أي كم معين . . . ولكن . . . ندعو الله ألا ينتشر فيها رجس النفاق فكفى ما بها من جروح »

اليوم الخامس والعشرون
٢٥ رمضـــان

جامعة إسلامية
كيف ؟! ولماذا ؟!

« إنها المناداة . . . بإعلام إسلامي معاصر . . .

● ـ أخي الصائم ـ تعال معي قبل الدخول في هذا الموضوع الهام ـ وما أكثرها قضايانا الإسلامية !!! ـ لنقف وقفة قصيرة جداً مع قضيتين :
الأولى : وتشمل في طياتها مفكرين إسلاميين ، وهما : عبد الرحمن الكواكبي ، وجمال الدين الأفغاني . . .
والثانية : وتشمل في صراحتهاالدعوة الجديدة التي لا تقل في أهميتها وجوهرها عن فكرة الجامعة الإسلامية وهي قضية « الإعلام الإسلامي »

● والآن نبدأ بالقضية الأولى بإيجاز شديد :

● **الجامعة الإسلامية :**

● « عبدالرحمن الكواكبي رأى أن يكون لهذه الجامعة أساس متين تقوم عليه ، هو الأسلوب العربي ، وتخيل يومذاك مؤتمراً يعقد في مكة المكرمة لهذا الغرض ، يضم ممثلين لكل الشعوب المسلمة في الأرض ، لا تربطها رابطة ، ولا تؤلف بينها آصرة إلا رابطة الإسلام ، وآصرة الإيمان ـ

وكان يرى أن الخلافة العثمانية ينقصها الكثير حتى تكون خلافة إسلامية حقة . . . إذ لا يكفي بناء المساجد الأنيقة ، والقباب الرفيعة ، والمقابر المجصصة والتكايا . . . لكي تصبح هذه الخلافة إسلامية بالمعنى الصحيح ، وكان هدفه من ذلك أن يبعث في المسلمين الشعور بالحاجة الملحة . . . لتكوين مجتمع إسلامي ينهض بالإسلام ويعيد سيرته الأولى في تحقيق الأمجاد ـ

● « أما المفكر الثاني وهو جمال الدين الأفغاني فاتجه إلى إصلاح الخلافة العثمانية من الداخل لتصبح إسلامية بحق ، وحتى تكون طاعة الناس لها منبعثة عن اعتقاد بأنها طاعة للشريعة الغراء التي تمثلها هذه الخلافة . . .

يوم تستقيم على أمر الله . . . فاتصل بالخليفة ، ووقف منه موقف الناصح الأمين ، ليقوم المعوج ، ويهدي الضال ، ويعيد الأمر إلى نصابه واستقامته . . . ولكن هل حقق الرجلان المفكران شيئاً من التطلعات والإصلاحات التي أراداها ؟؟

. . . لقد برهنت الأحداث فيما بعد أن الجواب هو النفي القاطع لأن شيئاً من تلك الأحلام لم يتحقق . . .

● أخي الصائم . . . دون أطناب أو تفصيل حول هذا الموضوع الذي يطول الحديث فيه . . . نقول :

. . . إن هناك واقعاً نعيشه لا بد من تقييمه وتقويمه ـ إن جاز هذا التعبير ـ ليمكننا تحقيق مثل هذه الغرض النبيل وغيره من القضايا التي لا تريد للإسلام إلا الرفعة والتقدم بما أراده الله له . . .

● **. . . ففي رأيي أن الجامعة الإسلامية الحقيقية لا تقوم داخل قاعات محدودة بمكان في بلد معين . . . ولكنها يمكن أن تتحقق إذا توفرت لها الأسباب والوسائل مع عمل العاملين وجهاد الدعاة والمخلصين من العلماء ورثة الأنبياء ، وأولي الأمر من المسلمين . . .**

● . . . ولعل القضية الثانية وهي الإعلام الإسلامي تكون المقدمة المنطقية لكل ما يعود على المسلمين بالخير ، وقبل الولوج إلى التحدث عن هذه القضية أجد في جعبتي اقتراحاً ـ يا أخي ـ حبذا لو نفذناه في جميع مراحل التعليم كخطوة أولى وهو « تحفيظ القرآن الكريم »

● . . . فعلى جميع مراحل التعليم وتنوعها لا بد من المناداة بحفظه بحيث لا يعتبر الطالب ناجحاً في نهاية مرحلته إلا بحفظ المقرر عليه من أجزاء مثل :

١ ـ . . . المرحلة الابتدائية . . . وخلال ست سنوات أو أكثر يتم حفظ خمسة أجزاء .

٢ ـ . . . المرحلة الإعدادية . . . وخلال ثلاث سنوات يتم حفظ سبعة أجزاء .

٣ ـ . . . المرحلة الثانوية . . . وخلال ثلاث سنوات يتم حفظ ثمانية أجزاء .

٤ ـ . . . المرحلة الجامعية . . . وخلال أربع أو خمس سنوات يتم حفظ عشرة أجزاء .

● . . . هكذا ـ يا أخي ـ تصوري المتواضع . . . ومن ثم نكون قد خطونا خطوة واسعة نحن معشر المسلمين في التطبيق العملي والفعلي لشعار المسلمين الصادق « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » .

● . . . هذه ـ يا أخي في الله ـ هي الأرضية القوية التي يمكن للأجيال . . . القادمة أن تنطلق من خلالها والآن نعود إلى القضية الأساسية :
« الإعلام الإسلامي » :

● . . . سوف أقتصر هنا على ما جاء في المؤتمر التمهيدي للإعلام الإسلامي الذي انعقد مؤخراً في جاكرتا والذي نادى العالم الإسلامي كله في هذا المؤتمر

بضرورة إنشاء جامعة إسلامية . . . إعلامية تتحدى أساليب العصر وتستغل أدواته لصالح الإسلام والمسلمين . . .

● . . . لعلك ـ أخي في الله ـ في حاجة لمعرفة بعض النقاط الهامة التي جاءت في قرارات هذا المؤتمر . . . لا بأس . . . سأذكر لك أمثلة منها :

١ ـ **« يتم تسجيل كافة العاملين بالصحف والمجلات الإسلامية « والمؤهلين لذلك » لدى نقابة « للصحافة الإسلامية » ويتم إعطاؤهم بطاقات خاصة تساعدهم على تسهيل مهمتهم لدى السفارات والهيئات الدبلوماسية . »**

٢ ـ **« يعمل الإعلاميون على جمع كلمة المسلمين ، ويدعون إلى التحلي بالعقل والأخوة الإسلامية والتسامح في حل مشكلاتهم ، ويلتزمون بالتدقيق فيما يذاع وينشر ويعرض . . . حماية للأمة الإسلامية من التأثيرات الضارة بشخصيتها الإسلامية وبقيمها ومقدساتها ، ودرء الأخطار عنها ، ويلتزمون أيضاً بالامتناع عن إذاعة ونشر كل ما يمس الآداب العامة أو يوحي بالانحلال الخلقي أو يرغب في الجريمة والعنف والانتحار أو يبعث الرعب أو يثير الغرائز سواء بطريق مباشر أو غير مباشر . »**

٣ ـ « يلتزم الإعلاميون بالامتناع عن إذاعة ونشر الإعلام التجاري في حالة تعارضه مع الأخلاق العامة والقيم الإسلامية ويلتزمون بنشر الدعوة الإسلامية والتعريف بالقضايا الإسلامية والدفاع عنها وتعريف الشعوب الإسلامية بعضها ببعض ، والاهتمام بالتراث الإسلامي والتاريخ والحضارة الإسلامية ، ومزيد من العناية باللغة العربية . . . ويحرص على سلامتها ونشرها بين أبناء الأمة الإسلامية وبالخصوص بين الأقليات الإسلامية . . .

. . . وفي سبيل تطبيق مثل هذه الاقتراحات قال أحد الإخوة الأصدقاء وهو رئيس تحرير مجلة الشريعة الأردنية الأستاذ / حسان ظبيان :

(. . . يتطلب الإعلام الإسلامي منا دراسة نفسية الجمهور الذي نوجه إليه دعوتنا وإعلامنا ، ولا يغرب عن أذهاننا أن هناك . . . الكثير من غير المسلمين ، وهؤلاء يتطلبون منا اهتماماً خاصاً وباللغات التي يتقنونها خاصة وأن للدعوة وجهين :

١ ـ وجه داخلي : يتعلق بالأمة الإسلامية ومشكلاتها .

٢ ـ ووجه آخر خارجي : يتولى التوجيه ونشر الدعوة لغير المسلمين .

● . . . وإذا كان ـ يا أخي في الله ـ هذا الصديق المؤمن « الذي عرفته وصادقته هكذا » يقول ما نصه :

« . . . وأرى أن تتبنى رابطة العالم الإسلامي إنشاء إذاعة ضخمة متكاملة تنطلق من بطاح مكة وتشرف عليها الرابطة وتكون بعيدة عن سيطرة أي جهاز من أجهزة الدولة هناك ، وتكون محطة إسلامية عالمية تؤدي واجباً أسمى ، وتتبنى نشر الدعوة من نفس المكان الذي انطلقت منه هذه الرسالة السماوية الخالدة . . . »

● . . . فإني أضيف قائلاً : ليت أزهرنا الشريف يتعاون مع رابطة العالم الإسلامي في تحقيق ذلك الحلم والأمل الذي يسعى ويتطلع إليه كل الإعلاميين الإسلاميين الصادقين . . . « وأعتقد أن مثل هذا المطلب يلقى اليوم قبولاً . . . لدى الدكتور / عبد الله عمر نصيف الأمين العام للرابطة فقد سبق لي أن ناقشته حول هذا الموضوع عقب زيارته الأخيرة للأزهر الشريف وأبدى استعداده التام للتعاون مع كل المؤسسات الإسلامية من أجل إعلاء كلمة الله تعالى (جريدة العرب القطرية العدد : ٣٣٨٢ الصادر في يوم الثلاثاء ٣ ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ ـ ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٤ م)

● . . . أما عن كلام الأخ الصديق المسلم الأستاذ / حسان ظبيان حول رؤيته في إيجاد بعض المخرجين العرب المسلمين في شتى أقطار العالم لإنتاج أفلام سينمائية وتليفزيونية . . . فإنني لا أتفق معه في ذلك على وجه التحديد . . . فلسنا نريد تجاراً للإسلام . . . وبقضايا الإسلام ، وكفى ما نراه من بعض الشركات « شركات الإنتاج الخاص » والأدهى من ذلك والأمر أن هناك أعمالاً إسلامية قام بها في الآونة الأخيرة ـ للأسف ـ إعلاميون غير مسلمين !!! فلا نريد ارتجالاً أو مجاملة أو مواراة لمثل هذا العمل إذا ما قدر له النجاح ويخرج إلى أرض الواقع إن شاء الله . . .

● . . . والذي أراه مع ما رآه الأخ الزميل والصديق حسان ظبيان هو **العمل من الآن بالتنسيق بين الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي وجميع الهيئات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية المنتشرة والمتعددة في البلاد العربية والإسلامية . . . العمل على إيجاد مجموعة من القائمين على الإعلام الإسلامي مهيئين بكافة الخبرات والتخصصات . . . ولديهم القدرة على التنفيذ**

. . . سواء كان ذلك في المجال الإذاعي والسينمائي والتليفزيوني لأنه إذا أُريد ـ بضم الألف ـ لمثل هذا المشروع النجاح لا بد أن نقول منذ البداية إننا لا نستطيع أن ننطلق بإمكانات بشرية ضعيفة . . . وعلى الأزهر الشريف من الآن . . . ومعه جميع المؤسسات الإسلامية في البلاد العربية . . . عليهم جميعاً ـ إذا آمنوا بالفكرة ـ أن يبدأوا أولى الخطوات حول هذا المشروع الذي أصفه (بالمقدس) وسط سحب الفساد التي ملأت سماء شبابنا)

« من مقال للكاتب نشرته مجلة رسالة الأزهر بعددها ٤٠ الصادر يوم الخميس السابع من جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ الموافق أول إبريل سنة ١٩٨٢ م »

اليوم السادس والعشرون
٢٦ رمضـــان

حَـذَارِ !.. أيها المسلمون

ـ فلنسرع إلى تحكيم شرع الله . . . في الأرض

● ـ أخي الصائم . . . كما اتفقت معك منذ البداية معرفاً إياك بشخصي الضعيف . . . فأنا لست واعظاً ولا فقيهاً ولا مؤرخاً ولا أحسب نفسي إلا من جموع المسلمين الذين يهمهم أن تعلو كلمة الله في الأرض . . . تعلو في أقوالنا وأعمالنا . . . وحياتنا ، وأن يسطع نور الإسلام في كل جوانب الحياة . . . وما أحدثك به ما هو إلا خاطرة مسلم معاصر يعيش هموم أمته وهو من أفرادها . . . ولكني علمت أن الوعظ لا يحتاج إلى هجوم ولا إلى إلحاح . . . لأن النفس البشرية كثيراً ما تضيق بالوعظ وتتبرم بالنصيحة . . . ولذلك يا أخي . . . أدركت بفضل الله . . . أن الطريقة السليمة إلى النفس هي في السبيل الهيِّن . . . الذي يسلكه الداعي إلى الخير . . . حيث ينبغي عليه أن يدخل نصائحه إليها خلسة حتى لا تمل منه ولا تتبرم . . . لذلك وجدتني يا أخي في الله أحاول جاهداً أن أتبع هذا الأسلوب . . . ولعلي وفقت . . . فأحمد الله على التوفيق ، وإن جانبني الصواب . . . فأنا من البشر أخطىء وأصيب وعلى الله قصد السبيل . . .

● . . . واليوم ونحن في السادس والعشرين من هذا الشهر الكريم وقد قاربت عقارب الساعة على الخامسة صباحاً بعد صلاة الفجر . . . أحدثك حديثاً . . . اخترت لك موضوعه « حذار أيها المسلمون » . . . فلعلك تبلغ من لم يقرأ هذا التحذير جزاك الله خير الجزاء . . .

● . . . ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :
(يا معشر المهاجرين . . . خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلت عليكم . . . أعوذ بالله أن تدركوهن :

١- . . . « لم تظهر الفاحشة في قوم قط إلا فشافيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم »

٢ - « . . . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان »

٣ - « . . . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا »

٤ - « . . . ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم »

٥ - « . . . وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم »)
رواه البيهقي وروىٰ نحوه الحاكم وابن ماجه

● « ماذا نقول بعد ذلك - يا أخي - حقيقة لا تخفىٰ على أحد . . . نعم لا تخفى على أحد . . . فالخصال الخمس ابتلينا - نحن - بها اليوم . . . ولذلك وجب أن يكون عنوان موضوعنا اليوم « حذار . . . »

وأمام وصف الرسول ﷺ للخمس . . . لا تعقيب ولا تخريج . . . ولا تجريد ، ولا تبديد . . . فالكلام يأكل بعضه بعضاً . . . ولن أزيد عن

ذكر قول الله تعالى . . . ثلاث آيات من سورة المائدة :

١ ـ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (المائدة : ٤٤)

٢ ـ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (المائدة : ٤٥)

٣ ـ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ (المائدة : ٤٧)

فهل نحكم شرع الله في الأرض . . . أيها المسلمون ؟؟

اليوم السابع والعشرون
٢٧ رمضـــان

الدين الإسلامي
كما هو فطرة إنسانية .. كذلك فهو ضرورة اجتماعية

● أخي الصائم . . . ونحن نعيش الساعات الباقية من هذا الشهر الكريم الذي مر سريعاً . . . سريعاً ولا أدري لماذا هذا الإحساس الغريب الذي يؤرق وجدان كثير من المسلمين . . . في عدم الشعور أو الإحساس بالزمن ـ . . . أمس كان أول رمضان . . .

. . . نعم إنه الأمس القريب . . . والقريب جداً . . .

. . . واليوم نجد الزمن قد لفنا بين سويعاته حتى بات الواحد فينا يضرب كفاً بكف متألماً ـ من إحساسه بسرعة مرور الوقت ، يقول لنفسه :

ـ أمس كان أول رمضان !! وبعد يومين يفارقنا شهر البر والإحسان . . .

. . . ولو تكلمنا حول هذه النقطة بالذات ما وجدنا مداداً لأقلامنا الضعيفة أمام هذه المشاعر والأحاسيس الإسلامية التي تحرك وجدانات كل مسلم اليوم . . . ولكن ما الذي يمكن أن نخرج به من هذا الشهر الكريم بعد أن صمناه امتثالاً لأمر الله تعالى . . . جملة القول تكمن في قولنا : **إن الدين الإسلامي لم يترك لبني البشر طريقاً إلا مهده ، ولا باباً إلا فتحه ، ولا ركيزة إلا أقامها . . . لتحقيق سعادته في الدارين . . . فأولاً إذا**

فكرت ـ أخي الصائم ـ في كلمة « الدين » أو مفهوم كلمة « الدين » فلن يتيسر لك وضع تعريف محدد على نحو يتفق وجميع الميول الإنسانية ، وذلك لأن مدارك الناس في فهم الحقيقة الدينية تختلف . . . وأن نزعاتهم إلى فكرة عامة في محيط الإطار الديني لا يحدد لهذا الدين أو ذاك مفهوماً خاصاً . . . يجتمع كل الناس على إدراكه والإيمان به . . .

● وتجد ـ أخي الصائم ـ في تاريخ الأديان مجموعة كبيرة من النماذج المختلفة في تعريف الدين وسأضرب لك مثلاً بإيجاز :

★ . . . مفهوم الدين عندنا نحن المسلمين غير مفهوم الدين عند الغربيين !!
فالمعروف عندنا أن « الدين وضع إلهٰ يرشد إلى الحق في الاعتقاد ،وإلى الخير في السلوك والمعاملات » .

★ أما عند الغربيين فنجد الفيلسوف الألماني « كانط » يقول :
ـ (الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر الهٰية)

★ أما « هربرت سبنسر » فيقول :
(. . . الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمنية ولا المكانية . . . هو العنصر الرئيس في الدين)

● . . . وغير ذلك من التعريفات الكثيرة التي لا يهمنا منها إلا التعريف الذي قال به عالم الاجتماع الشهير « دوركايم » فيقول :

« الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة ، إعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة »

● . . . ولكي أصل معك ـ أخي الصائم ـ إلى المغزى الذي أردته في حديث

هذا اليوم الرمضاني ، والذي قرب موعد أفوله على أمل اللقاء ـ إذا كان في العمر بقية ـ إن شاء الله فإني أوجز لك في أن أية تعريفات للدين لا تخرج عن وجهات نظر ثلاث ينبغي أن تعرفها :

٢ ـ وجهة النظر النفسية التي تحصر الدين في دائرة النفس والعقل .

٢ ـ وجهة النظر الطبيعية التي تتجاوز حدود النفس والعقل إلى الوجود الخارجي . . .

٣ ـ وجهة النظر الدينية وهي التي تعني كل الذي ذكرنا إلا أنها ترمي وراءه إلى حقيقة أخرى لا نحصل عليها داخل النفس فقط . . . ولا من الخارج المادي ولكن ندركها على أنها ذات غيبية . . . أي الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة . . .

- هذا يا أخي وكل التعريفات غير الإسلامية لحقيقة الدين وبالذات تعريف « دوركايم » فيها من القصور عن بلوغ الحقيقة الدينية وعن مفهومها ، فمنها من لم يتضمن إلا الجانب السلبي للقدسية الدينية ، ومنها من جرّد الدين من أخص صفتين يقوم عليهما وهما صفة « الروحية » وصفة « الإلهية » وإذا تجرد الدين عن هاتين الصفتين انطبق على كل مظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي . . .

- . . . وهنا أخي الكريم ـ أصل بك إلى نقطة جوهرية وهي أن للدين ـ إلى جانب وظائفه النفسية التي تجعل منه غذاءً ضرورياً لقوى النفس ، ـ كذلك توجد له وظائف اجتماعية لا يكون موضوعها الفرد وحده وإنما يكون موضوعها المجتمع كله !!

- وعلى هذا فإن الدين الإسلامي كما هو فطرة إنسانية فهو كذلك ضرورة اجتماعية وقوة حضارية . . . لن نجد قوة أخرى تساويها أو تقرب منها في حمل الناس على حفظ المجتمع واحترام نظمه . . . كطريق صحي لتحقيق

أمنه وسعادته وتقدمه . . . ورقيه ، وهناك روابط كثيرة تجمع الأفراد بمجتمعاتهم كرباط المحبة ، والتراحم والبر والتعاون والاحترام المتبادل ، ومراعاة كل فرد من هؤلاء الأفراد حق الآخرين عليه بمقدار ما يرعى ما له عليهم من الحقوق ، ولذلك فإن رباط الدين الإسلامي هو أقوى وأكثر غلبة من أي رباط آخر يقوم على الجنس أو اللغة أو الحوار أو الاشتراك في المصالح أو . . . الخ .

- والذي ينبغي أن تدركه ـ أخي الصائم ـ أن كل هذه الروابط ما لم تؤيد برباط الدين والعقيدة وتشتد بأواصره المتينة وبمبادئه القويمة وأسبابه الحكيمة لا تلبث أن يعتريها الوهن وتتخللها الثغرات ، ويعتريها التحلل والفساد . . . وإلى هذا المعنى يشير رسولنا الكريم ﷺ فيقول :

(المؤمن مألوف ألف ولا خير فيمن لا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس)

- . . . ألاحظت أخي الصائم أن الرسول ﷺ لم يقل . . . وخير المسلمين أنفعهم للمسلمين ، وهذا يعني الترابط بين الإنسان وأخيه الإنسان يجب أن يقوم على أسس من الأخوة الصادقة ، والحب الأكيد ،والاحترام المتبادل دون نظر إلى فوارق اللون أو الجنس أو اللغة أو الحدود الجغرافية !!

- . . . إذاً نستطيع القول بأن مركز الدين من الجماعة مثل مركز القلب من الجسد إذا صلح صلحت ، وإذا فسد فسدت .

- ويا أخي الصائم . . . تذكر دائماً وأنت تودع رمضان . . . أن دينك الإسلامي يحكم شؤونك ويسير بمجتمعك وفق معطياته وتعاليمه إلى ما فيه سعادتك وسعادة مجتمعك ، والمفروض أن تخرج ـ يا أخي ـ من هذا الشهر وقد وضعت أمامك توجيهات الله العلي القدير أمام بصرك وبصيرتك . . .

● والذي يجب عليك أيها الأخ الكريم بعد هذا العرض عن ما هية الدين ومفهومه ورحابته . . . هذا الدين الذي ير بي وجدان المسلمين لينفعوا أنفسهم وينفعوا مجتمعاتهم . . . يجب أن تلتزم في حياتك منذ الآن بسلوك خاص ، وهو المنهج الذي يقوم على الحق والخير . . . وثق تماماً ـ يا أخي ـ أنه بالعودة إلى الدين والتمسك به عقيدة وسلوكاً . . . سيكون الحل لكل مشاكلك وكل متاعبك وكل آلامك . . . لأنك يا أخي إذا نظرت إلى الإسلام نظرة ، فاحصة ستدرك أنه دين الحياة وروحها ، بوجوده تكون الحياة وبفقده يأتي الموت . . .

● . . . وهذا الكلام يا أخي ليس فلسفة أو عبارات إنشائية أو شطحات خيال . . . أو موعظة عابرة فليس كمثلي أن يأخذ مكان الأئمة والدعاة وإنما وأنا أعيش معك . . . في حاجة إلى من يبصرنا بأمور ديننا ، وبقدر ما يدرك الإنسان منا طريق الحق بقدر ما تعظم المسؤولية في التبليغ . . .

● . . . وحقيقة فقد آن لنا أن ندرك بلا مواربة أن في التمسك بتعاليم الإسلام ، وتطبيق هذه التعاليم تكون الحياة وتكون الاستقامة . . . والاستواء والأمن والأمان »

● . . . ـ يا أخي ـ هذا رمضان قرب على الانتهاء ، ويأتي شوال وقد تبت إلى الله تعالى . . . من كل ما يغضب الله . . . ورب رمضان هو رب شوال وطالما ولجت باب التوبة فتذكر معي يا أخي قول الله تعالى :

★ ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾

(التحريم : ٨)

★ ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾

٤٦٠ ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفرالله يجد الله غفوراً رحيماً . . . ﴾ (النساء : ١١٠)

★ ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾

(آل عمران : ١٣٥)

● هذه ـ أخي الصائم ـ لمحة خاطفة عن جوانب عديدة حول مفهوم الدين . . . أردت من ذكرها لك بإيجاز أن تؤمن إيماناً كاملاً أن ديننا الإسلامي هو الدين الكامل الشامل المحقق لسعادة الفرد والمجتمع . . .

● . . . فليكن ولاؤك يا أخي قبل كل شيء وبعد كل شيء لدينك الإسلامي حيث يكمن في هذا الولاء الخير . . . لك ولأسرتك ولمجتمعك . . . والله نسأل أن يعصمنا بدينه وأن يجنبنا الخطأ ويرزقنا الصواب ويلهمنا الرشد فهو الهادي إلى سواء السبيل) .

اليوم الثامن والعشرون
٢٨ رمضـــان

... وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ
مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ سورة يوسف

- رمضان يضفي على حياتنا معنى . . .

فهل نعي ذلك المعنى ؟؟ .

● . . . أخي الصائم . . .

تعلم أنه خلال خمسة عشر قرناً ونحن المسلمين . . . أجداداً وآباءً وأبناءً وأحفاداً نعيش هذا الشهر الكريم . . . وكأن هذا الشهر يتواعد معنا . . . ليجلب لنا الماء بعد طول عطش استمر أحد عشر شهراً ، وليحضر لنا الخير بعد أن عميت أبصارنا أو كادت من رؤ ية لشرارات الشر التي تنطلق هنا وهنا في جوانب الحياة !! وليحضر لنا أيضاً النور والضياء بعد أن أظلم الطريق وضاع أو يكاد من تحت أقدامنا خلال أحد عشر شهراً مضت على قدومه . . .

. . . نعم يا أخي فخلال العام بشهوره . . . تمر علينا أحوال وأحوال فيأتي رمضان ليضفي على حياتنا معنى ، وليغرس في نفوسنا الثمر . . .

● **. . . وحقاً إن رمضان ضيف محبوب . . . ولكن من المضيفون يا ترى ؟؟**

● **. . . المضيفون هم . . . الألف مليون مسلم على هذا الكوكب يستقبلونه كل عام . . . وهم في حالة حب كامل ، وصفاء كامل . . .**

● **. . . هذه حالة الاستقبال . . . كلها فرحة ، ولها طعم خاص في نفوس المسلمين . . .**

● . . . أما حال المسلمين بشكل عام والذي يشكل منعطفاً خطيراً في تاريخهم . . . فهو الذي يستحق منا وقفة . . . وسوف لا يغضب منا رمضان ونحن نتدارس همومنا وأوجاعنا . . .

● . . . فهو قد أتانا ضيفاً لا لنجعل الطعام أكواماً ، والشراب مغداقاً ، والكنافة والقطايف ألواناً وأشكالاً . . . والسهر المريض زخارف وأوحالاً . . . وساعات النهار تكاسلاً وتباطؤاً غداراً !!

أبداً . . . فرمضان جاء ضيفاً . . . أو نزل علينا ضيفاً ليشاركنا همومنا وليوضح لنا الطريق ، ويكشف ما جهلنا من حق ومن علم ومن نور . . . نزل علينا ضيفاً كريماً لنكرمه نحن بالطاعات والقربات والركعات والسجدات والتهجدات والتسبيحات . . . ومن ثم فهو يستمع لنا بكل حب وكمال وسكينة . . . ويصيخ السمع لما نضعه أمامه من آلام وعلل . . . وكما قلنا من قبل . . . إذا شخصنا المرض سهل وصف الدواء . . .

هكذا . . . يا أخي في الله يجب أن تكون مدركات رمضان ، فإلى أين سآخذك في هذا الخضم الهائل من هموم المسلمين في الأرض ؟؟ !!
. . . سوف أكتفي بأن أذكر لك ما يمكن معه أن نجسد واقعاً مراً لا يحتاج إلى تفسير أكثر ، أو تلميح أكثر . . .

● . . . فالمسلمون يعيشون وسط الصراعات العنيفة . . . التي يحاول الثالوث الأغبر الخطير . . . أن يلعب بأحلام المسلمين ، وآمال المسلمين ، وطموحات المسلمين ، وأول نقطة انطلاق لهذ الثالوث تكون من الدين . . . ولعلك الآن أدركت من هذا الثالوث . . . (الشيوعيون من جهة . . .

. . . والصهيونيون من جهة ثانية
. . . والاستعماريون من جهة ثالثة)

. . . الشيوعية تحاول التشكيك . . .

. . . والصهيونية تعمل على التحريك . . .

. . . والاستعمار ـ بأشكاله المتنوعة ـ يصنع ويختلق المصائب هنا وهناك . . .

نعم . . . أخي الصائم . . . الشيوعيون لم يتوانوا لحظة واحدة في زعزعة العقيدة في نفوس شبابنا ويتخذون ـ في سبيل ذلك ـ الأساليب والأحابيل والصهيونيون . . . لم تهجع لهم قدم . . . ولم تستقر لهم عاطفة . . .

بل نجدهم يلهثون من شدة الإعياء . . . وهم يحركون هذه القضية ، ثم يحركون الأخرى والثالثة والرابعة حتى يعم الفساد وينتشر القلق بين بني البشر . . . لأن فطرتهم هكذا . . . فلقد أشربوا في قلوبهم الشر . . . ومن الشر ينطلقون . . . للتخريب والتحطيم

. . . كذلك الاستعماريون . . . يستغلون كل أدوات العصر ويسخرونها لتشتيت قوى المسلمين . . . وفتح جبهات لهم . . . لا يكادون يرقعون هذا الثوب . . . حتى . . . يهرولوا إلى ترقيع ثوب آخر !!!

- . . . ومع ذلك وفوق كل ذلك فإن المسلمين ـ بحمد الله ـ متيقظون من المساس بعقيدتهم . . .
- . . . فمهما طال ليل الظلم . . . فهناك من يئن ويتوجع ويكتم الآهات حتى بزوغ فجر الحرية والعدالة . . . تجده ينفجر كالبركان الثائر . . . وهذا هو حال أعداء الإسلام معنا . . . يقتلون هنا . . . ويذبحون هناك ، يسحلون هنا . . . ويسجنون هناك . . . ولكن كل نقطة دم تهدر من دماء المسلمين ظلمًا وعدواناً . . . ستكون خنجراً مسموماً في صدر أعداء الإسلام والمسلمين . . . وكما قلت فمهما طال ليل الظلم . . . فإن نور العدل آت لا محالة . . .
- . . . تأمل معي يا أخي قول الله تعالى في سورة يوسف :

﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ صدق الله العظيم . . .

. . . تأمل معي . . . وستجد أن الله سبحانه أودع في كل نفس حب الكرامة ، والحرص على العزة ، وحب الحرية . . .

. . . ولذلك فالمسلم المخلص الذي صلحت فطرته ، وصحت عقيدته . . . لا يعرف لليأس طريقاً . . . ولا للقنوط مكاناً . . .

. . . ونحن نرى اليوم من صغار النفوس . . . ضعفاء الإيمان من يئسوا من أمتهم ، يئسوا من قومهم ، يئسوا من مبادئهم ، يئسوا من مستقبلهم . . . والعجيب . . . أنهم مسلمون . . . وربما قرأ الواحد منهم القرآن وعلم أن الله هو الأكبر ، وهو الذي يعز من يشاء ،ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . . .

. . . ولكن اليائسين . . . وقد أصابهم الخور . . . يصدرون ذلك اليأس ـ سواء أرادوا أم لم يريدوا ـ إلى من تبقى من شباب الإسلام . . .

- . . . ومن أجل ذلك . . . وجب على القائمين على أمر المسلمين وفي كل مكان من هذه الأرض أن يعالجوا مثل هذه الحالات سريعاً وبكل الوسائل . . . وليسرع المصلحون والوعاظ إلى هؤلاء اليائسين ويخبروهم أن اليائس القانط من رحمة الله ليس بمسلم . . . فكيف يَدَّعون الإسلام !!
- ويخبرهم أنهم معوقون لمسيرة المسلمين المخلصين المتفائلين بنصر الله . . . وأنهم يائسون . . . وهذا لا يتفق وادعائهم الإسلام . . . لأن قلب المسلم لا يعرف اليأس ولا يعرف القنوط
- وأخيراً ـ أخي الصائم ـ لتتأكد معي أن نصر الله قريب . . . ولو كره أعداء الإسلام والمسلمين .

اليوم التاسع والعشرون
٢٩ رمضان

وداعًا نقول ..
أم نقول : إلى لقاء ..
سبحانك مودّع ..

أخي الصائم ... من منا نحن المسلمين ... لا تؤلم نفسه لحظات الفراق ؟!

... ومن منا نحن المؤمنين ... لا تجرح مشاعره ساعات الغياب ؟!!

... بدموع الفرح استقبلناه ...

... وبدموع الأثر والتأثر نودعه ...

... وبالتوبة الخالصة النصوح حييناه ، وعشناه ، وصمناه ...

... وبالاستغفار ومناجاة ربنا أهديناه وأرضاه ...

... أهديناه ما أتى من أجله واعظاً هادياً ... مذكّراً ومنذراً ... والله يقول :

﴿ من يقرض الله قرضاً حسناً ﴾

... « من يقرض الله » ... ونحن نعلم أن الله غني عن العالمين ، ولكنه سبحانه يفتح لنا نحن العباد صندوق توفير ... أو حساباً في بنك الحسنات ولسان

الحال يومئذ يقول :

- إذا قيس إحســـان امـرىء بإســاءة
فأربى عليــه فالإســاءة تغفــر !!
... ولن يربوَ الإحسان إلا من خلال ذلك البنك العظيم ...

- أخي الصائم المودع معي ... شهر الخير ...
... جاء رمضان ... وها هو يذهب وقد طوى دفاتره ، وسوّى حساباته مع من قدّس مقدمه ، وعظّمَ حرمته ... وأجلّ طلعته ...
هكذا ـ أخي في الله ـ كان اللقاء ... ويكون اليوم الوداع ...

- ... اليوم يقف عباقرة الحسابات الإلكترونية في عجز تام ...
... اليوم يقف فلاسفة الاقتصاد في وجوم تام ... أمام عظمة هذا الضيف الذي جاء وتعايش وعايشناه ساعات من ليل ... وأخرى من نهار فأعطيناه ـ بتوفيق من الله ـ الاحترام والتبجيل والتقديس ... وأملنا أن يعطينا الله تعالى المغفرة والرحمة والعتق من النار ... فهو الكريم الحليم الغفار ...
... نعم ... الحسنة تتضاعف إلى حسنات بأرقام نعجز عن حسابها ، ولكن من بيده الأمر كله سبحانه يعلمها ويكشفها لنا بقدرتـه يوم الحساب ...

فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه ﴿ **فأمه هاوية وما أدراك ما هي نار حامية** ﴾ القارعة ...

- ... أعاذنا الله منها ... وندعوه تعالى أن يكون ضيفنا الذي نودعه اليوم شفيعاً لنا ـ بإذن الله ـ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ...
- ... اليوم يقف كل منا مع نفسه لحظة صدق :

١ - كيف استقبل ضيفه ؟؟

٢ ـ ماذا قدم له من تحية ؟؟

٣ ـ ما الذي حمله له بين جوانحه ؟؟

٤ ـ هل أطعم جاراً ؟ هل زار صديقاً ؟؟ هل عاد مريضاً ؟؟

٥ ـ هل فطَّر صائمًا ؟ هل آنس مستوحشاً ؟؟

٦ ـ هل ربَّت على كتف مظلوم ونصره ؟؟

٧ ـ هل مسح على رأس يتيم فآواه ؟

٨ ـ هل صادف ضالاً فعمل على هدايته بحول الله ؟؟

٩ - هل جبر . . . جرح مكسور ؟؟

١٠ ـ هل طيب خاطر محروم ، وهل أصلح ذات بَيْنٍ ؟؟

١١ ـ هل أضاء شمعة في ظلام إنسان ؟!!

١٢ ـ هل احتضن بعطف ورقة وإنسانية من هو في حاجة إلى أمن وحنان ؟؟

- . . . أسئلة كثيرة ينبغي أن تجول بخاطر كل منا اليوم ليعرف ماذا قدم من حسنات وما اقترف من سيئات . . . فإن كانت حسناته من أجل الله تعالى ومحبة الله ، يرفع أكف الضراعة لله سبحانه أن يتقبل منه ويرضى عنه ، وإن كانت الأخرى . . . يطلب من الله المغفرة والرحمة واللطف ، إنه هو الغفور الرحيم . . .
- . . . وبذلك ـ أخي في الله ـ يكون الإنسان قد وقف مع نفسه وقفة صدق ، والله سبحانه وتعالى مطلع علينا ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . . .
- **« موقف من التاريخ قبل أن ننسى » !!!**

. . . أخي الصائم . . . كم في تاريخنا من مواقف مشرفة مفرحة . . . والمقام هنا ونحن نودع شهر الخير . . . يقتضينا أن نبقي في الأذهان شيئاً

عالقاً نستقبل به العيد السعيد ، وما يتلوه من أيام شهر شوال . . . وكلها تعكس زمان المسلمين وأفعال المسلمين . . .

● . . . فلقد عني المسلمون بالتاريخ عناية فائقة ، فمنهم من ترجم لحياة شخص كما فعل مؤرخو السيرة ، وكما فعل ابن الجوزي في ترجمة عمر بن عبد العزيز ونحو ذلك . . . ومنهم من ترجم لجماعة تجمعهم صفة واحدة ، كما فعل أبو عبد الله محمد بن سعد في كتابه المسمى « **الطبقات الكبرى** » فقد ترجم فيه لكبار الصحابة والتابعين ، وكما فعل ابن الأثير في كتابه « **أسد الغابة** » ومنهم من ترجم للعلماء الذين هم من أصل واحد وبلد واحد ، أو كانوا من غير هذا البلد أو ذاك ثم رحلوا إليه !! كما فعل الخطيب البغدادي . . . فقد ألّف كتاباً من أربعة عشر مجلداً في تاريخ علماء بغداد وتراجمهم ، وكما فعل ابن عساكر في تاريخ علماء الشام ، ومنهم من أرّخ تأريخاً عاماً كما فعل الطبري في كتابه « **أخبار الرسل والملوك** » . . . وكما فعل ابن خلدون . . . وهكذا . . . تنوعت كتب التاريخ تنوعاً كبيراً .

● . . . الذي دفعني ـ يا أخي في الله ـ إلى اختيار هذا الموضوع ـ فوق الذي ذكرت آنفاً ـ هو أننا بعد كل عمل أو فعل حسن نختم قائلين . . . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . . وطالما تكون الصلاة على محمد هي مسك الختام حتى في دعائنا فإني توقفت كثيراً أمام قوله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾

● فقد نزلت هذه الآية في أعقاب غزوة الخندق ، وكانت امتحاناً هاماً وحساساً . . . كشف خبايا النفوس فكان هناك :

١ ـ المؤمنون الذين ابتلوا وزلزلوا فلم تزدهم الشدة إلا صفاءً وتألقاً . . .

وكان هناك :

٢ ـ المنافقون الذين فضحتهم المحنة فلم يملكوا الكتمان . . .
وكان هناك :
٣ ـ اليهود الذين استهوتهم الفتنة فنكثوا أيمانهم ـ كعادتهم ـ . . . ومع أن هذه السورة قد حملت اسم « الأحزاب » إلا أن حديث الغزوة لم يستغرق منها سوى أقل من ربعها . . . أما ما قبل ذلك وما بعده فينصب على ترسيخ المبادىء الأساسية التي يجب أن ينهض عليها المجتمع السليم . . . ويبدأ ذلك بشخص الرسول ﷺ ، وبأهل بيته الأطهار ، وبيان الصلة الوثقى التي يجب أن ترتبط الأمة بأدبهم . . .
. . . ثم تسلط الأضواء على العناصر الخارجة عن نطاق هذا المجتمع النبوي لتكشف مؤامراتها عليه . . . فإذا ما استوفت آيات الغزو عرض الأحداث القتالية عادت إلى إتمام ما بدأت به من رفع ركائز التنظيم ، وفي طليعته تحصين البيت النبوي بكل ما يجعله صالحاً لإعطاء القدوة العليا (. . . هذه القدوة التي نحن اليوم نفتقدها ، وبحاجة ماسة إليها . . . محرومون منها) . . . ثم تمضي الآيات في توسيع هذه الدائرة حتى تشمل جوانب المجتمع الإسلامي بأسره . . .

● نعم ـ يا أخي في الله ـ إن المجتمع المسلم اليوم لهو في حاجة ملحة إلى معرفة سبيله الصحيح . . . من خلال ذلك الأنموذج الأكمل الذي كان عليه المجتمع النبوي الشريف . . . هذا الأنموذج الذي من المفروض بل ومن الضروري أن يكون القدوة العليا لكل مجتمعات المسلمين وحتى تقوم الساعة . . .

● وربما تسألني ـ يا أخي ـ كيف السبيل إلى تحقيق الأسوة ؟
أقول لك :

. . . علينا باقتفاء الآثار التي وضحت تماماً في قوله تعالى :

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . . .

. . . وهذا يستوجب أن نكون على علم بسيرة المثل الكامل ﷺ الذي أُخذ علينا العهد باتباعه ، منذ أن أعطينا ربنا ميثاق السمع والطاعة بشهادة التوحيد . . . ومن هنا كان العلم بسيرته ﷺ واجباً على كل مسلم حسب طاقته من المعرفة . . . إذ لا مندوحة للمسلم عن تعرف المثل التطبيقي لحقائق الإسلام . . . متجلية في صورة بشرية تعيش واقع الحياة وتعامل أحداثها على ضوء من هذه الحقائق ، ولا شك ـ يا أخي ـ أننا في حاجة إلى التذكير بأن إغفال المسلمين لهذا الجانب الهام من أصول الإسلام هو الذي قذف بالأمة في ظلمات الضياع والتخلف . . . لأنه قطع ما بينها وبين نبيها ﷺ من وشائج المعرفة وعلائق الأسوة ، وهو انفصام واسع . . . يستوي في تبعاته عامة المسلمين . . .

- . . . وإذا كان للأسوة الحسنة هذا الأثر البناء . . . فلابد من العلم الحاسم أن كل محاولة ماكرة لاستردادها من النفوس التي تتطلع إليها . . . سيكون نصيبها الإخفاق الذريع . . .
- . . . وأخيراً أخي الصائم . . . وحول السيرة العطرة ووجوب قراءتها ومعرفتها فإني أرشح لك كتاب شيخنا صاحب الفضيلة محمد الغزالي « **فقه السيرة** » لقراءته قراءة متأنية ، لتتفهم من خلال صفحاته أشياء وحقائق كانت تغيب عنك وأنت في حاجة ماسة لها ـ مثلي تماماً ـ قبل قراءة هذا الكتاب العظيم . . . وأيضاً لا يفوتني أن أرشح لك كتاباً آخر اسمه « **تغريدة السيرة النبوية** » لمؤلفه فضيلة الشيخ/ محمد عايش عبيد الذي شرح فيه مراحل السيرة النبوية الشريفة ، وما بها من مواقف وعظات في عشرة آلاف بيت من الشعر المترجم حيث هو الكتاب الوحيد في عالم المؤلفات « حتى اليوم » الذي حوى بين دفتيه الشعر والنثر مما يعود على

المسلمين بالنفع والإفادة التامة إن شاء الله . . . وبقدر علمنا ومعرفتنا بسيرة نبينا ﷺ بقدر ما سنكون أصحاب رسالة ، وركائز دعوة . . . فعليك أخي المسلم . . . أخي في الله بتتبع سيرة رسولك المصطفى ﷺ لكي تعلم أن لنا في رسول الله الأسوة الحسنة ، وكل عام وأنتم بخير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

. . . أما أنت يا رمضان . . .

فعند وداعك تتقطع نفسي على فراقك حسرات وكأنني برمضان يرد عليّ ويقول :

- **أستودعك الله .**

اليوم الثلاثـــون
٣٠ رمضـــان

زكاة الفطـــر.. وفرحة الصائم

● ... أخي الصائم ... خاطبتك طوال هذا الشهر الكريم بـ « أخي الصائم » واليوم أنت ترتقب بزوغ فجر العيد ، . ولذلك استوجبني الحال أن أخاطبك « بأخي في الله » ـ وما أحلى الأخوة في الله ... ولله ـ

● حديثي معك اليوم لم ينته بعد ... فأمامنا حديث طويل ـ شيّق ... حافل إن شاء الله ... إن كان في العمر بقية ...

ـ أطال الله عمرك ـ سنكمله مع ضيفنا العزيز الغالي عندما يعود إلينا في العام القادم إن شاء الله ...

... أخي في الله ـ

● حقيقة ... وأنا أضع عنواناً لموضوعي الأخير ... أو لحديثي الأخير إليك ... قفزت أمام ذهني معان ... ومعطيات ... وفلسفات لم أستطع الوقوف عند واحدة منها ، فتزاحمت على سن قلمي المتواضع !! ولم أرد شطبها أو طرحها جانباً ... فقد عز على نفسي وأنا أودع رمضان وقلبي على فراقه يتقطع حسرات ... ومن ثم تركتها كما هي ، فكل ما أريد قوله ... بين أطنابها قائم ، وحول مراميها وأبعادها حائم !!!

. . . ونظراً لأن ما أسجله هنا هو الخاطر فمن الأمانة معك ـ يا أخي ـلا أخفي عنك ما خطر من لفظ ، وما لاح من معنى . . . :

★ « زكاة الفطر . . . بر نفسي ، وطهر روحي »

★ « زكاة الفطر . . . بين السماء والأرض »

★ « صدقة الفطر . . . تصنع بسمة ، وتمحو دمعة »

★ « تزكو فطرتك . . . ويقُبل صيامك . . . بزكاة الفطر »

★ « صوم رمضان . . . تتوج حسناته بزكاة الفطر »

★ « جمّلوا صيامكم . . . وارفعوه بزكاتكم »

★ « تزكو النفوس . . . بزكاة الفطر . . . بعد الصيام »

. . . هذه المعاني السامية خطرت على قلبي فأردت أن أشركك معي في معانيها العامة والخاصة وبالله التوفيق . . .

● قال تعالى في سورة البقرة الآية ٤٣ :

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾

● وقال تعالى في سورة التوبة الآية ١٠٣ :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾

● وقال تعالى في سورة الأعراف الآية ١٥٦ :

﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾

● ويقول جل شأنه في سورة الأنفال ٣ و ٤ :

﴿ والذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾

● وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول ﷺ :

(خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة :

١ - من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن .

٢ - وصام رمضـــان .

٣ - وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً .

٤ - وأعطى الزكاة طيبة بها نفســه .

٥ - وأدى الأمانـــة . . .)

- وعن أبي أيوب رضي الله عنه ، قال : « إن رجلاً قال للنبي ﷺ :

أخبرني بعمل يدخلني الجنة . قال : **تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم ـ متفق عليه ـ رياض الصالحين** »

- **وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال :**

« **بايعت رسول ﷺ على : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم ـ متفق عليه ـ رياض الصالحين** »

- هكذا تعلم ـ يا أخي في الله ـ أن حقوق الله في المال كثيرة ، ولترجع إلى كتب الفقه إذا شئت توسعاً . . . ويكفينا اليوم أن نتحدث بإيجاز عن تلك العاطفة الجياشة التي تقف مع المسلم الصائم وهو يؤدي صدقة الفطر . . . والزكاة بشكل عام هي قربة تعتمد على حسن النية ، وهي قرينة الصلاة والتقوى والاستغفار ، وهي كذلك جزء من الفضائل وركن من الإيمان .

أما زكاة الفطر . . . أو صدقة الفطر . . . بشكل خاص « وهو موضوعنا » فقد شرعت عقب صوم رمضان ، ثم وجبت على كل مسلم وجد شيئاً يزيد على قوته وقوت عياله ليلة العيد ويوم العيد ، وهي في حد ذاتها تحمل معنى البر والطهر من الناحية النفسية ، من أداها لا شك أن فطرته سليمة ، وخلقه

طيب كريم . . .

- وربما تتساءل يا أخي في الله ـ عن الزمن الذي شُرعت فيه زكاة الفطر . . . فأخبرك أنها شرعت ، في السنة الثانية من الهجرة . . . **قبل عيد الفطر بيومين** . . .

- فيا أخي الكريم ، إذا كنت قد وقفت وإياك مع الآيات الكريمة السابق ذكرها والأحاديث الشريفة كذلك . . . فدعنا نتأمل في حديث الرسول ﷺ حيث يقول :

(اليد العليا خير من اليد السفلى)

. . . هذا الحديث الطيب يترجم بأصدق المشاعر الإنسانية وأعظمها المعنى السامي . . . للزكاة . . .

- . . . فهيا يا أخي نشعر بلذة اليد العليا . . . وهي تمسح أوصاب هذا الفقير أو ذاك المحتاج . . . وهي تزيل الآلام برفقها وبذلها وعطائها وتعطفها . . . واليد العليا . . . ما هي ؟؟

إنها يد المزكي . . .

- وهيا يا أخي نزيل ألم نفس إنسان معوز بائس .
- وهيا ندفع الحسد ونكف البغضاء بين الناس .
- وهيا نضع روابط المجتمع الإسلامي على أساس من الحب والولاء لا من الحسد والبغضاء والشحناء . . .
- وعلينا تفهم أن الزكاة دليل حسي ظاهري على صحة الإيمان ورسوخه في القلب . . .
- وعلينا تفهم أن الزكاة إحدى قواعد الإسلام الخمس . . . ومعناها لغوياً . . . النماء والطهارة والبركة . . .

● وعلينا أن نتفهم أيضاً أن . . . أي مسلم لا يؤدي الزكاة وصفه القرآن الكريم وصفاً يناسب « شحه وبخله » . . . فاعتبره مُلَوِّثاً للعقيدة ، وتوعده ربه بالويل كما للمشركين الويل ، فقال تعالى في سورة فصلت ٦ ـ ٧ :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إلهٌ واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ﴾

● هكذا ـ يا أخي في الله . . . تكون المعاني العامة للزكاة التي ينبغي علينا ـ كمسلمين ـ معرفتها . . . وهكذا أيضاً ـ يا أخي الكريم ـ تجدني ـ وقد استغرقني المعنى الشامل العام لروح الإسلام ـ أقفز في كلماتي كلما بدأت الحديث عن زكاة الفطر وصدقة الفطر . . . فأرجو المعذرة فهكذا تكون الخواطر وتكون السبحات . . . فلست هنا ـ في هذا المقام ـ أكاديمياً أو فقيهاً أو واعظاً وإنما ـ كما سبق الشرح ـ أنا مسلم تستغرق كيانه سويعات رمضان . . .

● . . . بعد صوم ثلاثين يوماً (صوماً ليس غرض المشرع منه . . . الجوع والعطش)

ولكنه إعداد النفس للشمائل والأخلاق وتدريب النفس على الإرادة . . . فهو ـ أي الصوم ـ امتحان من المشرع للصائم . . . والنتيجة تتوقف على صحة الصوم وسخاء اليد . . . ومن هنا يكون النجاح والفلاح . . .

. . . فالصوم معلق بين السماء والأرض لا تفتح له أبواب السماء ولا يحيطه ثواب ولا جزاء حتى تثمر الثمرة المرجوة . . . وهي زكاة الفطر أو صدقة الفطر . . .

● ولو فكرنا ـ يا أخي في الله ـ قليلاً في مقدار « صدقة الفطر » لأدركنا أن هناك سبباً وقصداً أرادهما الشارع ليكوّن نفوساً كريمة . . . تشعر بكيانها ووجودها . . . ولو كانت هذه النفوس . . . نفوس فقراء . . .

فماذا يعمل مبلغ عشرون ريالاً أو ثلاثون ريالاً في هذا الزمان ؟؟ « هذا العصر »

وماذا تغني . . . الكيلة والقدح من قمح أو شعير . « العصر الماضي » إذاً هناك هدف ، وهناك غاية . . . يجب أن ندرك معناها . . . فالشارع الحكيم أراد لأفراد هذه الأمة الكرامة فحرص أن يربي النفوس ويزكيها . . . تتعود البر والكرم والسخاء ، وتحب الإحسان والبذل والعطاء . . .

● بهذه الصدقة ـ صدقة الفطر ـ وبذاك الصوم . . . تكون فرحة الصائم الذي زكت نفسه ، وصفت روحه حيث صام صيام المؤمنين ، وقام الليل قيام القانتين ، وبذل بذل الرحماء المنفقين ، وقرأ القرآن قراءة المتدبرين :

﴿ والله بصير بالعباد الذين يقولون : ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾ (آل عمران : ١٥ ـ ١٧)

صدق الله العظيم

● وها هو العيد ـ يا أخي في الله ـ وقد بزغ فجره ، وأطلت إشراقته على المسلمين في الأرض . . . فيه تعم البهجة والسرور ، وفيه تتقارب القلوب على الود ، وتجتمع على الألفة ، وتتناسى النفوس الطيبة ـ التي كانت بالأمس صائمة . . . واليوم هي بسخاء وكرم باذلة ـ تتناسى كل ما كان من سلبية هنا أو هناك . . . مع هذا أو ذاك فتجتمع بعد فراق ، وتتصافح بالعناق بعد أن زال الشقاق وعمَّ السلام والوفاق . . . كل ذلك يعكس المعاني السامية للعيد . . . ويؤكد على المغزى الإنساني والاجتماعي حيث تنطلق الأيدي الخيِّرة الكريمة ـ بصدقة الفطر ـ وغيرها من أعمال البر والإحسان ، وتنطلق الفرحة لتشمل المسلمين في كل مكان ، فالمسلمون كلهم في الشرق والغرب

سواء . . . الإنسانية واحدة تجمعهم على عيد واحد . . . وبقلوب واحدة . . .

- الكل يهنىء الكل . . . الكل يعانق الكل . . . الكل يمد يده للكل . . . على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ولغاتهم . . . وأيضاً عاداتهم وتقاليدهم - ليعلنوا في النهاية للعالم أجمع . . .
. . . أن الإسلام أشمل وأعم من كل شيء في الحياة . . .

- وأذكّرك يا أخي في الله قبل أن أستودعك الله . . . أذكّرك ونفسي بتقوى الله ومراقبة الله . . . وآمل أن تضع في اعتبارك شيئاً معيناً له أبعاده . . . وله مراميه . . . وهو . . . ألا تأخذنا الفرحة بالعيد ولبس الجديد . . . وتنسينا أن لنا إخوة هناك . . . يضربون بالمطارق والحديد . . . وينكل بهم - لإسلامهم - بين قهر ووعيد !! ، وألا تنسينا فرحة العيد قضايانا الجريحة . . . وأراضينا الذبيحة . . . وألا تنسينا فرحة العيد أن نظهر فيه بمظهر الأمة الواعية التي لا تتجاهل قضاياها . . . بل لسان حالها يهتف حتى في يوم العيد . . . لا . . . لم ننس قضايانا بل وعيناها . . . لأننا كمسلمين لم ننس حديث رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه :

- (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)

(رواه الحاكم)

ولم ننس إخواننا هنا أو هناك ، بل نحس بهم ، ونرفع أكف الضراعة لله تعالى أن يلهمنا الطريق ويزهدنا في البريق . . . فنحن مسلمون لا تشدنا الأفراح البراقة ، ولا تسعدنا وتطربنا إلا ساعات نرى فيها أرضنا السليبة في فلسطين وقد تطهرت عن الدنس والأدران . . . لأننا نعلم أن قضية فلسطين - في الواقع - أكبر من أرضها وزمانها وسكانها . . . إنها قضية إنسانية في مداها الواسع ، إسلامية في قدسيتها ومسؤوليتها ، وعربية أخيراً في جغرافيتها

واستراتيجيتها . . . إذاً . . . لا تنسينا فرحة العيد قضايانا هنا أو هناك . . . ونحن مؤمنون أن الإيمان وحده سيعيد للعرب وللمسلمين كرامتهم وعزتهم . . .

- فكيف ننسى جراح إخوان لنا هنا وهناك ونحن نضع أمامنا حديث رسولنا عليه الصلاة والسلام :

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر)

(رواه مسلم وأحمد)

- هذا لسان حال أمتنا ـ كما تخيلته ـ يتحدث . . . فيا أخي في الله . . .

قبل أن أستودعك الله . . . أرجوك في يوم العيد أن تفتش عن جارك وقريبك ، اسأل عن حاجتهم . . . وساعدهم في إدخال السرور على قلوب أولادهم . . . والوسائل كثيرة . . . الكلمة الطيبة وسيلة ، الابتسامة الحانية وسيلة ، الخفقة الطاهرة من قلبك المؤمن وسيلة . . . ومع ذلك كله . . . تذكر أن لك إخواناً يفيضون ألماً . . . بقدر ما يفيض غيرهم سعادة وبشراً . . . فاذكرهم بالدعاء الصالح لعل الله يفرّج عنهم الكرب ، ويحول دموعهم إلى بسمات .

- وأرجوك في يوم العيد أن تحنو على أولادك ، وتأنس بأهلك ، وتصل رحمك ، وأثناء طعامك وشرابك . . . تذكر أن هناك يتامى محرومين لا يجدون في صباح هذا العيد . . . **ابتسامة أب** . . . عطوف ، تذكرأن هناك إخوة لك في الفلبين في أفغانستان في أريتيريا في فلسطين في كل بلد من هذا العالم المتصارع النكد . . . تذكر ذلك وأنت تأخذ لنفسك قسطاً من الراحة . . . تذكر أنهم هناك قد فقدوا الراحة والأمن والاستقرار ولكنهم مع ذلك صامدون مرابطون . . . لأنهم أهل عقيدة . . . وأصحاب دين . . .

● هذه المعاني يا أخي في الله . . . تترجم معنى التكافل والتراحم والتعاطف بين المسلم وأخيه المسلم ، ومن أجل ذلك كانت زكاة الفطر . . . ومن ثم آدَعُ الله معي « اللهم اجعل لقاءنا عليك . . . وقوّتنا منك ، وعزتنا بك وحدك ، واستخدمنا في إعلاء كلمتك وإطفاء نيران الفتن بنورك ، اللهم رد المسجد الأقصى وفلسطين وديار المسلمين إلى الإسلام رداً جميلاً ، ولا تجعل بأس أمتنا بينها شديداً ، وألّف قلوب أبنائها ، وانصرها على أعدائها . . . بقوتك ورحمتك نستغيث ، وبقرآنك وسنة نبيك نستهدي فاهدنا إلى صراطك المستقيم . . . يا حي يا قيوم يارب العالمين »

« ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً . . .

وهنا ـ أخي الصائم . . . أخي في الله . . . أخ الإسلام أقول لك

كل عام وأنتم بخير

أخـــوك في الله

أسـعد الكاشف

رمضان ١٤٠٥هـ ـ مايـــو ١٩٨٥م ـ قطر / الدوحة

الفهـــــرس

الموضـــــــــــــوع	صفحة
تقديم بقلم فضيلة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري	٥
الإهـــــــــــــداء	٩
تمهيـــــــــــــد	١٠
ليلة الصيـــــــــــــام	١٥
وما خلقت الجـــن والإنس إلا ليعبدون	١٩
نريـــــدها عقيـــدة وســـــلوكاً	٢٤
تحقيق الأخوة الإسلامية يؤكد عقيدة التوحيد	٢٩
الدعاء المستجاب له وسائل تؤدي إليه	٣٧
بامتثالك أوامر الله واجتنابك نواهيه تحفظ نفسك	٤٥
الإســـــــــلام شخصيتنـــــــا	٥٢
أين نحن مـــــن التطبيق والتنفيـــذ	٦٦
نريدها قوة عاقلة رحيمة لا قوة جاهلة حمقاء	٧٨
عقيدتنا الإسلامية تطهر العقل والنفس	٨٥
الحـــــلال والحـــــرام في الإســـــلام	٩٣
دعـــــــوة للأخـــلاق الإســـــلامية	١٠١
العبـــــــــــادة الحـــــــق	١١٢
الشـــــــباب والقـــــــدوة	١١٩
القرآن الكريم قوة عاملة في بناء عقائد المسلمين (١)	١٢٦
القرآن الكريم قوة عاملة في بناء عقائد المسلمين (٢)	١٣٣
فمتى يزول الشتات يا معشر المسلمين ؟	١٤٣
معركة بدر كانت إعلاء لكلمة الله وإعزازاً لدينه	١٥٤
لغتنا العربية .. لغة القـــــرآن	١٦٤
ســـــفينة الغـــرب أوشـكت على الغرق	١٧٦
بفـتح مـــــكة .. زهق الباطـــــل	١٧٩

الموضـــــــــــــــوع	صفحة

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ١٨٩

الذكـــــر وأثـره في نفوس الذاكرين ١٩٣

الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل ١٩٥

الحـــق أبلـــج والباطـــــل لجلج ١٩٨

جامعة إســـــلامية ، كيف ؟ ولماذا ؟ ٢٠٣

حـــــــذار أيها المســـــــلمون ٢٠٩

الدين الإسلامي فطرة إنسانية وضرورة اجتماعية ٢١٢

ولا تأيســـــــــوا مـــــن روح الله ٢١٨

وداعاً نقول .. أم نقول إلى لقاء ؟ ٢٢٢

زكاة الفطـــــر وفـــرحة الصائـم ٢٢٩

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية
٢٢٨/١٩٨٥م

مؤسسة آل ثاني للدراسات والنشر
ص . ب : ١٤٥ الدوحة ـ قطر